

آني أنزيو

المرأة الأثني

بعيدا عن صفاتها



رؤية اجمالية للأنوثة من زاوية التحليل النفسي

ترجمة : طلال حرب

م

المرأة الأثري

مجمع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1412 هـ - 1992 م

م المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦
بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف: ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص.ب. ٦٣١١٠ / ١١٣ بلكس LE - ٢٠٦٦٥ - ٢٠٦٨٠ - لبنان

آني أنزيو

١٥٥

م ١١٩

المرأة الأثني

بعيدا عن صفاتها

رؤية اجمالية للأثنية من زاوية التحليل النفسي

ترجمة : طلال حرب .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع



هذا الكتاب ترجمة :

Annie Anzieu

La femme sans qualité
Esquisse
psychanalytique de la féminité

تمهيد

أليس من الممكن ، بفضل فرويد ورغماً عنه ، أن نتصور المرأة بأبعادها الذاتية ؟ وهل هو خطر جداً مشروع إستخلاص صورة المرأة خارج المفهوم الذكوري المفروض علينا ؟ إنني لن أقوم هنا إلا بأن أضم إلى محاولات أخرى محاولتي تطوير فكر متصور من المرأة ومن الأنثوي .

فهل سيكون من الممكن تصور المرأة بدون صفة غير صفة النقصان ، لأن الصفة الخاصة بالرجل تنقصها ، وهي الصفة الوحيدة الممكنة ؟ المرأة هي النسخة السلبية للرجل . ولأن « علم التشريح هو القدر » ، فهل سيكون قدر من تكون امرأة حرماننا من الوجود والكينونة ، إنسانية هزيلة ؟ أيمن أيضاً إنكار أنه إذا كان فكر المرأة مختلفاً أحياناً عن فكر الرجل فيما يخص بعض مزاياه ، فإننا مع ذلك مساوية له في القيمة ؟

إن تفرد المرأة هو في كونها مشكّلة من باطنية خفية وخصبة . باطنية معرضة للاختراق والإيلاج ، وطبع مختص بالعنصر الأنثوي ، ومصدر للمتعة . وستكون العلاقة الخاصة للمرأة بداخليتها مرئية هنا من جوانب مختلفة .

وسأعمل قدر المستطاع على تحاشي خطرين : تنظير يحدد المنظور الذكوري لفرويد ، وفي المقابل ، الانزلاق في تيار نسائي يؤدي إلى

إنكار تركيب المرأة ونتائجها البدنية المادية . إذن إلى إنكار المرأة .

إن القضيبانية الصارخة للرجل تجر الفكر إلى التشديد على اختلاف داخلية المرأة . الأمر الذي لا يقصي الرجل من الأنوثة . تماماً كما أن المرأة علامة على القضيبانية . إن الحواسية والاستيهامية تحددان توزيع الثنائية الجنسية . ولكن الحتمية الجسدية تحت المرأة على توظيفات متميزة عن الإيلاج في المرحلة الجنسية التناسلية . تميزات تؤثر في علاقتها بالاستيهامات الاضطهادية ، وبالتالي بميوها المازوشية .

إن نتائج التباين بين الألم واللذة في العلاقة الجنسية تختلف جداً عنها عند الرجل . إذ إن القدرة على الانفصال ينبغي أن تكون أكثر إكتمالاً عندها منها عند الرجل لأنه يتوجب عليها أن تسمح بخروج طفل منها بعد اكتماله - إنفصال الأم / الطفل الذي تحمي نفسها أحياناً ، في مواجهته ، بالجنسية المثلية . وكم من السهات المهمة البارزة لدورها البدني المختلف عن دور الرجل والقابل للتأثير في أشكال تفكيرها والتعبير عنه .

إن دور المرأة ، مضاعف فيما يخص الجنسانية : كل شيء داخلي ومخفي فيما يخص التمتع ، في حين أن الأمومة ، التي تنتج عنه أحياناً ، تظهر نشاط هذا الداخلي وتخرجه جسماً - طفلاً . مكان عبور إذن ، هي المرأة ، للرجل وللطفل .

أحجية التحولات في التجويف الأنثوي : استيهامات خلق العالم والألوهية .

إن أكثر الأحاسيس المبكرة ، أحاسيس الغيرة والذعر ، تبقى مرتبطة

بتصورات جنسانية المرأة . وهذه الأحاسيس مصدر تخفيض لقيمة الأثوية مثلما هي مصدر أمثلتها . إن داخلياً سرياً ، موهوباً بقدرة الحياة والموت ، لا يمتلك القدرة على الانفصال عن استيهامات كلية القدرة والاضطهاد ، إنه مصدر السادية كما هو مصدر المازوشية .

إن المرأة المسجونة في مداها الغريزي الذاتي والتصورات التي يمنحها لها تفاعل الداخل مع الخارج ، تجهد نفسها لتقليل شعورها بالذنب لتشكّل من ذاتها ومن فكرها صورة جديدة بأن يعبر عنها . إن الداخلية المميّزة للمرأة تعتم « لا تكميد » حياتها النفسية . كما لو أنها تستبقي لها المدى الجسدي الداخلي حيث تكثر الحياة ، أن قيمتها الوحيدة هي هذه الميزة في أن تكون بلا فكر . فالأثوي لن يكون إلا مادة .

إدعاء ، ربما ، أن نتوصل لمخاطبة الأثوي . فالكلام الآن قضيب . غير أن التحليل النفسي ، وفرويد هو الأول ، قد حمل النساء على الكلام . فكل تجلٍ لليبيدو « الأثوي » لإغراءات المعرفة ، لإعلاءاتها ، ليس فقط إظهاراً لفحولة الهستيريا ، فعند هذا الحد ، كل تعبير للفكر سيصبح مراضة .

ماذا يقال إذن عن امرأة محللة نفسية . إذ يمثل الأثوي هنا مكان الاستقبال والتوالد . ألن تكون المرأة إذن محمولة ببساطة كلية إلى هذا النظام ؟ إن هذا المكان نفسه قد عمل مع فرويد عندما بدأ الإصغاء إلى المعاناة الهستيرية والتحديدات المفروضة على الليبيدو عند النساء . إن عظم قدراته على التواحد أتاح له الاقتراب من فهم ما للأثوية . وحتى لو توجب عليه التراجع أمام المخاطر ، اللاشعورية أيضاً بالنسبة إليه ، التي خاضها إلى هذه اللعبة .

الكلام كمحلل هو غالباً كلام إلى الأنثوي : التأويل ، القضيبى بعنقه ، هو أيضاً ، وبكلام آخر ، صدى للإيلاج ، استحضار لجزء أنثوي من الليبدو . أن يكون المرء محلاً ، هو أيضاً ، كالأم ، معرفة الابتعاد ، إتمام علاقة أنضجت مودتها وألفتها المريض المعالج . وأحياناً ، خلال جلسة أو تفكير تنبثق صورة ، ذكرى ، شعاع ساطع ، إستحضر فرويد نفسه غناه الشعري عندما تعلق الأمر « بمعرفة أكبر بوساطته للأنوثة » . وهذا هو حينئذٍ ما يمنحه الأسلوب من شكل لتدرجات الفكر وظلاله .

القسم الأول

امرأة

الفصل الأول

أن أكون امرأة بعد فرويد

« [. . .] ولكنها من عالم حيث

أجل الأشياء لها أسوأ مصير .

مالارب*

مؤاساة لـ « دو بريه »

أنا امرأة ولن أكون أبداً إلا ذلك⁽¹⁾ . زهو لكوني امرأة ، زهو لمعرفة - امرأة . زهو لبحثي عن ذاتي في الجب المضطرب بمعاناة الآخرين . فهل ستكون كتابتي حقاً شبيهة بي ؟ أي سر في ذاتي سيظهر ولم أكن أعرفه ؟ اللا شعور أو الأنثوي ؟ هذه الأنوثة التي نوقشت كحق قابل للنقاش . « كيف يمكن أن يكون المرء فارسياً ! ؟ »⁽²⁾ ، أو كيف يمكن أن يكون امرأة ؟ السؤال نفسه . الجهل نفسه .

بداهة ، لم يحل ، منذ الفلسفة اليونانية ، سؤال التعيين . « امرأة » لا تعني كلية الشخص ، بل « رابط دائم » ينطوي على صفة من

(*) فرنسوا دو مالارب (1555 - 1628 م) شاعر غنائي فرنسي . فتحت إصلاحاته الشعرية الطريق أمام الكلاسيكية . (المترجم) .

(1) Lacordaire : « أنا كاهن ولن أكن أبداً إلا ذلك » .

(2) مونتسكيو : Considérations sur les causes de la grandeur des Romains et leur décadance. 30

السلبية ملازمة لهذا « التدليل »⁽¹⁾ مفهوم الأنوثة يمثل بالنسبة إلى ظاهرة إستكشافية .

والحال أنه « يقال بوضوح شديد أنه إذا كانت المثلثات تصنع رباً ، فستعطيه ثلاثة أضلاع »⁽²⁾ . ويتصور الرجال المرأة ، ويجدون بسيطاً وسهلاً إخراج قضيب لها . ثم تستحضر هذه الرؤية إمكانية مقلقة : إنهم يدافعون عن أنفسهم ، على مضض ، بإنشاء نظري : إدعاء ، خصاء ، نقص . كما لو أن كون إنسان ما امرأة خطأ ، مرضاً ، ميلاً إلى عدم الوجود . « لا أعرف ماذا أفعل بـ +++ الأنثوي » هكذا كتب فرويد إلى فليس Fliess في الخامس من تشرين الثاني من العام 1899⁽³⁾ .

ولحسن الحظ حلم فرويد : بأمه الشابة ، بأخواته ، بأخوات زوجته ، بصديقاته وبعض بنات أعمامه ، وبالجميلة غراديفا . والأكثر حيوية فيه ، بدون أدنى شك ، الشعور بوجود عند المرأة يختلف عن غياب القضيب . غياب شهير يغطي ويموه القلق المستيري . طريقة أخرى في الوجود اقترب منها ، وهو نفسه قلق ومشغول إلى هذا الحد أو ذاك بالإغواء والإشباع الجنسي . وإذا حضرت الثنائية الجنسية الكلية في ذاته بقوة بحيث تبينها في صداقاته الخاصة ، والتي توجب عليه لاحقاً تعويض ما تثيره من يأس بأبحاثه على الوسواسية . وسيكون مجحفاً عدم الاعتراف ، فيما وراء الاستيئات وانتفاضات التمرد التي تستطيع

(1) أنظر : Bion W.R. Transformation عند ورود اسم مرجع مع تاريخ الطبع راجع

البليوغرافيا

(2) مونتسكيو : المرجع السابق

(3) D. Anzieu 1987. p. 437

إثارتها الحدود التي فرضها على المرأة ، كم كان رجباً مدى فهمه ، وتواحداته ، وكذلك صلابة دفاعاته وجدواها . وهل سيكون لغز الرغبة الأنثوية ، ومحرض الحصر عند الجنسين ، قريباً جداً من الانهيار العصبي ؟ وهل سيصبح الكوكايين الحيلة التي تسمح بالانفلات إلى الفطرة الأنثوية ؟ والحال أن بعضهم حاول إتباع فرويد في متاهة هذه القارة السوداء . مع احتمال أن يجدوا أنفسهم في منعطف حيث كلام الأنوثة يصبح تحدياً للحقيقة . ولكن الحقيقة ليست موجودة إلا في اللاشعور ؛ فالكلام غير الأمين والمختزل ما دام رمزاً يحصر الكائن في أقسامه المعقلنة وحدها .

إختلاف غير لائق ، من قبل النساء ، هي هذه المجاورة للتكلم عن الذات بصفتهم نساء . محاولة أولى عند عتبة وجود هزيل إلى الأبد . مثل الطرس المكتوم بيأس تحت شطبات الحياة التي لا تحصى . نقل غامض . تأويل بدون تجزئة . إنزلاق الكلام ، كما تنزلق في لوحات أشر Escher الأشكال من شكل إلى الآخر . سوربالية الكلمة ، إنزلاق مرتجل في صورة التجربة المعاشة المتجمدة في الرجل . لا المرئي ولا المسموع يكفي لقول المرأة . فهي كائنة موجودة . وتسعى لتعلن إسمها . كائن بدون كلمات ، ضعف الأنوثة تجاه القضيبانية .

« [. . .] وهذا اللغز الكائن فيك سيندهش من لغزي ؟ »⁽¹⁾ .

علامة رزينة للما لا أهمية له ، هذه الـ e « الصامتة »* الخاصة

(1) P. Valéry, *La Jeune Parque*, Prologue, Paris Gallimard, 1936.

(*) الـ e الصامتة علامة المؤنث في الفرنسية تزداد على الصفة المذكورة لتصبح مؤنثة لكنها لا تلفظ مثلاً جميل (joli) وجميلة (jolie) . (المترجم) .

بالمؤنث التي تستخدمها لغتنا أكثر بقليل مما تحسن إستخدامه . خانتها الكلمات في طبيعتها نفسها ، وخانها حتى الشاعر الذي تعاني رغبته من كونه ليس إلا رجلاً . كيف ننقذ الجمال ، شهوة الوجود ، إذا كان الجسد يحصر الروح ويحدها ؟ « [. . .] إذا كان كل ما هو طبيعي شرعياً . . . »⁽¹⁾ فإن صخر الطبيعة حيث يستند المثال الأعلى يجدد أيضاً الجميل في الانسجام العابر بين الجسد والفكر . « أنا سوداء ، ولكني جميلة »⁽²⁾ .

ويعقد الشاعر خيط الجمال ، مثلما يعقد المحلل ما ينتمي إلى الأنوثة . « المرأة طبيعية إذن هي منكرة »⁽³⁾ . خوف وارتجاف عند التقاء الكلمة بالشيء . طبيعة المرأة ، غيرية الشقي . غاية في الاختلاف بين الرجل ، الراسخ في إصراره القضيبى ، والمرأة ، المتجانسة دائماً في غيريتها المزدوجة : مختلفة عن الرجل في كليتها ، مختلفة عن نفسها ذاتها بتغيراتها الشخصية . مختلفة في الآن ، علامة الزمن، الحياة التي تجري ، إيروس* (Eros) قاهر تاناتوس** (Thanatos) .

(1) Ch. Baudelaire, «Mon cœur mis à nu» œuvres complètes, Paris, Gallimard, «La Pléiade», P. 679.

(2) العهد القديم ؛ Cantique des cantiques, Ancien Testament

(3) شارل بودلير . المرجع السابق .

(*) إيروس : إله الحب في الأساطير اليونانية ويشبه من وجوه كثيرة إله الحب عند الرومان Amor أو كيوبيد Cupid . وكان في أول أمره إله الحب بين الأصدقاء ويصوره القدماء شاباً رائع الجمال . ويمثل في عمل النفس غريزة الحياة . (المترجم) .
 (***) تاناتوس ابن الليل وتوأم هوبنوس (النوم) . يعيش في العالم السفلي ويطلب بأرواح الموتى . فهو إله الموت . وكان يصور في هيئة محارب مدجج بالسلاح أو هيئة رجل عار يحمل سيفه . ويمثل في علم النفس غريزة الموت (المترجم) .

ويتأسف فرويد لقصر النظر الذي يفكر به الأنثوي . وكان يبدو فعلاً أنه ينتظر من النساء المحللات إضاءة أكثر توافقاً مع نظريته عن الليبدو ومع فرضياته عن الجنسية الأنثوية : كرفع للرقابة ، ولد Verneinung حيث كان يشعر أنه مسجون ، كشق في « الغشاء السميك » . إن الاعتراف الواضح والجريء بلا يقينياته عن الحياة النفسية للنساء⁽¹⁾ لم يؤد به مع ذلك إلى حد الأخذ بأفكار لو أندريا (Lou Andréa) ، أو ماري بونابرت (Marie Bonaparte) أو هـ . دوتش (H.Deutsch) رغم أنه يمتدح كتاباتهم في المناسبات . ومع ذلك لم يكن يتجاوز أبداً حد احترام الغيرية ، كما تجرأ على قول ذلك لكان (Lacan) : « [. . .] زميلاتنا ، السيدات المحللات [. . .] لم يعملن من البداية على تقدم قضية الجنسية الأنثوية »⁽²⁾ .

وسيكون تفوق الجنسية محفوظ للأسياذ . أي معنى يمكن إضفاؤه على لفظه « سيدات » في علاقتها بلفظة « نساء » ؟ إحتشام ؟ ملكية زوجية ؟ أو ببساطة هيمنة مدعية من رجولة الفكر ؟ أو أيضاً خوف من أن يؤخذ بعين الاعتبار نمط من التفكير مختلف عن النمط الذكوري ؟

إن تواضع فرونزي (Ferenczi) وبيون (Bion) الرزين في موضوع الداخلية ، ربما يقترح على « السيدات » الإذن بالتفكير على طريقتهم . إذن هل سيكون النموذج القضيبى النموذج الوحيد للفكر ؟ وحيثئذ

(1) أنظر بعض الاستشهادات من فرويد في :

Françoise Dolto: «La libido génitale et son destin féminin» 1960, Société française de psychanalyse (non publié).

(2) إستشهد به L. Irigaray عام 1977 .

يمكن التوصل إلى معرفة هوية المرأة إذ يستبعد منها المركبات والمتعة ؟
ان هذه الهوية لن تعرف نفسها إلا في الكائن المرأة .

يتعلق الأمر بشيء بسيط أقل مما يتعلق بكلية تجربة معاشة . ف نموذج
الداخلية ، الأنثوية ، حتى لو لم يكن إلى الآن موضوع نظرية ،
يستطيع ، وفق رأيي ، تقديم جواب ممكن لبعض الأسئلة المطروحة
من قبل جوهر الأنوثة . إن هدي ، في العمل الحالي ليس مواجهة
القضايا بالداخلية . بل تغيير تمثيل علاقاتها بواسطة التعرف على
نوعية الأنثوي ، الذي ليس في الحقيقة إلا نوعاً من التفكير مشتق من
وجود المرأة . قضية مهمة لأن تميزاتها تبني الجهاز النفسي منذ العمر
الأكثر إيكاراً .

ولا يجب أن يؤدي هذا النموذج إلى فكرة أن كل شيء يرجع إلى
الأساس السجلي . إذ ان الداخلي الأنثوي ليس مجرد رحم . ليس أكبر
من القضيب للمرأة ، فهذا الداخلي ليس فعلاً غريباً عن المعاش وعن
كينونة الرجل . ليس كل شيء واضحاً جداً . وإذا كان فرويد ،
بمساعدة فليس (Fliess) قد أدخل في بناء الجهاز والعمل النفسيين
المفهوم ، البيولوجي رغم ذلك ، للجنسانية . وهذا رغم أنه تصدى له
في تحليله الذاتي ، ثم في تجاربه العلاجية .

ومن الممكن إعتبار الأنوثة كنمطية لحياة المرأة النفسية . نمطية
جوهرية إذا سلمنا بأن علم التشريح محدد للإحساس الجسدي ، مهما
استسلمنا لقدرنا الجنسي . نمطية توجد جزئياً لدى الرجل ، سواء
أكانت ترددات تستمر في الحتمية البيولوجية ، أو كان بناء الجهاز
النفسي يتأسس على التعقيدات المتماثلة لأشياء الحب الأمومي أو
الأبوي . فليست الأنوثة إلا فعل الولادة بواسطة فرج المرأة . وهذا

تصور يخفي مجموعة من المؤثرات ، من الطرق الانفعالية ، المرتبطة بتقديمتنا فضاء الجسد الداخلي ، بالرغبة في الحَمْل وباللذة النرجسية في أن تكون مملوكة كموضوع حب .

إن كتابات فرويد عن الجنسانية الأنثوية تجعله يستحق جيداً رد اعتباره لدى النساء . وقد جرت أفكاره ملاني كلين (Melanie Klein) إلى التمييز بوضوح بين التطور النفسي للفتاة وبين التطور النفسي للولد بدءاً من الأوضاع الأولى المثيرة للحصر والقلق . ومن بين اللاحقين لها ، بيون (Bion) وهو ذاك الذي كامل بشكل أفضل تجربة الشعور الجسدي بمحاولة التنظيم النفس تحليلية للحياة النفسية ولبناء الفكر . والواحدة والأخرى ، ينبغي الإشارة إلى ذلك ، قد أخذنا جيداً بعين الاعتبار الملاحظات المستمدة من الذهان والتطور المبكر للفرد .

هل سينبغي أن نقول إن بدء عمل الأنوثة سيجر تشكيل الأنا من جانب تقلب حدودها ، من الكفاح ضد جنون العظمة ومن الصعوبة الأساسية لسيرورات الانفصال ؟ إن الشعور بالذات يقيم شيئاً فشيئاً ما من المناسب تسميته الهوية ، الشقية والجنسية⁽¹⁾ . تجربة تأخذ معناها بدءاً من المعطيات الحواسية التي تبذلها البيئة للقدرات البنيوية للصبي والتي ستوثقها اللغة .

لتصوير اللحظات الأولى من الحياة النفسية ، فرانس توستان (Frances Tustin) تقترح تعريفات ونظرية اللاتميزية الانطوائية . فالمعاني معادل لـ « وضع » ، بالمعنى الكليني* للفظه ، سابق لأوضاع

(1) أنظر Stoller . ترجمة J. Mac Dougall ، 1983 .

(* نسبة إلى Melanie Klein (المترجم) .

كلينية وقادر أيضاً أن يكون مدرج فيها . وفي هذه الرثاية ، يستطيع تشوش المعاني الأولى ، في رأيي ، الارتكاز على المعاني الجسدي المرسخ ، بالمعنى السببي ، بفضل البيئة . إن اللعب الديناميكي للإسقاطات ، التواحدات ، الاستبطانات ستؤدي شيئاً فشيئاً إلى التفريقات الجنسية .

وبشكل غريب ومثير ، وعبر مسالك فكر تبدو متباعدة جداً ، انضمت فرانس توستان إلى فرانسواز دولتو (Françoise Dolto) حول المفهوم الأولي لصورة الجسد ، كأساس للهوية الجنسية . وما تدعوه ف . دولتو « لقاءات المرحلة الفمية ، والشرجية والبرازية مع موضوع اللحظة الليبيدي » هو بالتأكيد أكثر تأخراً بكثير في التطور النفس وظيفي من « الإحساسات المصورة » التي تشكل الآثار الأولى للهوية الجسدية لدى ف . توستان ، وتبدوله أساس الهوية النفسية : الإحساس يتشكل . والهوية الجنسية ، سواء أتعلق الأمر إذن بالمصير الليبيدي ، أم تعلق بالآثار التي تركتها الإدراكات الحواسية الأولى ، ترسو على صورة الجسد .

هذا المفهوم الذي أمدنا به بول شيلدر (Paul Schilder) ظهر بعده ، وبخاصة في كتابات المحللات - النساء . نتيجة للعلاقة الضيقة التي تنشئها المرأة بين مظهر جسدها المرئي الواضح ، القابل للتحويل وبين المعاني المكبوت : عاطفة ذات ثقل داخلي مقنع و / أو مكشوف بالصورة المرآوية ؟ إن نقطة الانطواء الأكثر باطنية ، الأكثر خرساً ، الأكثر جهلاً ، ربما هي تلك النقطة حيث يُعَبَدُ الأنثوي . ويظهر العصاب عندما « لا يتشكل كتاج » هذا العامل الأساسي للشخصية

(پ . فاديدا P.Fédida) ، وفق المعنى الذي تمنحه إياه البيئة العائلية المؤسسة لشروط التمييز الجنسي .

وإذا كان السلوك ، كما أشار إلى ذلك بيون Bion بعد فرويد ، هو تعبير الكائن الذي ، هو نفسه ، مصدر الفعل ، ينبغي الاعتراف بأن الرجل بحتميته التشریحية موجه نحو الفعل ، التحطيم ، الخارج . حصره وقلقه هو في قدرته على التصرف . وعلى النقيض من ذلك إذا حُدَّت الرثاية في العلاقة الجنسية ، تصبح المرأة مادة للذة الرجل ، وللإشباع الضروري لهذا الرجل للشعور بهويته الرجولية وتأكيداها . « المرأة - المادة » رغم الاحتجاجات التي قد تثيرها هذه الصورة في معناها المحدد ، ليست فقط تخفيضاً للذكوري المحوري . إنها صورة جزئية وسطحية للمرأة الشيء ، التي تشارك برغبتها الشخصية النرجسية في الجاذبية والفتنة . إن المرأة مقدر لها أن تغوي وتفتن ، وليس لهذا تتوصل إلى الإشباع الحبي .

وبالمقارنة مع تعبيرية الرجل العضلية ، البارزة جداً في المراهقة عندما تختلط بالبحث الجنسي ، يمكن القول إن لدى الفتاة « الأشياء تحدث من تلقاء نفسها » ، في الباطن ، تحت غلاف جسد تكفي تغيراته المرئية لتسميتها امرأة ، وأحياناً رغماً عنها عندما لا يتبعها تطورها العاطفي منطقياً .

إنها في جهة العتم ، جهة حفظ الحياة ، جهة العمل الذي لا يرى . والإدراك الحسي الذي تطلقه هو إدراك الغلاف الجذاب لمحتوى مبهم ، إن لم يكن لفضاء انتظار . وحصراً إذ يُصَف إلى جانب الإنتاج

الشهواني ، ومادية الحياة ، وعبء التغذية ومصادر المتعة ، يصبح عدم اعتراف بالقدرة على احتواء ، بشكل جيد ، فكر مجرد والنشاط النفسي الذي تحدته الرغبة في ولد مطلوب ومشتهى . وحينئذ سيكون الأنثوي اختصاراً للأنوثة . اختصار مصون بقدرة التفكير بشكل مجرد ، أكثر اختصاصاً بالذكوري لأنه مبتعد عن المادة . إعلاء للفعل مدعم بالوجود الذي استبعدت منه المرأة نسبياً بواسطة الصورة الاجتماعية التي نتداولها عنها . وهذه الصورة تختصر جنسانية المرأة بتحديدتها في شكلين فعالين : الإنجاب ، الذي يجعل مفهوم اللذة الجنسية عديم الجدوى ، والبغاء ، الذي يفسد هذه اللذة ويلغيها .

إن الرجل يفتح سلطته ونفوذه بامتلاك المرأة وإخصائها . لكن التنظيم الأنثوي لا يؤمن لهذا الفاتح نجاح تواصل لذته . من هنا إهمال هذا التقسيم ، وينبغي التسليم جيداً بأن الخطوة قصيرة وسهلة . إن النقص في التوافق الجنسي يحمل في ذاته نتائج ثقيلة لتحقيق المرأة الليبيدي ، وهي مصدر أو نتيجة لمراضتها العقلية . في هذه الحالة ، يطلق عدم قدرتها على التحكم بلذتها وجدانها نفسها إبانها في أغلب الأحيان سلبية أكثر مما هي إيجابية ، شكلاً من الحصر النفسي الأنثوي بشكل خاص . وبعض هذا الحصر النفسي يعود الى أن المرأة أكثر قرباً من رفضها . من عدم قدرتها ، من واقع جوهرها الداخلي . وإن الصعوبات التي تناوىء تطورها الليبيدي وتطلق مرضاة الجنسانية ، تظهر بوضوح شديد هذا القرب من ذاتها .

إذن إن المرأة مدفوعة إلى السماح بتصغير الأشكال اللطيفة لحياتها الجنسية والمتعة المنتعظة لصالح الوظائف المكملة للأمومة . ويحل

وضوح الحبل لبعض الوقت محل الرغبات غير المشبعة من قبل الرجل . إذن إن النرجسية التناسلية تضم وتخفف الثغرات المعانة على مستوى النرجسية الجنسية بشكل دقيق . وعضواً عن الشعور بأنها محبوبة ، وأحياناً أن تحب رجلاً ، ستحب أم المستقبل طفلاً وستشعر أنها محبوبة من قبله . إن الوسائل العلمية الحالية الموضوعية بتصرف المنجبات المتعاطفات تمنحهم حتى وهم أنهم لم يستطيعوا إبعاد الرجل من رغباتهن .

وعديدات هن النساء اللواتي يفلتن هكذا ، إلى حين من الانهيار العصبي الذي يلاحقهن . فالولد الذي لديهن والولد الذي تكنه مقدر لهما الواحد والآخر انفصال مؤلم جداً . وتشارك مشاغل صيانة المنزل العائلية والخاصة بالتغذية ، حتى المختصرة ، أيضاً في هذا الشكل من الحب الذي يسهم في تدبير الحياة وحفظها . ولكن الإنجاب ليس سعادة المرأة ، إنه سعادة الأم ، والبرهان على اختلاف جديد . إذا كان واضحاً جداً أن الأنوثة لا تختزل إلى أمومة ولا إلى إنجاب (هذا ما سماه كريستيان دافيد Christian David « الأنثوية ») ، ولا إلى الانتعاش المهبطي ، فليس بأقل وضوحاً أن الأنثوي يتضمن الأنوثة . وإذا اتفق ، كما قلت ذلك أعلاه ، على أن الأنوثة ليست إلا وضعاً للكائن - المرأة ، ستكون المرأة كائناً يضم مفهومه الأنوثة والأنثوية والأمومة .

إن الأنثوية تستدعي في الآن نفسه صور المخترقية والسعة . ولا تنفصل كذلك عن إستيهامات الإدخال ، والإمتلاك ، والاختناق والقدرة القاهرة للجسد ومع ذلك الفحلة . إذن مفهوم يقترب من مفهوم الثنائية الجنسية بواسطة إستحضار القدرة الكلية التي تثيرها .

وقد يكون لغز الحبل مصدر جاذبية لهذه القدرة الكلية أو مصدر رعب لهذا « الفراغ غير المحدود » الذي ، وفق ج . ماك دوغال ، تصله الأم بالمستقبل الهستيري .

اللحظة

إمرأة . أن تكون امرأة ، ببساطة امرأة . ليس سهلاً جداً . أم ، بكل تأكيد ، وإلا ماذا ؟ عاهرة ، طبعاً . إنجاب أو لذة الذكر ؟ بين كل هذا ، الفتاة الصغيرة التي تولد فتاة يتحول جسمها . الفتاة الصغيرة التي سبق أن تشوقت بدون أن تعرف إلى ماذا ؟ المراهقة التي تعرت جديدة ، التي تشعر بالضرورة ، التي تجرؤ أن تحب . التي تنتظر حياة آخر . الحياة التي تحتويها في شكلها المشوق ، الحياة التي تتفجر من غلاف جسدها .

أن تصبح امرأة . عبور إلى الحب ، عبور إلى الرجل المشتته . من الرجل الذي لن يكون فعلاً محبوباً إلا إذا كان هذا العبور مصدر لذة ، ولن يكون إلا قليلاً .

لحظة هشة . توقيف شامل للأنوثة . نجاح غير مؤكد لصيانة شعلة . كل الأمام ، كل الخلف معقود في هذه اللحظة . هناء أن تكون فتاة ، وسعادة أن تكون أمماً .

الفصل الثاني

إندماجات

الخارج / الداخل

إن الدفء الأساسي غير محسوس إلا بالحرمان المحتوم . سواد الداخل . صدى محمّر . التحرك المعاني ، الشرس ، الملح . الكل الذي يثير ويقلق ، يتقلص ، يستدير نحو ماذا ؟ الطرد من الحياة الذي يتحقق بأية لهثة مصروخة ؟ أي فضاء متوقع للغلاف الواهي المخترق من كل جانب ؟ ركام الجسد المذعور والرخو ، الرطب والجار . الفراغ الجديد للعموم من دون سائل . الاقترابات المتصلبة لأجسام غريبة ، للهواء الذي يفعم ، للضجة التي تجتاح ، للضوء الذي يغلف . البصرخة التي تحرر . الألم الذي ينزل على السطح كصدفة دبقة : ملاستها تعطي للجسد شكله . بعض الأشياء تتحدد من داخل منسي مسبقاً الى داخل معاش ، بدون خارج أيضاً . الحاجة العنيدة غير المشبعة آنفاً ، الجديد المعاني ، الصيرورة المقلقة . لقد وُلد الطفل .

الحصر الأول : الحاجة ، الوحدة . النزاع الأول : القوى الحية والفوضوية التي تتخط فيما بينها نحو نظام عامل . الجسم العضوي يواجه استقلالاً سبق تأمينه ، وينضج في جسد الأم المكتمل . الجسم المحرّك يجهل نفسه وينام ، باستثناء الحنجرة المرّدة والضاجة ، والهياج اللاجمدي المتغشي في الأعضاء . الجسم الرقيق يندهش ، ويتفجر دورياً

ويفكر ملياً . الجهد هائل ومتك في جمع بقايا الخارج في الداخل . نواة صغيرة باطنية تدور حول ذاتها ككبة غزل تتضخم بالخيوط في كل دورة ، مشدودة جيداً حيناً ، وحيناً تسمح بإفلات الكومة الجديدة المتكاملة بوهن جهد الولادة ، ألم متقاسم مع الأم لانفصال الواحد عن الآخر ، هو ربما النموذج المبذول لجميع تطورات الكائن البشري . إستقلال جسم الطفل ، ما أن يقطع الحبل السري الذي يقيه في الجوف المغذي ، يمثل بدون شك الصيرورة النفسية والاجتماعية لهذا الطفل .

من بين كل الكلمات التي تفيض حولنا ، والراغبة في قول قلنا البسيط في العيش ، بعضنا مع بعضنا الآخر ، تعود بقوة الكلمات التالية : استقلال الأنا ، ذهان ، تبعية .

إن العمل التحليلي الصعب الذي تبيّنته م . كلاين يقربنا من فهم أكثر حدة من أنا جنينية . رضى / خيبة ، حب / بغض ، سعادة / غيظ ، مواجهات مستمرة في الرضيع الذي سبق أن أظهر التعارض الجوهري للكائن .

إن الرد النبيل والسمح للأُم على صراخه هو الذي يهدى قلق المولود المطرود حديثاً من الدفء الرحيمي . الرد الوحيد من ثدي مرضٍ سيعطي معنى لهذا النداء المطلق من باطن الرضيع ، وسينشئه ولداً رجلاً عبر تكاثر جسده المجهول من ذاته نفسها .

أيمكن تخيل الاعتراف برغبة إذا لم يكن غالباً وغالباً راضياً عند طلبه ؟ إن المسيرة الأساسية نحو تكامل التجربة المعاشة لا يمكن أن

تكون إلا إيجابية . وإبطال مسيرة مماثلة يولد انقطاع الامتلاء والفراغ ،
واسماً هذا الأخير بالموت . إن الاستمرار الليبيدي في مستقبل الولد
ينتج عن التعمير الداخلي عند كل رغبة مشبعة .

في ضروب الكبت الأولى ، الرغبة غير المشبعة تنضم بدون شك إلى
حصر الولادة : غياب جذري لباطن منتج للحياة . ويبقى داخل
الذات فارغاً مثل الخارج بعد الحياة الرحمية ، مختلط واحدهما بالآخر .
اختبار أساسي ومبكر للموت . حياة مفرّغة في اليأس الحائق لعدم
القدرة على الوجود ، الغوايط الموظفة في الإحساس بإفلات قليل من
كثافتها الباطنية .

الطفل ، الضعيف والمحتاج ، يكرر طلبه ويشعر بأنه يحيا عبره إذا
أجيب عليه في أغلب الأحيان بالحصّة المهدئة . وهل سيكون للكبت
أسباب في الوجود قبل أن يتمكن الأسي من الدخول في موازنة مع
الإشباع الأساسي ؟ إن الطفل يجد بسرعة في ذاته ، وبشكل عفوي ،
المصادر الموقّنة الملتطفة لحاجاته . وتهدهه اللذة المتوهمة لفترة بالوهم ،
إذا كانت اللذة الحقيقية قد سبق أن أفعمته . ويحمله وهن العالم المحيط
به على إدراك نفسه في جسمه المتعطش ، وينفصل بعض ذاته من هذا
الكل الناقص ، ويضعه على مسافة ، يضمه في خواء متسع للتأثرات
الأولية . جيسدي هو أيضاً داخل ذاتي .

وتسلّمه اللاأنا إلى فم متشوق إلى الامتلاء والشبع ، في الوقت نفسه
الذي يُهدد الكائن كله ، ويهتدي بواسطة شبه أنا الى الحركة
والحرارة ، الوحيدتين المعروفتين قبل الحاجة .

إن الغلاف - الجلد السريع العطب يعيد التماس الموطن الذي يؤسسه دفاعياً . والفتحة - الفم ، المحقق بواسطة السائل الممتص ، تفقد رعب الحاجة المقلقة ، المثلة للفراغ - الموت ، الثقب في طمأنينة الأحشاء خارج التشنجات الجائعة . اكتشاف دائم للمخلوق الصغير جداً ، واحد من تمثيلاته الأولى للذة أو الحرمان . والإمكانية البدئية للتفريق بين مصدر هذه اللذة والجسد الذاتي . ولأنه مدمر باستمرار من جراء الهجر المعاني بعد بطن الأم ، فهو مثبت باستمرار في الشك بالوجود بواسطة الهبة الأمومية . لكن الغياب الموقت لهذه الهبة ، الحرمان الباطني ، يولّد الوعي بهذا الباطن كما هو ، منفصل عن موضوع الرغبة الذي يفعمه ويرضيه ، متحولاً إلى جزء من ذاته . تماماً كما كان في كليته ، جزءاً في جسم أمه ، ويشعر أنه مصدر لذتها وموضوعها ونتيجتها .

وحوالى العام 1750 تخيل كوندياك (Condillac) تمثالاً يتولد في إدراك الحواس . فرائحة الورد التي بوساطتها يظهر الفيلسوف الحياة الحواسية لهذا التمثال ، تتوجه الى رد حاسة الشم ، لأنها ، من بين جميع الحواس ، الحاسة التي يبدو أنها تشارك بأقل قدر في معارف النفس البشرية . « فليس لجسم التمثال وظيفة إلا حاسة الشم ، ولا لذة إلا رائحة الورد . ومع ذلك وصف كوندياك بأسلوبه نظاماً مماثلاً للعمل النفسي الذي نفترضه اليوم : « فالرأي ، والتفكير ، والرغبات ، والأهواء إلخ . . . ، ليست إلا الإحساس نفسه الذي يتحول بشكل مختلف » .

وأبعد من ذلك ، إن الطبيعة منحتنا أعضاء لتنبهنا بوساطة اللذة الى

ما ينبغي علينا البحث عنه ، وبوساطة الألم إلى ما ينبغي علينا الفرار منه . ولكنها توقفت هنا ، وتركت للتجربة مهمة حملنا على اكتساب عادات وإكمال العمل الذي بدأته .

إن الشعر التحلفي* سيجدنا ميالين اليوم إلى اختيار النرجس أكثر من الوردة ، لكي نصور التجربة الأولى التي تخيلها كوندريك . ولكن قرنين مرًا وأعاد التفكير بالأحداث مع فرويد . فالنرجس هو الزهرة التي تبقى باستمرار في كل واحد منا كرائحة ثمينة وهشة . إنها تطوي على ذاتها نظرة القلق والحصر وتبحث عن تطمين ذاتها بأن شيئاً لا يوجد خارج جسدها وذاتها .

أن يُرغب جيداً في إطلاق اسم رغبة أو ليبدو على ما يظهر عندما ينقلب البشري نحو عمق ذاته . ودائماً من أجل روي عطش النرجس الذي يتأمله ، يطلب بعضه مع ذلك من الآخر الخارج عن حدوده اللحمية والجلدية . بالصوت ، والرؤية ، واللمس وحاسة الشم ، يشكل الإنسان من جديد ، وباستمرار ، صورته الخاصة . ويتكامل جدل الداخل / الخارج بواسطة النظام لذة - ألم ، أنا والآخر ، حتماً وبدون انقطاع . ويحمل النوم نفسه للحالم استمرار هذه الإوالية التي تؤسسه .

*) التحلفي Psychanalytique أي التحليلي النفسي . وقد نحتناه من (حلل نفسياً) ، ناهجين فيه طريقة القدماء الذين نحتوا حوقل من جملة ، لا حول ولا قوة إلا بالله للدلالة على فعل قولها . ويعطينا هذا النحت فعلاً هو (حلفس) أي حلل نفسياً ، ومن هذا الفعل الجاري مجرى الأفعال العربية يمكن اشتقاق كل الكلمات المتعلقة بالتحليل النفسي La psychanalyse (المترجم) .

ولم يكن المفكرون يقبلون ، في عهد كوندتيك ، أن يعرفوا أنفسهم ، ويعترفوا إلا في امتلاء حياة راشدة وعقلية . وقد تخيل هو نفسه جسماً ونفساً طاهرين من أية تجربة . ومزايا العالم الخارجي منتمية بشكل خاص إلى هذا . ولم يعد إلى المصدر الطبيعي للحياة ، إلى ولادة الجسم نفسه ، ولم يمتلك أيضاً فكرة أن هذا الجسم وهذه النفس كان لهما أنفأ ماضٍ عندما سلمتهما الأم إلى أحاسيس البيئة الخارجية . ومع ذلك كان مرامه مماثلاً لمرامنا : إيجاد كيفية تشكل الداخلي في الكائن البشري ، عواطفه ، وفكره ، إنطلاقاً من المعطيات التي كانت في البدء غريبة عنه وخارجية ، والمعطيات الأخرى التي كانت فطرية فيه ، وعضوية ونفسية . إنه يرتاب رغم أننا لا نولد راشدين ولا « فارغين » ، مثل تمثاله ، ولكنه لا يتصور علاقة العالمين الخارجي والداخلي إلا على المستوى النوعي للـ « تقديمات » .

إننا نولد بجسم عضوي عامل منذ فترة سابقة وجهاز نفسي بالقوة . وسيكون ظالماً وغير مجدٍ لوم عالمنا النفسي على عدم إنجاز مذهبه التجريبي قبل أن يحين موعد ذلك .

إن افتراض « معنى واحد » للتمثال هو رؤية عقلية تغض النظر عن كلية الإنسان الحقيقية : فالموضوع الخارجي الذي يحدث الإحساس ، شعرية الورد ، واحد من الحقائق التي تصبح شيئاً فشيئاً جزءاً متمماً من الحقيقة الخارجية للذات التي يكونها الطفل . ولكن يمتزج بها ما يحدث اللذة ، التي وصفها كوندتيك بالفكرية . ماذا لديها من ممتع رائحة الورد هذه ؟ التأثير الأولي المرتبط بها ، الحقيقة الداخلية ، استعادة للتداعيات السعيدة لماضي التمثال . فبدون الماضي يستطيع

التمثال تقدير عطر ممتع أو كريبه ؟ إنه لا يمتلك معايير للذته إلا مقياس استحضار هذا العطر ، علاقة داخلية ممتعة في بيئة وفي ذاتها .

كتلة واضحة وغامضة في استداراتها الصلبة والضبابية . ومنغلقة جيداً على ذاتها ، منذ الأزل ، حافظة لمجانساتها الداخلية حتى النواة الصغيرة العميقة المنتجة من ذاتها : اللعبة الأم . صورة البحث الداخلي ، الظاهر : المطابق لذاته ، للفارق القريب ، منفتحاً على ذات أخرى حميمة . خارج مصقول وملون ، مطمئن بصلابته المتجانسة . طمأنينة الابتسام ، لغز الداخلي الغامض تحت السطح بغير خشونة .

كل شيء يمكن تخيِّله : تفاصيل توالداته الداخلية ، المتعددة والمتماثلة ، المدججة بشكل مثالي ، المتنوعة في المظهر ومن دون تغيرٍ مقلق . ففي هذا التجويف المفتوح بواسطة ، أستطيع أن أرى أن آخذ وأرجع ، أفرغ وأملأ . بدون خطر ، حتى آخر بذرة صلبة ، شكل متماثل ، بدون فتحة . لم يحدث قط شيء آخر ، إلا التحقق الممكن بشكلٍ حصري دائماً والمشابه لنظام الداخلي . دمج مغلق ، محدود ، طيبه مغلقة مجدداً على المعروف المطمئن . لا منافسة ، ولا عاصفة في هذا الجسد بدون حركة ، بدون أعضاء ، بدون زائدة فطرية ، أعضاء مقعرة يستقر فيها الآخرون ، كل واحد يؤمن للتالي مكاناً مريحاً ، متطابق مع حدوده الشخصية . فلا نزاع . ولا خطأ .

ولكن النواة المركزية ، الحاملة الصغيرة جداً للإكمال والإتمام ؟ هناك يبدأ البحث المقلق . هل تخفي فتحتهما ؟ بماذا تحتفظ ؟ من أجل من هي هناك ؟ هي « ممتلئة » . لا تجويف . لا شيء بعد . للغز فيها غير

محدود . وخطر اللايقين المههد المتوعد . بالرجوع القهقري ، يمكن إعادة تشكيل كل واحدة أكثر اتساعاً ، أكثر ضخامة ، وأكثر إرعاباً . الوصول الى هذه الأم ، الضخمة ، والمغزوة . بماذا تحتفظ خلف ابتسامة وجنتيها الورديتين ؟ إنها تطلب الشار الحاسد من محتوياتها المرضية والمتعددة ، الغيرة من هذه الخصوبة الهادئة المنجبة في ذاتها . عدم فتحها ، الحذر . إنه فح الإغواء بواسطة السعادة الهادئة للأمومة المكتملة ، للمرأة الممتلئة ، بالصور والأطفال ، بالعوامل المرغوبة وغير المعروفة .

يلعب الولد بالدمية الأم : يفتح ويغلق ، يسحب واحدة ويضحك من أخذها ، يعيد الأخرى ويسيج الجميع في هذه الأم التي تهدده بحنان بين ذراعيها . بوظيفة الحقيقة الحواسية تعبر الرموز ، العيون والأيدي تهديء الحصر النفسي في الباطن الأمومي . ويقوم الملجأ الذي تقدمه القشرة الملونة بإحياء هناء ما قبل العالم للطفل ، وحتى لو ، في كل هذه اللعبة ، ظهر أحياناً الحصر النفسي العابر من مفاجأة ممكنة :
fort und da

ويجد المعالج المتمدد كذلك ، قرب المحلل ، الوهم الأمومي الانكفائي . المخيف المنغمس في ذاته ، حيث العالم الداخلي سينكشف . وسيعثران فيه على الأمور المرعبة والحلوة اللطيفة ، الموضحة بلا انقطاع ، والمعاد دمجها نحو الخارج . والمحلل ، الشكل - الدمية الأم الذي فيه يرمي المعالج ويستعيد دميات فراغه . إعادة إنشاء مرعبة لكل صورة ، أكثر كمالاً وحزماً .

السبي Elsi عمرها ستان ونصف . ولأن لديها رهاب منذ وقت

مبكر ، خضعت لعلاج في غرفة مجاورة ، وأمها ، بقربي ، تحاول استعادة جسدها ، الذي ألغاه إثم رغباتها غير المسكّنة . ذات يوم ، ظهرت ألسي فجأة عندي : لقد أتت لتحقيق من أن أمها هنا فعلاً ، وحيّة . وبرهن لي مظهرها الضائع وحديثها القلق ، بشكل واضح ، الطمأنينة التي جاءت تبحث عنها في فضائي . في ذاتها ، أمها ماتت ، مقتولة من الحسد . وكل مواضيعها الداخلية تحتشد في جسد دمية مقطوع كانت تمده لي بلا يقين الأمل : « أصلحيه سيدتي ، بشكل جيد من أجلها » . ثم التصقت بأمها . وكانت الأم والطفلة المتجمعتان في المكان نفسه ، تستعيدان في هذه اللحظة الدخول الممكن لجسديهما الواحد في الآخر ، في الرحم الخصب والمعاد اختلاقه في الفضاء التحليلي . فما وراء الانتهاء المعلل لهذه اللحظة ، كانت اللذة العفوية تجمعهما ، متحدرتين الواحدة في الأخرى .

إن تشوش الداخلي / الخارجي للمعاش عند حافة غابته تتحدد شيئاً فشيئاً بنقاط حادة : المعابر تتحول . ولأن الجسم الكلي ماض هو نفسه ، فقد عانى داخل / خارج الأم ، محفوظاً ومنزلقاً خارج الثقب الحار .

إن الإدخال المطلوب للثدي يهب حياة ، والحياة لذة عندما يستعاد الحار المنساب في الباطن من نسقه المنظم نفسه . ويستقر الإيروس عند حافة الشفاه . على سطح اللسان ، في البلعوم وفي تشنجاته اللطيفة . إن إنزلاق الحليب في الفم ، والحلمة في اللثا يجمع في نقطة واحدة إمكانية إعادة خلق باطن شهواني مثل ذكرى ذاك الباطن حيث كان الجسد يعوم . وتوسعيد حاسة الشم وتقرب الحضور الأمومي والطعم

المغذي . وتتوقف الحياة على هذه التجربة الأولية للرضى المنشود عبثاً أو المحصول عليه . وينتشر الألم بسرعة في كلية الانفجار غير المشبع للقم والغريزة المولودة مجدداً بيأس عاجز : الصراخ والغضب تحل في الحلق المختلج محل الدفء المهدأ بالشبع والامتلاء .

في الجسد ، لا يوجد الإيروس إلا عند عتبة الداخلي حيث تدوي كل لذة عضلية أو سطحية . ويضاعف اللمس والإمساك مرحهما . وكل قطاع قابل للإثارة الجنسية ، بدوره بواسطة السيرورة نفسها ، من السابقة التي تُضعف وتضم ، تأخذ حياة وشكلاً خاصاً . إن وحدة التجربة تتجمع في أنا : هذا الذي ينزلق في جسدي بمخارجه الراغبة ، يعطيني امتلاء . هذا الممتلئ جداً أيضاً الذي يفر ، غائط ، بول ، قيء ، وصراخ ، المرمي في اللذة المقلقة للتسلية ، يتركني بشكل غريب بكرةً ومجددة .

قريباً ، يحشد الولد في الكلام آخر نمط للعبور بين جسده والعالم . لقد ركبَ البشري على نحو يجعل مصيره أن يكون مخترقاً بالعالم الخارجي : لنعترف بحق كوندياك في أن يتخيله إذا مسلماً إلى الإحساس . فالحواس البشرية هي بقدر منافذ مفتوحة على التطفل كما على اللذة . والغلاف نفسه العائد للجسد ، الحساس كله ، يسبب إمكانية ثقب مقلقة . وإذا كل الخارجي يمكن أن يكون لذة ، الكل كذلك يمكن أن يكون خطراً ، والداخل يجتاحه المعتدي . وتمتج الجدلية الحواسية مباشرة بالعاش الداخلي لدى الرضيع ، لتشكل الاستيهامات الأولى . ويتطابق المعاني الحشوي مع المعاني الحواسي ، ينضاف إليه ، يخلط المدرك والمرغوب ، بالحس والجسد الشديد .

والشاب البالغ ، الممتلئ في عضلاته ، الممتلئ في بروحه الفاعلة المسؤولة كل يوم ، يقوده الحب إلى استعادة الجدلية الشهوانية للمعابر من جسد إلى الآخر . وتحير اللقاءات الأجسام الرجل والمرأة ، الأم والأب - الطفل ، وتجمع في ذاتها كل مشئت في جسد الآخر .

العودة إلى الحالة السابقة الموجودة في الأنا ، كما افترض أفلاطون سابقاً ، محرض نفسي وفق فرويد ، التأمّت الدائرة على اللذة ، أو على الجحيم . اللذة والحصر يتلامسان عند كل تنفس .

جحيم الدهان ، جحيم الجسد المثقوب في حدّه المتروك للعدائية الدائمة المتدفقة من الأعضاء والأشياء . جسد مخترق من كل مكان ومهدد من كل المنافذ الطبيعية في رغباتها نفسها . فالذهاني هو سان سباستيان يجييه بلا انقطاع صدم السهام ، نفسه ، السهام التي تقتله . غلاف ممتلئ بالألم العضوي ، بالارضى الفارغ للحاجات ، بموضوع لذته نفسه . من كل فتحة من جسده يبقى ممكناً الخرق ، والاعتصاب والإفراز المमित والمستنفد للمادة الحية : « ما أعتقده عنك فظيع . وسيخرج نخاعي من عيني ، وأذني ، وأنفي . أنت تقتلني بمحادثتي . حتى لو كنت لطيفةً . لا يستطيع الداخلي الوقاية من اللطيف . أنت لا تعرفين كيف هو هناك . هذا متأخر جداً » وبضربها الصدر والرأس اليائسين ، تتقدم هذه المراهقة التي فقدت الشهية للطعام نحو الرغبة عبر انهيارها العصبي .

ولكن بالنسبة لآخرين إن اللذة الراضية تنزلق على الجسد وبالخاصة : شمس ، موسيقى ، عطر ، غذاء ، ونعومة العيش وإذا كان الجسد في ذاته يعمل ببساطة ، فإنه يتوصل إلى « هذا القسم من

الإيروس الملتفت نحو الموضوع » (فرويد) .

بخلاف الليمس الذي يخص الجسم كله ويحدث قدرة التحرك ، فإن الحواس قد تكون أولاً مكان الغزو . الشم ، السمع ، الرؤية تتنبه عند الولادة ، وحتى حوالى السنة ، لا يبدو الطفل مميّزاً الداخلي في ذاته من الخارجي ، إنه يميّز ، في حوض ملوّن ، أصباجاً مختلفة أكثر مما يميّز أشكالاً . عالم ذو تدرجات لونية حيث الأشياء ليست إلا صوراً لونية ومتحركة غير محددة بخطوط وأحجام . وهكذا يشير صوت الأم الطفل بالحضور الذي يجمعه إلى هذا الكثيف الملون . إنه مخترق بالمعطيات الحواسية ويسمح لنفسه بالامتلاء . ويرى نفسه مدرّكاً . فيتعرف على الرائحة ، والصوت ، واللون . ويجمع هذه الاحتكاكات ويجعله مجموعها واحداً . وفي بعض الأشياء من كائنه يتنظم اللا - أنا الذي يجابه أثناء كشف نفسه هذا المدرك الآخر الذي سيكون أنا .

لقد أسعدنا أن نكتشف في كتابات هذه الجدلية ، المستخدمة على نمط قريب جداً من التحليل . إذ تتبادل السيرورات ذات الحساسية الخارجية والسيرورات ذات الحساسية الداخلية بناءهما الدائم لبناء الذكاء والشخص في الآن نفسه . ويتركب البشري من الخارجي الى الداخلي إلا إذا كان ذلك من الداخلي إلى الخارجي .

لقد طلب الملك داوود* ، الذي يلاحقه أعداؤه ، من الله مساعدته . ووصل سريعاً أمام مدخل كهف يخفيه نسيج عنكبوت .

(* داوود: ملك إسرائيل (نحو 1015 - 975 ق . م) قاتل العملاق غوليت ومؤسس القدس .

واجتاز داوود النسيج واتخذ ملجأ في التجويف الطبيعي . ووصل الأعداء سريعاً ولكنهم وجدوا الستار العنكبوتي مشكلاً من جديد أمام المنفذ ، ماحياً كل شك بعبور حديث لقد أنقذ الملك وحُرر . ومثله ينغلق نسيج اللاشعور أمام الرغبات ، تاركاً إياها تغيب عن الوعي في صحراء المكبوت . فداخل الأنا ، البشري مسجون ، معزول عن العالم الخارجي ، عن الأخطار الأخرى والمتشوقة . ففي عمق هذه الأنا المتوحدة المنعزلة يسترد الألوهية النرجسية والمحرة للقلق والحصر . وتنسج إلى الأبد ، حشرة الأنا العليا خيوطها الحامية بين الأخطار الخارجية والأنا ، وأيضاً بين الغرائز الجنسية المقلقة والأنا ذاتها . وبلا إنقطاع يستقيم التوازن بين القانون والرغبة ، بين العالم الخارجي الذي يقسر ويهدد ، والعالم الصغير الداخلي للكائن الحي . إن الأغلفة المتعاقبة تخفي في نواتها النهائية برعم النرجس المزهر .

إنني متحررة في حصر العيش ، ولا أكون كذلك إلا في هذا التأمل المستحيل لأنا مسترد في حمى الكهف الأمومي . باطن مغلق على باطن : عدة إلى ينابيع الحياة التي يستطيع الموت أن يصبح صورتها .

لعل فرويد ، كاتب فيما وراء مبدأ اللذة ، قد يؤسس هذه المحاولة لاسترداد باطن ممكن لجسده الذي كان يشعر بداخله العدائي والقابل للانجراح يتجزأ ويتلاشى عندما تنبجس فيه الحقيقة الوحشية .

الاهتداء إلى الله ، في عمق كل منا ، في النار العميقة . ملجأ خيالي للدخلي المنظم أخيراً خارج متناول التعدييات . مسجون وحر : أنا ، وحيد ومحصور ، ولكن حائز على القدرة المسخرة للأنا العليا ، أنا مرمة

للاشعور بلا نهاية ، حرفي ثروات مخبأة خلف النسيج العنكبوتي للكبت .

هنا ، اليوم ، لا يوجد داخلي . هذا الصمت . . . أنا لا أنام . أشعر أن لا شيء هناك . لا مدرك ، لا كلام ، لا عضوي . الجهد ذاته ، لأكون حساساً بجسدي الخاص الحار على الوسادات : لا شيء . أنا ؟ سائل الحياة غير محسوس لأنه يمضي وحده ، منظماً جيداً ، بلا رائحة ، ولا لون ، بلا رائحة . ولكن إذا فتحت عيني ؟ مستعيداً الداخلي في الخارجي .

التعرف على المكان ، تذكر أنني موجود . جيد بملجأ ، في اللاشعور ، المكبوت . منسي من الأنا عمداً ، موضوع « جانباً » ، لا أستطيع بعد أن أكون ضائعاً . سر عميق ، سر أقل شمولية من مجاملة الأنا لا يتركها تفهم .

المحلل الفاضح ، مرآة الخارجي : إنه يعكس صورة ، صدى . ذاك الذي ينظر يرى نفسه من الداخل ، مع نظرة آخر . وهم المرأة الذي يبقى على السطح ويغلق السر على ذاته .

من أين المضي نحو الباطن ؟

بالإغواء . الصورة التي ينشئها المعالج ، بمهارة ، بقلق ، لذاته وللمحلل المرأة . الصورة المصلحة بلا إنقطاع للمحاولات الخجولة أو الجريئة . صورة الذات ، بقايا من المثال مختلطة بأجزاء من الدنيء الخسيس . أيها سيتغلب ؟ إغواء المحلل أو فتنة سره ، من الجانب الآخر من المرأة . السر الحقيقي .

« لقد أحبطت وأوقفت الإغواء . كل ما كنت أقوله كان يحتوي على روعة مخصصة لك . لقد رددت ببساطة جملي . هذا لم يخرقك . أنت لم تقع داخلاً » .

ولكن داوود دلف داخل الكهف . لماذا يخبىء ؟ المحلل والمعالج بينهما سر . خلف الغشاء الشفاف الذي نسجته الحشرة ، كل امرئ يجد نفسه وحيداً مع لا شعوره . في باطن خادع ومطمئن ، حيث يحتمي الأكثر سراً . ألن يكون هذا كذلك بين هذه العنكبوت المجاملة والمهذبة ، وذاك الذي تحميه بكل خيوطها ؟

إن اللحظة الأصلية ، المرئية عبر أية مرآة ، مودة جانية يعمل المحلل ، مثل مريضه ، على إعادة بنائها . عدم القبول بامتناع السر . الكلام الهادي ، المماثل للصورة بل مسافة ممكنة ، يطلق بالخارجي الباطن الذي لا يطاق . هناك سر ، محبوب ، بلا نقطة مناسبة : تصور وحبل مشترك لدى المحلل والمعالج . متراكمة هي المواضيع الخيالية والأغذية المكوّنة للكائن المتحدر من تصوراته .

ويصبح مكتب المحلل الجسم الذي نسعى ، كالنا ، إلى إحياء الحقيقة الخيالية لتصورنا فيه . وإذ نتعرف في كل منا بالحشوي والمتذكر ، يحدث أقاربنا مجدداً فينا لغز رغبتهم المنجبة ، مشهد أولي معاد إبداعه هنا ، في هذا المكان المفضل الممتاز الذي تسمح لنا به ، في كل منا ، وبيننا . وضع من الأريكة إلى المقعد المريح ، تعريف مكاني لكلينا ، منضجاً أشكاله الباطنية نحو الميلاد التأويلي .

كيف المضي إلى الداخل ؟ بالسرقة أم بالاغتصاب .

خلف النسيج ، وحده معي . المعالج وحده مع أناه ، مناقشة متواطئة ومتعددة الأبعاد . ينغلق الباب عليه وعلي . خلف الباب : وحيداً في جسم الأم المعاد إنشاؤه . فضيحة ومحاطرة للرجبة المتعرف إليها حتماً .

تعرية الباطن ، العثور فيه على مواد الرغبة ، إبعاد النسيج للدخول ، الرؤية ، الأخذ والفهم .

« لقد حلمت ، قالت لي امرأة مرتكبة هفوة ، أنني كنت آخذ كل الثياب من منزلك » . كانت تريد بتسميتها التحف .

وقال رجل : « أكره التحف . إنها غير مجدية ، إنها تقلقني ، سأرميها كلها عندما أرى بعضها . أحب غرفة فارغة وعارية . أشياء من زجاج زجاج - إناء - مهبل - الأشياء تجعلني في حالة غضب ، حالة غضب منك . . . كنت أود أن أكون ولداً وحيداً » .

خلف شكله الظاهر ، يحافظ كلانا بأمانة على العلاقة الثمينة بداخله ، نعرض على مرآة المحلل المحايدة الباطن المتنكر : « اللباس قناع : يناسبني جيداً بشكل مخز » . بحيث إنه يكشف ما يخفي : الخزي . وتحت الخزي ، أكثر عمقاً أيضاً ، المحاولة السارقة للرغبة : « أنا أسرق ، قال لي شخص آخر ، الحلويات في المحلات . أخشى أن تجدها لتوك في أناي » .

غلاف شهواني واجتماعي ، ثياب من اللحم أو من الصوف ، غطاء محبوب وواقٍ من العدائي . الذي منه المحلل . تهديد مخيف من الباطن المخترق ، المثقوب ، الممزق ، الممطوط . نحو الكنز الموارى في أكثر

الأماكن عمقاً ، النواة الدمية الصغيرة جداً . التي لا تقسم ، ولا تستبدل . المادة النهائية للأنا ، للحياة ذاتها . في المكان التحليلي يتلاشى الملجأ الحميم ، والمناسب كذلك . كثافة معتمة متمردة بتحد مرتد على اليد المشينة . معرّة ، نعومة اللوز المقشر ، التي قد يقطعها المحلّل . « كانت أُمِّي تتطلب تبرجاً خاصاً تتفحصه بدقة ، على كرسي الحمام . . . خفت دائماً من الحوادث يتعرض لها أولادي . كما لو أن هذا الخوف كان ينبغي أن يرى مع اغتصاب باطني من قبل أُمِّي . إنها « تلامس » أطفالي في نفسي ، وتستطيع تدميرهم ، أخذهم مني . كما أخذ منها أخي الميت . . . أتيت هنا آملّة إيجاد أم تصلحني من هذا الاغتصاب » .

والأخرى ، عبر دموعها ، المعبر بها وحدها منذ أسابيع : « حوالى السنة الثالثة عشرة ، كنت أشكو من إمساك حاد ، وكانت أُمِّي تضعني أيضاً على المبولة كانت تتحقق ، كما أعتقد ، من عذريتي . . . وعندما وصلت إلى هنا استعدت شيئاً من هذا » .

إن عهود القابلية للانجراح تكشف بقسوة بالمعاناة المجزأة . لذة في الأثيم نحو ولادة مفترضة . حَبْل شفهي ، تذكر غير قابل للانتهاء للذات وللآخر .

تحت جلد المخمل ، قد تكون الثمرة مرة أيضاً . وحدة من الكرة ، والأسف ، وتأنيب الضمير ، مقبول بها بصعوبة بقدر ما هي مرفوضة . بناء مزعج للفضاء غير المحدد . مستند إلى ذاته فقط ، بالآخر ، اقتراب وئيد خطوة خطوة ، كلمة كلمة . دمية أم متجددة في

لا نهاية الداخلة اللاشعوري ، مغلقة ثانية على سر الذات ، ومفتوحة لسر المعالج . خبز يومي للمحلل .

پاندورا* الضاحكة ، النظرة ، الأذن و . . . اليد ، معلقة فوق علبتها اللغزية ، في لحظة لمسها ومعرفة تحدي النواهي الإلهية . أقل ضحكاً ، ولكن ليس أقل حشوية ، مستبدلة وظيفة اليد بوظيفة الكلام ، أشعر أنني نوعاً من پاندورا أمام كل معالج . ليس فقط القادم الجديد الى عريني ، واضعاً تجاهي على المقعد الشعائري كل متاعه الباطني وزيه الخارجى الجلي ، الذي ما زلت أجهله . ولكن كل معالج عائد إلى كل جلسة . ماذا سيخرج من هذه العلبة ذات الشكل البشري ، القريبة مني والغريبة في الآن نفسه ؟ أي هبوب سيندفع إذا سحبت قليلاً أيضاً هذا الحبل الذي أمسكته من غطاء لاشعوره ؟ سينبغي علي التقدم معه ، محروسة بماضي الشخصي ، في هذه المتاهة المشكوك بها عند الانطلاق فقط .

إمتلاء الجلسة

امتلاء المعالج

فراغ الانتباه العائم

المعالج الذي يملأ أذني

لاشعوري مع صده

(*) پاندورا المرأة التي خلقها هيفست انتقاماً للآلهة من الجنس البشري بسبب تفضله بروميثيوس عليهم بالنار . وقد أعطيت پاندورا علبة فتحها رغم تحذيرها فإذا بجميع الأمراض تنساب منها لتصبح قدراً مسلطاً على بني البشر . (المترجم) .

معالج لا يطرد الآخر ؛ إنها يتكاملان ويحللان أنفسهما في ذاتي .
وسريعاً أحدهم سيبنى ، في مكان الجلسة ، بين هذه الحيطان الأربعة
الصغيرة ، هذه الأريكة ، هذا المقعد المريح وهذه الأشياء ، علبة
الجواهر حيث يتمنى أن يرتب أمام عيني الجواهر التي يستخرجها من
فمه . مكان مترف هو مكتب المحلل ، مكان فضيحة كذلك . من
هناك ربما نحن إثنان ، وواحدنا للآخر حتماً ، في هذه العلية حيث
ستعصف كل الرغبات وكل أنواع القلق والحصر . وضع ناعم
وشائك ، بحده جرحنا أنفسنا للتو لأن في الخارج سيجتاحنا إعصار
المستحيل ، إعصار الوقت ، إعصار السرعة ، إعصار الفعالية .

إن الوجود الحلفسي (Psychanalytique) يحتوي إذن منذ البداية
على داخلي . ولا يرى هنا تلميح مفرط الى هذا الداخلي الذي يمكن أن
يقدمه اللاشعور . فالجزء الأول من هذا الوضع ، هو ربما لا شعوري
الداخلي . فداخلي المكان ليس إلا خارجي الممكن تحليله ، خارجي
الوجودين الواحد مع الآخر : خارجي الوجود وداخلي التملك .

هل سأتوصل إلى أن أشرح لنفسي ما يخص هذا العرض ؟ اللعب
الكلامي للتحليل النفسي ، سواء استقر على الوجود أو أن هذا الوجود
يتعلق به ، أو بالاثنين غالباً ، هو دائماً جدلية . لأن الكائن البشري في
نهاية المطاف له حتماً داخلي وخارجي ؛ ولكن ماذا يوجد أولاً ؟ البيضة
أم الدجاجة ؟ بعض الجهد الذي يمكن القيام به لتحقيق أمنية خلط
كلينا من جديد دائماً في سبيل هناء وهمي ، لن يتوصل إليه إلا بالولوج
إلى الموت أو إلى أنماط من الذهان . وقد واجه فرويد دائماً الأنا -
اللذة ، بالأنا - الواقع ، وكان التركيب منها صعباً لأنه يتضمن الموت .

مثل هذا الولد الانطوائي ، بدون كلام ، كل ابتسام ولطف ، الذي يندهش عند قدومه من الحديقة حيث تمطر بغزارة ، لعدم سماعه أو شعور أيضاً في غرفة اللعب ، القطرات على مظلته أو على وجهه . بالنسبة إليه ، الداخلي لا يبدو بعد قادراً أن يكون إلا الخارجي - رفاهية التمييز أولاً رفاهيته . إن الفصل لم ينجز ، ولم توضع الجدلية قيد العمل . فوجودها نفي للحقيقة : لا يوجد أنا ، ولا أنت ، ولا الآخر . الكل في واحد وهو لا يوجد ، معيناً بغلاف محدد ، بحدود من الإحساس ، من التملك ، من الكلام . إنه داخلي / خارجي منتشر ، بدون ألم ، بدون رغبة . إنه يبقى غير منفذ (مشمعاً) كما لماء السماء ، لوضع المحلل . كما لو أن رغبة المحلل ، المتروك ليدرك نفسه لما يرغبه حياً وآخر ، لم تكن تقدر أن تكون إلا في مطلق مدوّخ ، راسخ . هذا الولد قد خرج إلى الأبد من ذاته ، توأرى في ما وراء لا شعور بلا روح .

ماذا يفيد إذن بالنسبة إليه القانون الذي يحترمه في بعض أشكال الإطاعة ، والنظافة ؟ إن لم تكن الرغبة ، المدرجة في كل لحمه ، في العيش رغم الجميع ؟ لكن لا شيء إلا اللحم ، رغماً عنها ، القريب جداً من مخاطرة الموت بدون معاناته جيداً .

من جدلية الداخلي / الخارجي الى جدلية الحياة / الموت لا توجد « خطوة » قط ، لا يوجد إلا إنزلاق مستمر . وهذا الانزلاق ، أستعيده في الهدوء القلق لحجرة عملي كمحللة . هناك ، لا يعود الوقت هو الذي يعلق طيرانه . محللة ، أرى الآخر في ذاتي ، ليس بصبر ، مع رغبة . ببساطة ، أريد أن أراه في ذاتي ينبت من تلقاء نفسه المسيجة

أيضاً في القوقعة غير المثلومة للاشعور رهيب .

خلق الوضع الداخلي للمحلل ، سأعلق ظهور رغبتى . وسيتوجب «
علي مواجهة هذه الإزالة للذاتية التي يفترضها التحويل : إستعادي في
الأب المهين الحسيس ، الأم المنحرفة برقة أو القاسية بإفراط ، الإخوة
المنتقمون من منفذ مستحيل للحب وكثير من المسوخ الآخرين أيضاً ،
المسجونين فيه من خلال مريضى . ولكن مهما كانت القشرة ، قد تكون
الثمرة لذيدة . و ، داخل ذاتى ، المحلل ، انتظار نضج هذه الثمرة
الغريبة يسلمني إلى نفوذ الصبر والآمال ، إلى العنايات اليقظة كما إلى
أكثر الانفصالات تحرراً .

في مصفاة فكري حيث تلتقي رغبتى ومعرفتي ، أكلم نفسي بنفسي :
نصف التحويل خلاصتي . وهكذا أعلن رغبتى ، إلى ذاتي الخاصة ،
وإلى كل هؤلاء الذين يعرفونني محللة معهم . الرغبة التي تخصني أنا
أولاً بقوة : من خلاله أعيد خلق هذا الآخر ، هذا المعالج ، في مكان
ما من ذاتي حيث أكون مشابهة له . فبواسطته أجد ، برؤيته يحيا الآخر
كل مرة جديداً ، جزءاً جديداً من أشيائي المهشمة ؛ بقايا أثرية تقودني
ملاذ مقلقة إلى حشدها . لا أستعيد إلا في ذاتي ، في ما وراء الآخرين
والكتب ، إعادة البناء هذه ، بوصة بوصة ، لداخلي يتصل بداخلي ،
مرتقياً ببطء نحو مصدر الحياة . وصورى تحتشد حول ما يستحضره
المعالج ، أشيائي الداخلية والتدرجات التي أضعافها عند قوس قزح
تداعياته الخاصة . بينه وبينى يشب شيئاً فشيئاً هذا التبادل الذي تسمعه
آذاننا بشكل دوسيقى كتأدية عزف . موسيقى تغني أو تصر ، ألحان
بصوتين حيث الأصوات المنخفضة والحادة تراكب وتشابك ، إيقاع

يصعب بلوغه بالكلمة الملوثة أبداً .

دوار إبان دورا ، سيتعرف عليه المعالج أيضاً أمام الخطر الذي سيحدثه تحرير المكبوت . والغلاف الرقيق للأنا ، المغلق جيداً على الأنا العليا ، يخشى الخروج المخادعة للذكريات والرغبات والأحلام .

إن المحلل هناك ، يشكل جزءاً من خارجي ملزم ومطمئن - وقابل لـ على الأقل هو هذا المستحب - سد ثغرات الحصر بالتأويل والتفسير .

إحدى المعالجات تركت نفسها تغرق في حصر أمومة مستحيلة : « جنين ، في ذاتي ، سيكون هذا كعنكبوت تلتهم كل الباطن ولا تستطيع الخروج إلا بقتلي » .

معاناة محظورة في هذا المكان من بيتي هذا المرأة توجب أن تستعيد فيه أجزاء رحمها المذنب أو ديبياً ، أجزاء اللذة الأبوية والمستقبل الأمومي . وفي قالب الأنتوي المعاد خلقه بالتأويلات ، سعت الى استعادة العضوية الملغاة لحياتها كإمرأة . وحتى لو ثارت الرغبة المنحرفة لرؤية إخفاق المحلل في علاقة ناجحة مع مريضته . علاقة ملوثة لهذا الذنب العائد لداخلي معاش بلذة . بحيث كلمة كلمة ينبغي تحليل وإعادة تأويل ، جزيئة بعد جزيئة ، هذا الداخلي المتفجر مثل رمانه ناضجة ترمي حياتها المدماة . ولإعادة إحياء بعضها ، سيتوجب على النبتة أن تموت في بعض الأوضاع . وهذه الإهمالات الظاهرة للماضي صعبة والخوف من عدم انغلاق القشرة على الجرح ، أو العلبه على

الأسرار ، يضع في إضطراب عنيف الوعي بأن يكون ذاته عبر كل معاناة .

حلم المعالج . مسلم لآذاننا . عيوني وعضلاتي تشكل صوراً . ويشكل المعالج في ذاتي وبعيوني وعضلاتي رائحة ، ذكرى . صدى في حياتي . رغباتي في خطابها . فيعطي غذاء لذهني . وفي عمق حياتي ، هوية المعاني تتعرف عليه . تواصل غريزي ؟ تداع . المعالج « يتداعى » . ويتحد المحلل بالمعالج . ويصير الحلم حلمي إلى حد ما : باطن ، ولكن متروك خارجاً ، على بعد - مسافة الممتدة من المقعد إلى الأريكة . الجنون المستعاد لحسابه والمحافظ عليه خارجاً .

لأنه ، كما يقول هارتمان (Hartmann) : « الوقائع أكبر من اللاشعوري » . من أعمق أعماق الداخلي ، يتفجر الكلام الملائم . وإذا غاب عن الآخر ، تماماً لكي يردم هذا الصدع الكائن بين المعبر واللاشعوري . ينطلق كلامي الخاص ، منزلقاً عبر المسام الكلامية لمريضي ، من ذاتي إليه . وسيضع منه حليياً ، أو دماً ، أو منياً ، أو هواء . أو مادة ما أخرى محوَّلة من قبله ، جزء مرفوض كفضالة وجزء محفوظ بمادته الخاصة .

إن المعالج ، المرافق بالمحلل في عالم الباطن ، حالماً أو مدركاً ، مفكراً أو متذكراً ، يخضع لحاجته الخاصة لوحدة جوهرية . فيحشد ، في التجربة الكلامية النوعية الإنسانية ، تجربته المعاشة جسدياً وعقلياً . وبما أنه مرهق بين الكينونة والملك ، القول والعمل ، التصرف

والخضوع . يكتسب بواسطة الرموز الكلامية السيطرة الجدلية بين ذاته والعالم الخارجي . وكل حقيقة توجد بالكلام ، بالخروج منه أو بالخضوع له . إن الوجود يستمر في ما وراء الكلام ، ولكن الرجل ليس رجلاً بدون كلماته .

إن التحليل يغرقنا شيئاً فشيئاً نحو داخل الكلمات ، ويوصلنا إلى كلمات الداخلي . لعب داخلي للفضاءات المجازية ، الرياضية وشعرية العواطف ، أنواع الكبت الغامضة الملموحة ، بالكلمة المقطوعة والمعاد بناءها في سياق الجلسات .

عالم شاب بالرياضيات من أصدقائي ، أثبت عبقرته ، شرع في التصورات المتعددة الأبعاد للفضاء بثقة ولذة رائعتين . وقد روت لي أمه أنها تذكر كيف استسلمت ، قبل أيام من ولادة هذا الولد البكر ، لإحدى ألعابها المفضلة : الأرجوحة . معيدة الأحاسيس اللطيفة التي شعرت بها عند خفة الوزن الطائرة لجسدها الشخصي الحامل جسده الولد .

لقد طرح فرويد كحدث ثابت بناءه الهندسي للجهاز النفسي . وسواء إن ترددنا بين صيغته الأولى أو الثانية ، أو أخذنا جزئياً من الأولى ، أو من الأخرى ، فإن الكليانية العامة سَمَّرت ، بالنسبة لمحللينا الحاليين ، في نظام ثلاثي نرتب أنفسنا وفقه . صورة مطمئنة للباطن حيث المخيلة تتخيل نفسها ، درجات مرتقية نحو الشعور الفاعل ، وعليها تتحرك الأشكال الثلاثة المحددة للشخص المفكر .

جيد ، الأمر هكذا ، وتتبقى لي التطورات ، غير المنجزة أبداً ،
والممكنة دائماً ، والمعقدة في تشابك الزمن والفضاء .

الوراثيات حتمية ، لأن هذا نصيبنا المشترك . في الوراثة وفي
الدينامية ، لا شيء ثابت ولا منجز . رثاية نموذجية للدخلي
والخارجي ، المشكلين للأنما عبر دينامية تبادلاتهما . إن الحياة تفترض
طاقة متحركة ، في الزمن أولاً ، ونحو هدف أيضاً .

إن الرؤية الاقتصادية المتضمنة فيه من تلقاء نفسها ، تؤمن توازن
التائج العاطفية لعلم الظواهر الإنسانية . وبما أن الكائن البشري
موضوع في العالم كما هو ، ومشكّل من جسد ونفس في حالة ما ، فإنه
يكاد ليؤسس نفسه بشكل مختلف عن الأشياء الموجودة الأخرى ،
ليشكل نفسه ويعيد تشكيلها باستمرار بين مخرجين ، الأول إيجابي
والآخر سلبي ، في الزمن ، والفضاء ، الوجود واللاوجود بإعادة دمج
مستمر لزنة من المؤثرات بحساب معقد لهنا الجسد : كينونة جيدة في
جلده ، كينونة جيدة في العالم .

وتتطور حركات جدلية ، تعد معناها ، مؤسس الأنما ، من باطن
الجسد نحو الخارج ، من البدني إلى النفسي ، من المعالج إلى المحلل ،
كما بالعكس . يؤدي التأليف الشخصي والتحليلي لكلٍ منهما إلى إنشاء
مؤيد من أنا راشدة عند المعالج ، ومن التأويل عند المحلل .

تأليف جارٍ في الزمن ولكنه دائم أبدي ، وعلى الدوام غير منجز :
حبل دائم للأنما حتى الحدود البدنية لإنجاز مميت . إن الجسد بداية
الوجود ، على ما يبدو ، مهما كان حلم الفيلسوف ، وهو كذلك النهاية

رغم أوهام الأديان .

وأنا ، بمحض اختياري ، لم أرجع هنا علاقتي إلى غريزة الموت .
ويسمح لها الكثيرون بالبروز في ذاتهم لأنهم يريدون بخبث دسها كلها
لي ، الى درجة أنهم لا يخطئون : فإنني لا أتنكر لها قط . وعند التعرف
المستمر عليها تحت العصاب ، والحياة نفسها ، احتفظ لها بمكانها
المحتم . على أن أمنح هنا الإمكانية المشروعة للتمني أو على الأصح
للحياة من أجلي كما من أجل مريضي .

ما أستطيعه في ذاتي ، لا أتركه يتلوث بالموت . ففضاء المحلل المفيد
الخلق ، إذا اجتاحه الموت ، يصبح فضاء ذهانياً أو منحرفاً . وأي
شخص معالج لا يستطيع الخروج حياً ومستقلاً من جسم كهذا .

إمرأة أنا أولاً ، قبل أن أكون محللة ، وحتى إن كان المحلل رجلاً ،
فإن كل محلل يستعيد جيداً في مكان ما نوعاً من الأنوثة التي تجعل من
الممكن له الإصغاء إلى ما هو هنا محور المسألة . فالمحلل يخفي في ذاته ،
الرجل أو المرأة ، بماذا ينتمي إلى تجربة مريضه المعاشة . عند ترك الموت
يهيمن على رغبتني ، سواء اتخذ شكل عدوانية أو غياب لبيدي ،
أسيمكن ولادة أنا مختلفة عن ذهاني أو ولد مولود ميتاً ؟ إن الاجتياح من
قبل الموت سيقودني إلى إجهاض تحليلي . في التحليل كما في الحب ،
ليس الأمر إلا التملك الطافح للذات ، الحية والراغبة ، الذي يتيح
خوض مخاطرة أن يكون ممتلكاً وقتياً من قبل الآخر ، بدون خطر كبير
بالضيق . لذة في اللحظة الثمينة التي لا يزال الحصر فيها من المحلل
والمحلل ، والتي تحترم فيها حدود كل منهما وتتجاوز . امتلاء الفضاء
المعاد إكتشافه .

سواء وصل الموت بوساطة الجسد نفسه أو بوساطة العدوان الخارجى ، فإنه يدرك في وقته الباطن النهائي . إنه إبتدال القول أن الوضع البشري هو وضع دفاع دائم ضد إبادة الحياة ، دفاع مادي ودفاع عاطفي . ولكنه إبتدال جوهرى ؛ وهم عبثي ضد إبادة الحياة ، دفاع مادي ودفاع عاطفي . ولكنه إبتدال جوهرى ؛ وهم عبثي بتوازن القوى : ذات يوم ، كانت الحياة أكثر قوة من العدم ، ذات يوم سيكون الموت أكثر قوة من الحياة . وبين هذين اللحظتين يتشكل عالم صغير ، مسيخ بنسيج جلد ، مثل الدمية الصغيرة ، الثقيلة والصلبة ، المحبوسة في نسخها المتماثلة المتراكبة المتدرجة في الحجم . إن الحياة فيها مركزة بإحكام في صلابة الخلايا ، في « هذه القطعة الصغيرة القاسية الموجودة في الباطن » (N. Sarraute, Le planétarium) . ودائماً تحت بعض الأشكال ، بعض الأشياء ، يمكن الولادة فيه . فلا شعوري الجدة الدمية هو تقريباً نواة الحياة هذه المستردة في الأنا وفي الآخر ، حول ما تتكسد عنده الكثافة والأحجام ، العضوية والعضلية ، والحركات الدائرية للفكر والمؤثرات . نهاية مشتهاة للإنشاءات المتدرجة عبر لا نهاية الفضاءات التحليلية .

روائح

عطر . إحساس أول لجنين الأنا : رائحة جسد أمومي . متعة بدئية ، إختراق لا ينعكس . تذكر لداخلي الجسد ، غلاف منقلب على نفسه . جلد أثري يطويه الهواء المتغلل . الداخلي المعاد ابتكاره . لا وجود لسد ممكن لهذا الانزلاق الأمومي نحو الباطن . رائحة دم ، جلد ، حليب ، ثدي . رائحة أب أيضاً . الرفض للمحتوم ،

للتوزيع ، المكروه التنفس ، التن غير الصالح للتنفس : الربو .

الولادة مجدداً في غبطة العطر . عنصر أول للمعلوم ، للرجبة بالحفاظ في ذاته على : أم متعرف عليها . أثرها المحسوس محتفظ به في النفس ، في تبعية الحياة . تسامٍ . المردود المحسوس الذي لا يوصف .

عطور نساء . مشروعية الارتباط الأول ، الأثر الصالح للتنفس ، المجنح ، الذي يجبر الصور . ورغم رفض الجسد الأمومي . روائح الجسد ، الباطن المقلق ، اللغز ، العامي أو السامي ، متحولة إلى أرائج أزهار وأوهام . نيسان مجدّد . ما وراء الانفصالات الضئيلة جداً ، المرأة المعطرة تنضم إلى أمها - الزهرة ، الدائمة ، المغضبة . أثر لطيف للحضور العنيد ، منقوش في الأغشية المخاطية . جلد متنشق لشريك الحب . يرتديه أحياناً برشاقة رجل . « هناك وضوح العطر الذي هو أكثر إقناعاً من الكلمات ، من المظهر البصري ، من العاطفة ومن الإرادة . ويمتلك وضوح العطر يقيناً لا يقاوم ، ويدخل فينا كما يدخل إلى رئتينا الهواء الذي نتنفسه ، ويملأنا ، ويعيد ملأنا كلياً ، فلا يوجد وسيلة للدفاع عن النفس ضده »⁽¹⁾ .

سفرين (Séverine) ، شديدة الحساسية ومصابة بالربو ، حافظت معي ، في ضميرها الباطني ، علاقة عدائية بشكل مخيف ، وبشكل نهائي مفسوخة بإعجاب سلبي وبتوهم لطيف . وهي تخلط إنتظار مع الصورة المنيعة التي شكلتها عني . وهي ، معظم الأحيان ، صامته ،

. P. Süskind, 1985. p. 121 (1)

منغلقة في غموض بدون رغبة . نرجسة غير مفتحة ، بدون عطر ، با
تويج . ولا نبع قريب : لا شيء يشم ، لا شيء يعرف .

لقد وصلت يوماً ، مرتدية كالعادة بطريقة كثيبة ، ولكنها معطر
بإفراط ، فظة أو منحرفة . وقد سعلت لهذا الهجوم ، إذ إجتاحتني
رائحة امرأة فاحشة ، مخترقة الجسد ومفكرة بهذا القضيب المنجح با
لطافة . بخلاف الصوت الضائع ، المالىء بقساوة فضائي بالكر
الأمومي الخائق ، خرق الاضطهاد التنفسي انتظاري الانسجام ، عم
فكري ببخار مقزز . التحويل . كنا نحلم بالشعور بالعدوية نفسها .

عين وجلد

« لا تتوافق الكلمات فيما بينها ، ولا مع موضوعها : إختلال هـ
خسارة الهوية »⁽¹⁾ . والاختلال كذلك في الفرق بين بشرتين : تلك
التي تلمس وتلك التي لمست . فلا تطابق حقيقي . وإذا ولم يكن
هذا ، ربما ، في هوية المرأة مع ذاتها ، تطابق عابر بين عضوها الجنسي
وجسدها الخاص الداخلي . فلا اسم لهذا الفضاء المثير جنسياً ، لا
كلمة لقول المعاني منه وحدة الاتصال ، الداخلي مع الذات ،
مع يد ، غريبة أحياناً ، مع العضو الجنسي لمتطابق آخر للحظة مع
الرغبة . انتعاظ . لا شيء مرئي . فقط أن تلمس وأن تكون
ملموسة . ونشر اللذة في الجسد كله .

ملامسة ماذا ؟ اللامحدود واللامراقب الجسدي لفضاء مثار ،
وتقريباً كلياً ومباشرة في الداخلي . داخلي ، بل وخاصة بالانعطاف

(1) Sami-Ali 1984 . ص 5 .

البظري . فلا عضو جنسي مرثي ، خاصة من تلك التي تحمله . والاتصال الوحيد باللمس ، بالمعانى الملموس وبالاhtزاز الداخلي . على هذه القاعدة الحواسية يتشكل موضوع داخلي أساسي (Esther Bick) حول ما يستطيع حينئذ أن ينسبط غلافاً جلدياً ملموساً ثم مرثياً ، بتعميم من اللمس الى الرؤية . فالمرأة تتشكل من غلاف ، مركز على هذا الموضوع الداخلي غير المحدود . وسيحتاج النرجسي إلى مرآته طوال حياته : من الرشيم إلى الزهرة ، ثم أيضاً حتى الذبول . تأكيد بعين التطابق الدائم لـ«فضاء . لا معقول»⁽¹⁾ خاص بالتجربة المعاشة الداخلية مع الصورة المرآوية . كما لو أن المحتوى كان ينبغي أن يكون مؤكداً بمظهر المحتوى .

فهل ستكون الذات الفطرية إزدواجية نسبياً ، أو أحادية فقط ؟ أو أيضاً إتصالية حسية ؟ أن تحشد في نواة واحدة لا متميزة الداخلي / الخارجي ، المحتوي / المحتوى ، كلاً وأجزاء ، لمسي وبصري ، غريزة حيوية وغريزة مميتة ، أو أن ، على العكس تماماً ، تكون أولاً نضال الأضداد وأن يكون إنغلاقها محدد بالانفصال الأساسي للولادة . انفصال هو آنذاك مميّز كنموذج للفكر الثنائي ويعكس مسألة اجتماع الضدان . مسألة مثل مسألة إنجاب المرأة بوساطة المرأة ، مسألة الاختلاف في المائل . ثنائية في وحدانية الاستمرار . إدماج هندسي للساعات .

عند أول لحظات الحياة ، في الفضاء البدني النفسي للفتاة كما

(1) المرجع السابق .

للولد ، يأخذ الشيء شكلاً بواسطة المعاني الداخلي الفمي والشفهي ، المختلط أو الممزوج بالمعاني الكلي الجسدي . بطريقة قريبة من طريقة ف . توستان (F. Tustin) أعتقد أن حصر أن تكون مبالغة إلى البحث ثانية عند تشكيل موضوع داخلي سيصبح مصدر العلاقات الغيرية . وقد يكون شكله الأول محرض من تقارب السطح الشفهي مع التجويف الفمي حيث اللذات الأولية للعلاقة تختلط وتمتزج . وربما أيضاً ، سابقاً ، الموضوع الداخلي الأساسي سيكون منتجاً بوساطة استبطان اللمس الإجمالي المحسوس في الباطن الأمومي .

وستقوم المنطقة الفمية بتركيز المعاني الداخلي / الخارجي ، وإمداده بالمعاني ، وتحويله شيئاً فشيئاً إلى ذاتية ، وتمييز الموضوع المدموج للذات الدامجة وتشكيل تصور متائل أولي للأم الحاوية . ويتنظم الغلاف النفسي على قاعدة المعاني الكلي عند الاتصال بالجسد الأمومي ، وريث الاتصال الرحمي الذي يحل محله الاتصال النشيط والداخلي للأعضاء الفمية مع الحلمة . وتدرك العين عين الأم ، أول مرآة (Winnicott) . وسريعاً تحل العين واليد جزئياً محل الفم وتشكل طوبولوجية جديدة بفضل إجمالية لمسية ، بوساطة « قربها » المكاني والوظيفي من أعضاء الحس المستقبلية . إجمالية تنزع إلى توحيد الذات في النضال ضد الانفصال . وتفرق الذات لتوحد مجدداً بلا انقطاع . ويركب الفضاء شيئاً فشيئاً من هذه الإدراكات الحسية الآتية من الخارج والمستقبلية في الباطن تحت أشكال متجاوزة . وتندمج المشابهات بتحويل إتساع الأشياء الداخلية وشكلها ، وبتجميعها في نسيج حواسي يستبطن نفسه .

وعند الفتاة ، تستخدم جنسنة (sexualisation) الإدراك الحسي المعاني الداخلي . والكل تم تركيزه في الفضاء الداخلي . وعندما تحتك بالنظر بالقضيب الذكوري ، منذ العمر الأكثر حداثة ، يعرف فضاء عينها أن القضيب هو موضوع رغبته . رغبة جنسية قبل كل شيء . وهذا ما لا يعرفه ، ربما ، الولد الصغير في العمر نفسه . وهذا الذي لا تمتلكه الفتاة ، تعانيه أولاً داخلياً . وهذا الذي تفتقده بالنظر ، تستعيده بالفكر . إنه في منطق الأشياء ، وفق الاستكشافات الجنسية التي قامت بها على نفسها ، وفي حلمها بامتلاك هذا القضيب ، هناك حيث تشعر بمكانه : في الموضوع نفسه مثل الصبي . ولكن في الواقع ، يحدث في ذاتها التباس بين رؤية القضيب ، والمعاني تجاه القضيب ، الذي يحدث الرغبة في امتلاك قضيب ، أولاً كشيء لمتعته الخاصة ، إنها تشعر بنفسها غلافاً في صلتها بمتعته اللامغلف . فضاء مغلف لنقطة قابلة للإثارة من قبل الموضوع المثير للفضاء ، فيها مقعر . إنه نداء ، غريزة نحو الداخل .

إن شدة اللذة التي يشعر بها بدخول الشيء في النظر ، تسقط على الشيء الذي يطلق اللذة بنقل الأحاسيس اللاشعورية للإيلاج . وفي حين أن الفتاة ترى فوراً في القضيب الذكوري موضوع لذتها ، وتسعى بالتأكيد لامتلاكه ، يُجَنِّ به الصبي ، ممتلكاً ربما في العمر نفسه بشكل أقل وضوحاً الجنسي المعذب ، والرغبة التي تظهرها الفتاة وغياب شيء مماثل من جسدها هو على وجه الاحتمال أحد مصادر استيهامات الخشاء عند الجنسين .

إن إسقاط الأحاسيس اللمسية الداخلية على شيء يعرفه النظر

يحدث عند الفتاة توحداً كلياً للذات بغلاف اللذة الذي تكتشفه في نفسها. وتصبح كذلك بشكل واع سطحاً من الأغواء المرئي المرصود للصبى الذي تتشوق إلى مشاركته في القضيبي . إغواء هدفه امتلاك الشيء المرغوب أولاً تحت الشكل الوحيد المعروف منها : شكل غلاف لذة . وتستطيع هذه السيورة بذل سبب للأهمية المعطاة من قبل المرأة إلى زيتنها ، إلى الانتشار المبكر للطافة عند الفتاة الصغيرة ، إلى السحر الذي تحسن بذله قرب والدها والعديد من الأشخاص الآخرين . إثارة تساوي بين موضوع رغبتها وشك هذه الرغبة الذي تعكسه الأنا الراغبة .

خطر ، غير أنه مثل ذلك الخطر الذي تتجشمه النظرة الغاوية نحو موضوع الإغواء . فضول ، حسد مخفي تحت السعي إلى المعرفة . وتتعرض الفتاة الصغيرة للخطر ، أكثر من الصبي ، من الصدمة المرتبطة بالنظر : إن رؤية الأعضاء الجنسية المذكرة البالغة توقظ الرعب المضطهد المرتبط بشعور عدم تناسب الأجسام ، عند نقب فضاء خيالي غير مرصود أيضاً لاستلام هذا الموضوع ، هذا الشيء ، ليس فقط في الواقع البدني ، ولكن كذلك في جرم الرغبة الممنوعة . والرؤية المرتبطة بالرغبة ، هي مسبقاً ، إيلاج بالنسبة إلى الفتاة .

هذا « الحادث » الصدمة الكثير الوقوع يسم الفتاة بمشاعر العجز التي تستعاد تحت شكل البرودة الجنسية ، العقم أو أيضاً الكف الفكري . وإن العمى أو العادات الهستيرية هي بلا شك ظاهرة مرضية يمكن أن تكون مرتبطة بالرغبة في أن تكون مخرقة بالنظر . وعندما تنضم الكراهية الدفاعية للنظرة إلى التقديمات اللمسية ، فإن

المنوع المرتبط باللمس بسبب إشمئزازات من نسق الخلفة أو أيضاً الدفاعات الاستحواذية للتنظيف ، للرفض الخوافية ، أو لاستحالة إدارة ريشة للكتابة .

هذا الموضوع المحسوس الذي به تتحدد المرأة ، وتتميز بلغز اللمس الداخلي ، باللذة الخفية ، يعين الأنوثة بنقطة التقارب حيث يصبح الرمز ملازماً للمادة . ويستخلص الترميز من الحي مادته السطحية المدركة بالحواس . وينقل الرمز فقط الإشارات الحواسية المرسله من الموضوع والتي تقدمه أو تتيح صفة خاصة للانفصال : الإشعار . فالرمز يثبت المعطيات الخارجية باستخلاص الصفات الشكلية الجوهرية للمادة . وينقص القلق الذي تخلقه المعطيات الغابرة للحواسية ، ويعبر عن بقايا الكبت عندما يقوم هذا الأخير بالتصرف بفضل واقية الإثارة .

وهكذا ، تصبح المخصوبة رمزاً ربما لأنها تثبت in utero أثر علاقة الرجل بالمرأة ، أثر اجتماع المختلفين ، أثر توحد الشخص . وتلغي أهوال الموت بقلب تصور المعطيات الوقتية للحياة .

إن الرمز خلق مطمئن للأنا التي تعمل كمخرج مشترك بين الأشخاص و ، وفق جونز ، لأنه « يمتلك مدلولاً ثابتاً »⁽¹⁾ . فيقلل « الشيء » إلى أكثر تعابيره بساطة مستخرجاً من حسيته الأجزاء الأكثر قابلية للتعبير : الرؤية واللمس مصدرهما . ويستدعي مرأى الغلاف البطن . إستحضار بصري ، وأحياناً حتى سمعي ، لاتصال مرغوب ، ويحتفظ الوضع على مسافة رمزية بالمعنى المكبوت للعلاقة مع الموضوع .

. Ernest Jones, 1916, cité par H. Segal, 1987 (1)

قد يكون المعنى المحفوظ مفهوماً مثل شكل مستبطن للموضوع ، وعموه بدقة بوساطة الكبت ومسقط بشكل لا شعوري ، في سُماته الجوهرية ، على شكل قابل للإظهار والإبانة .

وعلى حد قول علماء الأثریات وعلماء الاجتماع ، فإن أكثر الرموز المكتشفة قديماً مرتبط بإحكام بالأشكال الأمومية التي يبدو أنها تتحداها . ويعكس الترميز الالتقاء مع الشيء : فيستبدل التماس الحواسي بالتماس العاطفي والخيالي . ولا يبقى من الشيء المتأمل إلا الحد الأدنى من خصائصه المحسوسة ، القابلة لأن تثير بشكل مؤلم إستحضار الغياب ، هُذب الثقب حيث تختفي الأنا ، إما بمتعة الشيء ، وإما بلا حضوره . ولكي يحل الرمز النزاع النفسي للداخلي الذي خلقه الشيء هكذا ، ينضم الى الظاهرة المرضية في الجسم الهزبل للهستيري . وعلى العكس من ذلك ، في التطور الطبيعي ، الاتصال الجسدي المفقود يحللي المكان للكلام .

وتستخدم مشاعر الخصاء غالباً التعابير الشفهية . وسأذكر فقط الأكثر إعداداً : التسمية ، القول ، الكلام . فاللامرئي غير قابل للتسمية . فمفهوم الطفل ، المخفي في جوف اللغز الرحي يؤدي بالنسبة إلى امرأة إلى إنجاب ثمرة حب حي ، جزء من الذات قابل للاقطاع ، وتشكل صورته التكافلية بشكل طبيعي في فرد يفصله التقدم الطويل للتواحدات والانفصالات . لكن الرجل المنجب ، لكي يُتصور والداً ، ينبغي أن « يتعرف » على الطفل وله حق اللجوء الى هذا المفهوم المعقد الذي هو النبوة . تسمية طفل باسمه الخاص يمثل للرجل الخيط الذي يربطه ببذاره الخاص ، المستثمر من قبل

امرأة . فلا شيء من المرثي ولا المحسوس في هذا المنفذ المباشر لحركة
رغبة تستطيع نتائجه البقاء مجهولة من الشريكين . يقين الأم . نتاج
ظاهر ، صريح . مقيد بالامتلاك العابر لجسم حي مستقل . زوال
حيازة دائم ، إنفصال متواصل ، مرثي وملموس . معاناة الأم . رباط
رمزي علاقة الحب يُكسبه إسم الأب للطفل ، المولج كذلك في القانون
والمعروف في « مثلثيته » . وبواسطة جانب النبوة ، يجد الطفل مدخله
إلى فضاء داخلي خيالي مشكل مسبقاً ، سيساعده نظره وسمعه على
جعله مستقلاً عن الاتصال مع الجسد الأمومي .

صور

كلار (Claire) لا تحب المرايا . إنها مترددة في اكتشاف من هي
تجاهها . إنها لا تحب صورتها لا في ثوب ، ولا في بنطال . واختيار
الثوب يسبب دائماً توقفاً طويلاً على الشكل ، واللون ، وملامسة
النسيج . تبديل وإعادة تبديل . تغيرات . « كما لو أنني كنت أخاف
من رؤية امرأة في هذا السطح الصقيل ، في حين أنني أشعر ببروز
جسدي المغطى بغشاء كاذب ، أو بقوقعة . أحب السلاحف . رؤية
نفسية ، هي رؤية نفسي مسطحة ، ليس مثلما يراني الآخرون ، وليس
كما أشعر بنفسي . هذا خطأ . لن أستطيع رؤية نفسي . هذا مثل
عضوي الجنسي لا أرى منه إلا هذا الذي يستره .

الفتى الأول الذي عرفته ، الذي ربما أحببته ، عرفته في العتم .
وكنّا نمارس الحب في العتم ، كما لو لم يكن يريد رؤيتي كذلك . ومن
جهة أخرى في الحاضر أيضاً ، لا تصلني اللذة إلا إذا لم أر شيئاً ، إلا
إذا كنت داخل أناي ، مركزة فقط على مشاعري ، تلامس الجلود ،

الأعضاء . ما من صورة ، فقط ألوان ، حية صاخبة ، تتحرك وتتمازج .

نظرات

خط البتلة الذي تحدده الزرقة ، بين الزهرة ولا شيء . رسم دقيق ، من الهش إلى الغياب . وجنة طفل حيث بزغ الوردى توأ ، متقزحةً بنظرة زرقاء كالزهرة . تويج حياة ، جزم إطار . من العين أو من البتلة ، ممن أنا أكون الأم ؟

سجف غامض . لمعان . منعرج من الماء هادىء . حد متحرك وشفاف على لحم الشاطيء ، منزلق بالتبادل رأساً على عقب بشكل لا نهائي في ميدان ارتعاش ضوء . رغبة مشبعة . الآخر مستأنف دائماً بشكل مختلف ، منظور ملموس مجهول ، وغير ملتبس فعلاً ، فقط مستغرق في العزلة بنفسه .

الشيء المرئي ، عندما ينظر إليه ، يصبح سلبياً ، مبتلعاً في فضاء العين . نباتات دوار الشمس التي رسمها فان غوغ* ، التجمهرات الغربية لـ دووانيه روسو** ، المساحات الشاسعة الطبيعية المقززة لپولوك ، درب رودان*** . وكم من غيرها ، أصبحت أموراً من

(*) فان غوغ رسام هولندي (1853 - 1890) أكثر من رسم المشاهد الطبيعية والوجوه ، تميز بحدته ولونه (المترجم) .

(**) هنري روسو الملقب بالجمركي (Douanier) رسام فرنسي (1844 - 1910) مؤلف مشاهد ذات طابع ساذج شعبي وألوان متناغمة . (المترجم) .

(***) أوغست رودان نحّات فرنسي (1840 - 1917) ترك منحوتات كثيرة منها المفكر ، بوابة الجحيم . (المترجم) .

امتلاكى الباطني . أعيد تشكيلها من مواد ذاتي . العين مرآة الروح ،
مرآة أمومية ، المحتوي الأول . سلبي ولكنه حي يصبح فيه الموضوع .
منظور ، مستبطن ، متكامل في الأنا . مثل ربة الجحيم⁽¹⁾ لفاليري*
الذي « يتلألاً ، مرتبطاً بهذه السماء المجهولة [. . .] » عندما يصغي
في ذاته إندفاعات الرغبة / الأفعى : « أو بخطر من نظرتها
الفريسة ! » .

وهكذا أطلق عليهم إسم « الثقوب السوداء » للفلكيين - شعراء
علميون معاصرون - هي مصدر للضوء . « عيني السوداء عتبة مساكن
جهنمية»⁽²⁾ . والباحثون إذ يجهلون محتوى هذه الفضاءات الكوكبية ،
يتشظون ، فيما وراء أحلامهم باللائهائي ، يتخيلون لها أشكالاً
وتحريضاً داخلياً . « السواد ليس أسود جداً»⁽³⁾ . بـ « درجات
مجمولة » ، الصورة البصرية تنبسط على المتعذر وصفه ، المتعذر قبوله .
هذا سر الرسام ، هذا جهد الشاعر . جهد المحلل أيضاً المصغي إلى
الحالم .

لا تقوم العين إلا بتغليف المدرك ، - بإحاطة الشيء برشاقة الأنا ،
مهما كانت رقيقة . العين تحترق ، هذا الإحترق متبادل . العين مخترقة
بالشيء . التداخل البصري مصدر دينامي لتواصل استيهامات
القدرة . إنها تفتح المنفذ إلى الحواسية غير القابلة للتحديد أبداً ، إلى

(1) پول فاليري (P. Valéry) مرجع سابق .

(*) پول فاليري كاتب فرنسي (1871 - 1945) مؤلف في الشعر والنثر (الترجم) .

(2) المرجع السابق .

(3) المرجع السابق .

أحلام الباطن التعاطفي في ما ستكون موحدة ومتضادة مبادئ الحياة والموت : « المسيح ، كتاب حي يقرأ داخل الذات »⁽¹⁾ . لقد خلق الإنسان الرب على صورته ، صورة مثالية . القدرة الكلية للنظرة تنقل العالم الى داخل الإنسان .

وتطلق التجربة الغريزية البحث واستثمار الأشياء الخارجية التي تسند إليها بشكل لا شعوري قدرة إشباع الحاجة المعاناة . أول معنى معطى للمعاني من قبل النفسية الحديثة ، وتظهر الغريزة إذن كأول حدس للعيش ، لنشاط داخلي إلى ما الجواب المدرك ليس إلا احتمالاً له وسلبية . إن قابلية التأثير الحواسية هي من هذا الفعل الموضوع بسرعة في علاقة مع الحركات الغريزية التي هدفها أن ترى ، أن تكشف العين من جفنها لتدخل في تواصل مع الشيء ، لتوجه العين نحو الشيء ولتشعر باختراق العين الأنا بالشيء المرئي . العين ، المغلقة ، تحفظ الصورة ، أثرها في الكتلة السحرية للذكرى . ومن المتبدل الكلام على شراة النظرة ، كما لو أن العين كانت تمثل منفذاً واضحاً لقابلية التأثير ، للدمج ، بطريقة الفم نفسها .

إن قابلية العين للانفتاح والانغلاق بفضل حركية قصوى ومتعمدة تحملي على اعتبارها كواحد من أبكر ممثلي إمكانات الانفساخ داخلياً / خارجياً ، أنا / لا أنا . وهو كذلك ، بلا شك ، عامل شعور الداخلية بهذه القابلية للإنغلاق إرادياً تجاه التحريضات اللطيفة أو العنيفة للبيئة . ويأكل الانطوائي ولكنه لا يرى . ومع ذلك ينظر إلى الأشياء

(1) Sainte Thérèse d'Avila

التي يختارها . والجفن وعمله يصوران مقدماً غلاف الأنا في المساحة النفسية ، مع إمكاناته بالانفتاح نحو الخارج ، واحتجاز الصور المشاركة في تركيب صورة ذات ، والنظرة ، في الآن نفسه ، أداة تماس ، واستبطان وتقدير مسافة . وسيط بين الفم والأذن . وبعد دورة طويلة وتحولات متعددة ، يركب الكلام النظر والسمع بوظيفته الإدراكية والبث البُعدي .

وعلى النقيض من الإدراك البصري لسطح الأشياء ، يحوّل إقبال العين العين إلى عضو للإدراك الباطني . وتستثمر إلى حد كبير كمكان لقابلية التأثر وبلا شك ، من هذا الحدث ، ترتبط بالأنوثة بتمثيلات داخلية الغريزي(1) . في حين أن تجربة الإشباع تحدث بالأحرى تمثيلات دائرة نحو الخارج ، النشيط ، النعوظ ، المذكر .

وتشعر الفتاة بطريقة واضحة بالدفعة المتشوقة منذ عمر مبكر ، خلال السنة الثانية من حياتها . ويختلط النداء نحو شيء خارجي عندها بين الحاجة الفمية والحاجة الجنسية . كالكلمة في فمها ، تدعها تدخل فيها نظرتها إلى الأشياء الكفوءة المحدثه للمتعة . وحوالي العامين ، عندما تكون قد تبينت مباشرة وجود القضيب الذكوري ، تخلط مشاعر الرغبة في أن تكون مخترقة بالاستيلاء لعدم امتلاك وسيلة لذتها هذه أيضاً . ويصبح قضيب الذكر بالنسبة إليها السمة البصرية التي تحدها من الخارج ويقوي التأثيرات الأولية والاستيهامات المرتبطة بداخلية

(1) في ثلاثة أبحاث على الجنسية : « تحولات البلوغ » يذكر فرويد العين كمنطقة للإثارة الجنسية . وإذا رافقتها اليد في علاقتها بالجسم ، تحدث الإثارة توتراً جنسياً يبقى إتمامه افتراضياً .

المعاني الجنسية . غير أن ، جسدها ، المرثي من الخارج ، لا يبدي ، وهو المطلوب للإثارة ، أي تحول معادل للانتصاب عند الصبي . وعلى الأكثر إثارة مطلقة تحيط بالنقرة المثارة وتخفيها .

وتستطيع الفتاة الصغيرة أيضاً صنع إقبال كلي القدرة على العالم البصري ، الذي يقاوم الإيلاج . وهذا السياج على باطنها المتشوق قد يكون شكلاً من الشبق الذاتي ، متحدر من التعاضم الطفولي وتستطيع أيضاً الانسياب من الجنسية المثلية الطبيعية التي تربطها بأماها . وهكذا تحمي في ذاتها أمها الحقيقية من الإيلاج من قبل الأب وتحتفظ في الآن نفسه بالجسم الأمومي والقضيب الأبوي . وإذا عملت ظروف تتطورها على أن يستمر هذا النمط من السياج ، ستألم الفتاة من تركيزاتها الهستيرية . وتكون بعض البرودات الجنسية والتشنج المهبلية عمليات نقل لنشاط مفرط بصري للطفلة الصغيرة .

جيزل (Gisèle) تتردد منذ طفولتها الأولى على المتاحف وصلالات عرض اللوحات حيث كانت تصطحبها والدتها . ثم تبعث عرابها إليها ، الأكثر شباباً ، وبلا شك حبيب أمها ، والذي كانت هي نفسها مغرمة به بشغف وبشكلٍ عذري . لقد كان موضوع استيهاماتها الاستمنائية . وهي تحب ، حالياً ، رساماً . لكن علاقتهما تبقى « سطحية » . فجيزل غير قابلة للإيلاج . إنها تتألم من التشنج المهبلية . وقد قالت لي أنها « لا تستطيع إغلاق عينيها » عندما يداعبها حبيبها . فهي تحافظ بالمراقبة البصرية على مراقبة تنازلاتها . فعدم إغلاق العينين يتيح لها أن تبقى مغلقة . فتحقق التباس ثقبياً بين العينين وعضوها الجنسي .

إن المرأة صفحة بيضاء يأتي الرجل ليخط عليها علامة المصير . والنظرة ، المخصصة للسطح الجسدي ، عنصر مكوّن للهوية الشكلية ، السطحية . ولأنها مخصصة للقاء عين أخرى ، فهي تناوب تواصل عن بعد لسلسلة واسعة جداً من التأثيرات الأولية . إنها أيضاً فتحة إختراق لأشياء البيئة . وبواسطتها ووفق استثمارات اللحظة ، تستطيع الأنا تملك هذه الأشياء ، وتحوّلها إلى أشياء من الاستيهام ، وتقدر منها مزايا الشكل ، واللون ، والاتصال اللمسي ، فضلاً عن الغرابة . إنها نقطة التفاضل والتواحد ، والتمييز بين التحقيق الواقعي والاستيهامي ، مصدر للإنشاء الخيالي .

إن العين ، على مستوى الوجه ، تلتفت أيضاً نحو الباطن . ويشكل النظر الجوهري من التصورات ، حتى لو شاركت هذه باستبطان الإثارات الناتجة عن الحواس الأخرى . فالنموذج البصري ، في نظرية التحليل ، أساسي . ربما لأن فرويد كان حساساً بشكل خاص تجاه الرؤية ، وهذا ما جرّه إلى تقدير وفهم معنى الاحتفاظات البصرية المستخدمة من قبل الحلم . واللغة نفسها ، في أحلام فرويد ، كانت غالباً مكتوبة ، إذن صورة بصرية أكثر منها سمعية . وهذه الأهمية العظمى لإصلاح اللاشعوري هي بلا شك لإعادة ربط بالأولية ، بالنسبة إلى اللغة ، للاندماج والاستبطان بواسطة النظر .

العين والجفن

العين تدرك ، العين ترى . خارج يوجد ، واقع حتى مستقل عن الذات يأتي لينضم إلى هذا الأخير . واقع بعيد ، مختلف عن اللمس .

العين بدون جلد . تتعلم . وقريباً تعرف : لون الأم ، تدرج عينيها ، شكل الأجسام ، كبر الأشياء . العين تنظر . تدير نحو الذات حصة الإدراك المختار بالتأثرات الأولية . حصة المعرفة المنظور إليها بالاشعوري . حصة البصري محفوظة بالكبت . الرغبة تنظر . العين تصبح فماً . وتدمج بشراة هذا الذي ، من المعرفة ، يطلب إليه أن يصبح من الأنا . ويأخذ النرجسي من النبع صورته الخاصة المتلاشبية . الجريان في الأنا ، تبعية شكل . والمساحة المنظورة تدخل في الأنا ، تتحول ، تنطبع . مثل قماش رقيق سيصنع العقل حبكتة . العين تكمل الجلد ، تخلق المسافة بين الجسم والأشياء . مسافة جديدة للمعاني ، غياب الاتصال أول ملموس . وينتقل الملموس في العقل ، وتلامس الأشياء العين الباطنية . أول إدراك مختلف للداخلي .

داخلي مغلق بالجفن . سياج بدئي ، أول نفي . حرية مفتوحة للمعالج من قبل فرويد في النوم كما في التحليل . إنكماش على الذات ، عودة نحو تصور الداخلي وصناعة الأفكار . نفي ممكن للواقع الخارجي ، تحول للمحلل وللوضع . العين المغلقة على الحلم ، العين الباطنية . العين المغلقة تحفظ الذكرى ، تطبع المنظور . العين - الفم ، تذوق ، تهضم وتحوّل المنظور . إنها عامل الاختيارات الأولى ، النخبة .

إن النظر يجيد ، وأفضل من الفم بكثير ففرض الرؤية سهل : جفن يقع مجدداً على الثاؤب البصري . العلامة مرفوضة . الملموح ليس مرثياً ، نرسييس* في النبع - المرأة خالقة ذاته لم يرَ أبداً إلا صورته

(*) نرسييس (Narcisse) ابن إله النهر سيفيس . كان فتي وسياً فاتناً أحبته فتيات عدة لكنه =

الخاصة . المعنى الوحيد المعطى للحياة ، حد المتعة المنقلب على ذاته .
جنسانية مثلية أصلية .

« إذا لم يخطيء البصر ، النظر نفسه ، منحرف بسهولة »⁽¹⁾ .
ويبقى على السطح . لا ترى القضيب . نرَ فقط الداخلي يقين الذات
الوحيد . تجويف محتم ، مماثل لذاته مغلق على الداخلي . فاقد نفسه في
الثدي قبل أن يوجد : خطر الذهان .

إن الفتاة تهستر جسدها الخاص بالمعنى المحتكر للنظرة الأمومية إلى
الأب . إنها ترى نفسها قضيبية في عين أمها . وتركز في ذاتها كل
الاحتدام الظاهر : الرعاية ، الدموع الغضب ، الانزعاجات . عدم
استعمال الإثارات الداخلية يجعل الرؤية القضيبية لا تطاق بالنسبة إليها
بخلاف الكائن نفسه . فتحاول العودة الى النظرة الأمومية إن لم يوجد
ثديها ، لصيانة البنية النرجسية الأولى التي لا تستطيع أيضاً الكبت ولا
التحويل . هستيريا قديمة ، حتمية ، يعانيتها الصبي الصغير نفسه
وهجرها لقضيبيانيته .

العين ، خليفة الفم المدربة ، تفصل الذات عن الشيء وتستبق
مسافة الانفصال الفعلي . ويقوي الجفن المغلق شعور الذات ، قدرة
الانسحاب ، قدرة النوم . الانكفاء على الشهوة الداخلية بقدر

رفضهن فغضبن وطلبن من الآلهة معاقبته . وعطش يوماً فانحنى ليشرب من النبع فرأى
صورته منعكسة فيه فعشقها وداوم على النظر إلى وجهه حتى مات ونبت في المكان الذي
مات فيه زهرة النرجس . (المترجم) .

. J. Mac Dougal, 1983 (1)

الانكفاء على الإثارة المعذبة .

وتحدث الرؤية المقيدة لعضو المرأة الجنسي مخاوف واضحة عند الرجل تجاه ما يبقى متوارياً . هذا الفم الذي يعيد غلق شفاهها ، هذه العين التي تختبئ بين جفنين يسبان تواحدات مبكرة ، تقويها تلك المسقطة على الباطن المخفي بهذه السياجات الهشة : المعان العضوي والتأثرات الأولية الفطرية المضطهدة المرتبطة به تأتي لتضم نماذجها المتماثلة الى النماذج الشفهية والبصرية . والإستيهامات الذهانية للطفولة الأولى التي وصفتها م . كلاين قد جدد نشاطها التحليل الأثوي وأسقطت على باطن الجسم الأثوي ووظيفته الجنسية . ونادراً ما يتبين الرجل من الوظيفة الأنثوية إلا ما هو مرئي منها : الحمل والولادة . فالمرأة في نهاية المطاف ملتبسة بالأم . وهذه الصورة الأخيرة تجمع الإعجاب والرعب : إذ يمثل باطن المرأة القدرة الكلية على الحياة وعلى حضور عضو الرجل الجنسي الذي تشعر بالانجذاب إليه . فالمنافسة الطفولية للطفل تجاه الأم الحاملة طفل الأب استيقظت ونشطت .

إن التقدير المفرط للخفي يظهر هنا . « ما الذي تدعيه النساء ولا أستطيع إدعاه ؟ » . هكذا تساءل أندريه (André) ، خلال تحليله . لقد تحقق بحسد أنهم كن يمتلكن جميعاً تجربة الأمومة ، التي يستطعن الكلام عليها فيما بينهن . وكان يضيف إلى هذا التحقق أنهم كن يملكن أيضاً التجربة ليس فقط لامتداد ثمرة الرغبة ، بل لأن يكن مخترقات جنسياً وليس على الطريقة الشرجية . فالجنسانية المثلية الذكورية كانت تظهر حينئذٍ ، في أثناء ملاحظات أندريه ، كالرغبة في المحافظة على

جنسانية ثنائية قادرة كلياً ووهمية، لكنها كذلك مثل الالتباس الفاحش للشرح والمنفذ المهبلي . لقد كانت المتعة اللواطية فيه مختزلة إلى أنوثة مموهة ومحقرة ، كانت نوعيتها كذلك منتقضة ومفهوم التجويف الداخلي مقموماً . وكانت تذكرني ردة الفعل المغتظة عند هذا المعالج بالغيظ الذي عاناه فرويد كرجل وأب ، والذي لاحظته عند تعميمه⁽¹⁾ .

إن وفرة تصورات الالتهام ، التشويه والتحول التي يحدثها الحمل والولادة ، مصدر للمثلية والكره ، للتنافس والافتتان . ومثلثة اللغز الأمومي للحمل والإنجاب ، فيما هو مرثي منها ، تحدث تصرفات دينية معروفة جيداً وقديمة قدم العالم . إنها ترمز إلى المخاوف ومحاولات السيطرة على ضروب القلق والحصر التي يثيرها الجنس المؤمن للغز . إن الإبهام الجنسي للألوهية المنجبة ، في العهد القديم والجديد* تترك مكاناً صغيراً للصورة الأمومية ، فيهوه لم يكن له زوجة . إنه أب ، أم كلي القدرة . والثالوث الكاثوليكي (الأب ، الابن ، الروح القدس) يقدم صورة ذكورية للمشهد البدائي الذي يؤدي إلى تجسيد الكلمة الإلهية . ومع ذلك شعر في القرن الأخير بالحاجة المنطقية إلى تسليم مكانها إلى صورة أمومية ، بشرط المحافظة عليها عذراء .

وبالمقابل ، بدا الجسد المدمر ملهماً طقوس تلقين الحضارات التي اعتبرت الأكثر بدائية ، وبلا شك لأن تقاليدنا الدينية تبرز الكره

(1) سيغموند فرويد ، 1905 ب ، ص 59 . ملاحظة (أضيفت سنة 1920) : « في هذه الحالات النموذجية ، نتحقق من غياب ، عند المرأة ، لتقدير مفرط جنسي للرجل ، لكنها لا تفوت تقريباً أبداً من إظهاره تجاه ولدها الحقيقي » (التشديد من قبلنا) .
(* أي التوراة والانجيل (المترجم) .

الأصلي للأنوثة . والرجل ، مدفوعاً باستقامة جنسانيته ، يميل إلى مشاعر الحسد تجاه السيرورة الخفية للخصوبة الأمومية . وبدلاً من جعل المرأة شريكة ، يجعل منها منافسةً ويحاول بوسائل شرعية إنقاص قدرة رغباتها تجاه الأنثوي والأمومي . وتتوجه حركاته المخربة إلى الأجزاء المرئية من عضو المرأة الجنسي ، وأولاً إلى البظر ، الذي يعتبر ، كما هو معلوم من قبل فرويد ، كمطالبة مستمرة بقضيب مجهض ، اليوم . وبتربظر ، المطبق في حضارات عدة ، يرضي ، على ما يبدو ، استيهامات خصاء الأم القضيبيية . وهذا البتر يطمئن الرجال على نتائج التواحدات الأنثوية التي تجعلهم يعانون من حسد القضيب والإذعان السحاقي . ويفرض الرجل على الأجزاء الظاهرة من عضو المرأة الجنسي الخصاء الذي يخشى منه على أعضائه الجنسية الخاصة . ولبعض العشائر عادة القيام بتطبيق البتر على يد نساء أخريات ، كأن ذلك للبقاء بمنحى من الجرم المرتبط بهذه الممارسات .

ولكن يبقى هذا الفم المغلق الذي ينبغي انتزاع شفاهه ، طية الفم التي كل الجسم مثارها ، شبق مكثف ، نداء القضيب المنتصب . فم ملتهم للقضيب الذكوري ومقلق باللذة نفسها للإيلاج التناسلي الذي يضم رغبات مضطهدة . وبتربظر الشفاه ، المكمل إجمالاً لبتر البظر ، يبدو أولاً مخصصاً لحرمان المرأة من أعضاء ظاهرة للإثارة الجنسية ، وحرمانها من كل متعة . ويحاول كذلك إلغاء عروض الأسبقية الجنسية على الفمية لأن اللييدو عند الرجل متجمع في القضيب . ويؤدي بتر الشفاه إلى تحرير الفتحة المهبلية وإلى تكثيف البحث الليبيدي فيها . ولا شيء حينئذٍ حاضر فيها غير النداء القلق للرغبة ، إلا فض البكارة الشعائري

المنخفض القيمة بالنفوذ الشرجي الذي تسقط فيه . لذة الإيلاج المنتقم ، لذة القوة المندسة في فتحة بلا حواجز ، عين بلا أجفان . عين ثابتة للذة الذكورية ، فيها يغوص الرجل ، ومنها يرى إنبثاق الحياة .

ليزت (Lisette)

ليزت صحافية ومصورة عمرها خمس وثلاثون سنة ، عانت كثيراً من اكتشافها أن الصور وتبعيتها تلازمها . وكانت الذكريات البصرية محفوظة حية في ثبات ذاكرتها التي تود احتواء الأبدية . وفي تقنية عملها ، تتمتع بقلق من المظهر المتدرج للنسخ التي تغير صبغية الصورة بطريقة غير مطمئنة لها . وكانت هويتها الباطنية خاضعة لتقلب النظرة ، لا شيء مؤكد : لا الشكل ولا اللون ، إذا لم يكن هذا هو التغيير الذي تشعر بأنها تنزلق فيه وتضيع . وكانت النسخ السلبية للصور التي تأخذها ، بالنسبة إليها ، اليقين الوحيد ، ملكها الحقيقي ، قوة ذاتها . فهي تثبت الصورة من دون شك التبدل . وقد سخر منها معاونوها لتملكها بشكل مسعور الفيلم الذي تحوله فيلمها ، مقابل نزاعات عديدة مهنية .

لقد جاءت ليزت لرؤيتي لأنها تتألم من وحدة ثابتة كصورها : خلاف مع عائلتها ، لا رفيق ، ولا طفل في حياتها . وكل مشروع من هذا النوع سيستلزم تشوشاً شبيهاً بتشوش الصورة البتولية المتحجرة التي تركبت منها ، التي لا تستطيع تخيل سيورتها بدون خشية التفتت . فهي كائن لا - امرأة . الأمر الذي لا يعني لا خشي ، ولا رجلاً ، ولا مرفوضة جنسياً . مثل الزهرة العقيمة ، التي ذبلت قبل

الثمر فالطفلة - الفتاة التي لم تنضج وغرائزها أنزلت حملها بقلق الوجود .

ولا نبالي كثيراً بمعرفة أية روابط لصورها قادتها إلى هذا الطريق المسدود . فهي نفسها صورة لهذا النوع الأنثوي السلبي ، الذي بالنسبة إليه المجهول المتحرك في الذات لا يمكن الاقتراب منه . وإذا اجتازت المتعة البصرية الأولى كلها فإن حياة الشيء تصبح مهدمة . لقد بنت ليزت نفسها على إنكار اللامرئي ، المستثمر بقدرها ما هو منظور ، والملحّ جمالياً بغيا به . في نظرها ، أنها تضيف العدسيات المرئية المتعددة لآلة شرهة ، تجمع الصور التي تخضعها في هذه اللعبة لتحفظ بنيتها الخاصة المعروضة هكذا : بنية موجزة متتابعة لفيلم فوتوغرافي متحيز تجاه الذكرى .

لقد كانت ليزت متألمة من الجمودية الضرورية لأشائها الداخلية . وهذا كما لو أن حياتها كانت تزويجاً قسرياً حولها بدون الإمساك بها . وهكذا تحافظ على توازن هش بينها وبين أشائها . ووحدها النسخة السلبية لصورة ذاتها تشكل قسماً ثابتاً من شخصها .

أما بالنسبة إليّ ، أنا المحلّلة ، سأكون لوقت طويل ، وربما دائماً ، اللعبة التي تودع فيها هذه النسخة السلبية لكي تحميها في الجمودية المعقّمة .

التجويف

« إن سيطرة المشاعر البصرية ، واقعية أم خيالية ، كبيرة بحيث تؤثر بقدرتنا على التفكير . ومن الممكن أن أكون ، لتجنب أن أكون تجريدياً

إلى درجة أن لا أفهم بعدها ، واقعياً إلى درجة أن أكون خادعاً»⁽¹⁾ .

وهكذا ، نعتقد أننا نتعرف ما هو الجنس والجنسانية وفق ما هو مرئي وظاهر . ومن اللامرئي ، يستنتج الرجل أن بعض الأمور ناقصة . فيرجع فيها إلى ذاته . إلى علم التشريح الذي يحدده ، إلى البصري ، واللمسي ، إلى الخارجي ، إلى النعوظ .

وكما أن فرويد استطاع التحقق من النظريات الطفولية للجنسانية ، يبدو لي من الممكن القول أنه أنشأ أيضاً نظرية ذكورية للجنسانية ، الأمر الذي لا ينقص من قيمتها المرجعية . والبرهان على ذلك الاستعادة الدؤوب والبنائية بين المحللين اللاحقين له ، الإناث كما الذكور .

إن غياب القضيب عند الفتاة يحتم عند الصبي مخاوف خصاء حقيقي تشجع استيهاماته . وهذه الإنشاءات الاستيهامية التي تبررها المعايير البصرية ، تعني أن ذبلاً جوهرياً قد ينقص . وتفتقد الفتاة عضواً جنسياً : ينقصها قضيب . نتيجة ذكورية تماماً . من هنا التفكير أن الفتاة الصغيرة ، التي تقوم بالمعاينات نفسها ، تشعر بهذا النقص ، وليس هناك إلا خطوة ، تجاز بسرعة .

بكل تأكيد ، تتحقق الفتاة بفضول من وجود قضيب لدى الصبي . وهو حضور يوظف مباشرة . ولن يكون هذا إلا بالتحقق البصري للإرسال البولي الذي يبقى عندها أيضاً غير مفهوم ، إلا أن يكون هذا برهاناً ظاهراً لفوهة إفراغ ومنطقة أحاسيس . كبت ، ربما ، ولكنه

(1) W. R. Bion, 1980, p. 10

يعطي معنى وتماسكاً للمعاني الجنسي المبهم المتوضع في الباطن ، في غير المسمى من جسدها ، في اللاقضيبي . قبل كل تقدير « اختلاف » يحملها على الشعور بأنها مختلفة . وليس بالضرورة الشعور بنقص مكان للأحاسيس الجنسية . فاكشاف الآخر أكثر من الغرابة يمكنه إثارة الحسد، تحت أشكال مبهمة . وبدون شك ركيذة للتطور من الجنسية إلى الجنسانية . وفي حين أن خوف فقدان جزء من الذات ، لدى الصبي ، تقترحه مباشرة المعاينة البصرية للاختلاف . ليس لدى الفتاة شيئاً ناقصاً وليس لديها شيء للنقص . « [. . .] وإذا عثرنا على الدوام عندها على عقدة الخشاء ، أيكن فعلاً الكلام على حصر خشاء في حالة يكون فيها الخشاء حدثاً قد سبق إنجازها ؟ » (1) .

وفرويد ، بوصفه جانباً إعتراض الخشاء « المنجز » ، يتحقق بدقة من أن مفهوم الخشاء يظهر عند المرأة بشكل متفرع من تشكيل هويتها الجنسية . والفتاة منغمسة بشكل أكثر مباشرة في المنافسة والمطالبة منها في خشية الخسارة . منافسة مع الأب باتجاه الكينونة : الكائن الحامل القضيبي ، موضوع جنسي مفهوم لأنه مرئي . منافسة باتجاه التملك : تملك هذه الزائدة التي تعطي معنى ، بالنظر ، لما تعانیه فقط داخلياً حتى الآن ، تجريد منجز للبظر ، ليس مكتشف دائماً حتى الآن . منافسة مع الأم باتجاه الكينونة والتملك أيضاً الملتبسين بوحدة الرغبة للأب . أن تكون المرأة التي يزودها الأب باللذة وتمتلك بتصرفها هذه الوسيلة للإرضاء ، مثل الأم . وتبدو لي الرغبة بالطفل ، في الوضع الأكثر إيكاراً ، ملتبسة بالرغبة بالقضيبي المدمج بالمهبل / الفم ، من

(1) س . فرويد ، 1926 .

حيث هو مادة جزئية للمحتوى الأمومي الأنثوي المتواحد . محتوى تأتي تكاملته لتؤكد وتقوي شعور قابلية الانفعال وشعور الداخلية الجوهرية والمبكرة لدى الفتاة الصغيرة مثل المعانى الفمي الذي يختلط به في البدء .

ويمكن لنظرية الثنائية الجنسانية أن تعمل كفرضية مؤسسة لقسم مشاعر الخشاء . الذي يحدده التشريح . وتبدو هذه النظرية بوضوح متحدرة من بقايا الفكر المتأصلة في لحمنا ، الى الحد الذي تسمح به بتوضيح البحث عن الهوية والأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التفاضلية في الآن نفسه ، وأخيراً بحث عن توأمية متكاملة .

ومع ذلك ، كما لاحظ ر . زازو⁽¹⁾ (R. Zazzo) بدقة ، لم يكن التوأمان أبداً متماثلين ، إلا بالتشابه الخارجي للمظاهر الجسدية . ويضغط حصر تشابههما بصرياً بقوة في حصوات الانفصال والتفاضل لدى التوأمين المتماثلين وراثياً . ويظهر إستهاميهما أهمية ضخمة لسيرووات التواحد الجنسي المثلي والتفاضل .

وتقربني رثائتي لنفسية أنثوية متأثرة مباشرة بالتركيب الجنسي للمرأة من فرويد مع ذلك ، ومن جراء أنه يعتبر الهستيريا كمنشأ مفرط عقلي مرتبط بتصورات الأنوثة . تصورات ، الرجل نفسه أيضاً ، معرض فيها ، إلى حد ما ، في الواقع في إنشاءاته الاستهامية الذاتية المتحدرة من التواحدات الأنثوية والأمومية المبكرة ، ثم من مخاوف الخشاء .

لقد اكتشف فرويد ، بدهاءة بنية العصاب الهستيريا بالعمل المشترك

(1) R. Zazzo, 1989 .

الذي أنجزه ، مع بروير (Breuer) أولاً ، ثم بالتحليل الذاتي خلال علاقته بفليس (Fliess) . وقد أتمت مراسلته التعبير عن هوى محب أنثوي تماماً ملتجئاً خلف الهموم الفكرية والإعجاب الذي يكنه لصديقه على الصعيد العلمي . ويبدو أن فرويد ، في الواقع ، هو في هذا الوضع ، متواحد بالرجل المخصي الذي ستكونه امرأة متعطشة للمتعة ، وعاجزة من جراء غياب القضيب . وقد طالب بالخصوبة كلذة فرويد بتعابير مفاجئة حيناً بالنسبة إلينا بقدر ما هي كاشفة .

إن إكتشافه للمراضة المميّزة للهستيريا يؤكد لي وجود مصدر غريزي وبصراحة أنثوي ، ويجعل يقينه أكثر ضرورة أيضاً التوكيد الواقعي للتفوق القضيب . وفرويد ، المأخوذ في حدة حبه شبه التحويل لفليس ، ينسب إليه القدرة المثالية « بسد طاقة العضو الجنسي الأنثوي »⁽¹⁾ . طاقة مقلقة للرجبة ، ما دامت منتجة بمعزل عن شدة الذكر . ويظهر فرويد الحاجة الى الاحتماء من الخضوع الذي يشعر به أمام الرغبة الجنسية بالمرأة . ويبدو حينئذ أنه ينسب ، بطريقة إسقاطية ، شعوراً بالقدرة الجنسية إلى الأنوثة ، صدى الهموم بخصوص *Coitus interruptus* * . وتبدو صلته بفليس كعلاقة غرامية لواطية دفاعية بين الرغبة المشتبهة الجنس الآخر ونتائجها الواقية .

وخلال مدة « حبهما البريء » ، نسب فرويد إلى صديقه قدرة فكرية ينتظر خصوبتها الحقيقية . وزوّدته نظرية الحقب الجنسية المقارنة عند

(1) « رسائل إلى فليس » ذكرها ديديه أنزوي ، 1987 ، ص 440 .
(*) الجماع المنقطع .

الرجل والمرأة بعدد من الأفكار عن ميوله الخاصة المهستيرية وتوحيدهات
الأنثوية . ولكن قدراته المتسامية ستيح له الحصول على استقلاله وعلى
التحرر من تأثير فليس . وأنداك سيعترف على أهمية الجنسانية المثلية في
البنية الذهانية لفليس ، عندما سيشكل هذا الأخير نظريات شبه هاذية
بمناسبة انفصاهما . وقد كامل فرويد بما فيه الكفاية ميوله الخاصة
الأنثوية لاستخدامها في إنتاج نظرية صلبة للجنسانية .

جنيفاف هاغ⁽¹⁾ (Geneviève Haag) لاحظت عند الأطفال الذين
عمرهم أقل من سنتين حركة يد وصفتها كحلزون أو لولب . وهذه
الحركة الطبيعية لفتحة نحو الخارج تنطلق من نقطة مركزية ، نحوها
يمكن أيضاً أن تنقل . وهذه الحركة ، الراسخة أكثر ما يكون في
البيولوجي ، تظهر قدرة إنفتاح نحو الخارجي وتمايز إتجاه المنفذ إلى
الخارجي ، بدون خطر التفريغ أو الانفجار ، واتجاه الانكفاء على
الذات ، نحو الداخلي كمكان محمي بحد الحركة نفسه . وتبدو لي
نقطة انطلاق اللولب متمية إلى أيقنة الأنثوي . أصل وهي في الفجوة
النفسية ، يمتد كوضع حسب الأصول لتشوش الداخليات وينضم إلى
الدوال الشكلية لـ د . آنزيو (D. Anzieu) .

إن الوضع حسب الأصول للانتشار الباطني ، المتجمد في
التصورات الأمومية ، يدل على مفهوم النموذج ومفهوم خطي تدرج
النساء . إنه يبعد الثلث الذكوري و ، من هذا الواقع ، يلح على

(1) تواصل شفهي (Communication orale) . باريس ، 1988 . « الرسم ما قبل
التصويري للطفل ، أي مستوى من التصور ؟ » صحيفة التحليل النفسي للطفل ، عدد
8 . باريس . أول فتوية ، بدأت بالظهور ، 1990 .

السمات السلبية ، وحتى المضطهدة ، لأمومة المرأة وتناسليتها .

ويبدو لي اللولب كالسابق ، عند الطفل الصغير جداً ، دالاً على ضرورة التمييز عن « النموذج » بالبقاء كما هو . على كل حال ، هذه الاشارة ، عند الفتاة الصغيرة ، تأخذ بالضرورة هذا المعنى ، مع البقاء تماماً ، على وجه الاحتمال ، مختلطة بشبكات الجنسانية الثنائية . ويستطيع مفهوم « الهيجان البدائي » ل ف . توستان إعطاء صورة للانفصال الأنثوي والذكوري : هيجان الذات نحو الباطن عند الفتاة ، ونحو الخارج والعضلي عند الصبي .

ويستدعي الخط الذي ترسمه الحركة اللولبية أيضاً الانفصال بين صفحتي الجلد الخارجية والداخلية ، الصفحة الداخلية بكونها تلك التي تنشر تجويف الأنوثة في الجهاز النفسي . والتجويف ، باطن سياق النفس ، يفصله كذلك خط العمق عن الأنا ، في نسيج الأنا نفسه .

وهذا التمييز ، بنوع من الحجاب أكثر قرباً من طية موبوس منه إلى الطية الورقية الواضحة ، يمكنه عرض الحركة التي ستسرب إليها الرابطة بالمشهد البدائي بواسطة أثر الأب . والنسيج الأمومي الذي ينتج الجهاز النفسي مطبوع بهذا الأثر في قوام الاستيهام . ونقطة رسو اللولب عند الفتاة الصغيرة هي نقطة أثر الأب ، رفض هذا الفراغ الباطني الذي ينسب إليه على التخمين غياب القضيب : فلا معاني ، لا وعي للذات الأنثوية ، وبالتالي لا فكر إن لم يكن لا حسد تجاه القضيب الخارجي المكتشف في هذا العمر عند شخص آخر . هذه النقطة الأولية للذات الأنثوية تستمر في تصوراتها عند المرأة وتأتي بلا شك ، في

تطور طبيعي ، لتحل محل هذا « الجزء المفقود » (ج . هاغ) الذي يسبب الذهان بشكل عام ، بل ربما المستيريا أيضاً . و« الجزء المفقود » محفوظ في التدرج الأنثوي الطبيعي في معناه كتجويف منقول من الأم إلى الفتاة ، وموظف في موارد المتعة والخصوبة .

وإذا أردنا فعلاً اعتبار الرحم ، والمهبل الذي يؤدي إليه ، كالمعادلين الجنسين الأنثويين للخصيتين والقضيب ، يمكن أن نتصور كذلك كمعادل رمزي للقضيب المنتصب ، التجويف . تجويف ليس نقصاً ، ولا فراغاً . منفذ ليس كذلك ثقباً ، هاوية بدون نهاية . وهذه فتحة نحو عمق يحده غشاء . مكان لذاته ، قادر على نشاط ذاتي ومستقل . وعاء ، حجرة ، منتج أو مخرب ، تماماً كقضيب منتصب ، بأشكاله المختلفة . وفي التجويف الجنسي الأنثوي القابل للإثارة تتفجر الغرابة المقلقة ، اللامرئي ، السر - وأحياناً المعترف به . مكان الاختلاف والغموض القابلين للانعكاس . نهاية الاتجاه ، جيب كارثي⁽¹⁾ ، تغيير أصلي حيث الرغبة تولد الحياة . والاستيهام القضيب يوفق فيها الأنثوي المتشوق مع الأمومي لملئه أو لسده . ليغطي به كل الفضاء الخيالي ، فضاء الرغبة غير المشبعة .

ويحدث الجرم الذي تكشفه اللذة المحصّلة الدفاع ويجعل من التجويف الأنثوي مقر الوسواس ، إخفاء الأشياء المشتهاة ، المرغوبة

(1) بناء على أحد الأشكال الرياضية للكارتنة وفق رنيه نوم René Thom .

والممنوعة . فتحة بلا توقف ملتفة إلى نتوئها . همّ أساسي للتجويف الأول الأساسي المتعرف عليه في مرآة الفجوة الأمومي . ما يتوجب على الهستيريا الجانية ، الانهيار المخفّض القيمة ، الوسواس الخادع ملأه بالريح ، بالكلام الهادي ، بالفكر الهادي ، التي لن تبلغها أي تحوّل ، لا بفضالة صلبة ، ولا بمادة حية من جديد متشوقة . تجويف للسّد ، للإخفاء أو أيضاً للتمجيد . تجويف شهويّ حتماً ومرعب ، إختفائية الرغبة .

« لا شعوري آخر ، ما سيكون للمرأة ؟ »⁽¹⁾ سؤال ؟ سؤال رجل ؟ « أو إذا لم يرجع للأنثوي ، جزئياً ، هذا الذي يعمل تحت إسم اللاشعوري ؟ »⁽²⁾ . وبالتأكيد كيف يستدعي هذا التجويف الأكثر أنثوية قلبياً والأكثر تجاهلاً من البشري المتعقل ، تجويف الحياة هذا ، هذه الزاوية الصغيرة المخبأة السريعة التأثير بلغز التعشيش المتواصل للكائن ، استعارة أو صورة من اللاشعوري . إن لم يكن اللاشعوري نفسه . كاتدرائية في فضاء ضيق حيث تدوى أصداء الممكن في ثمانينات الحياة ، ولادة وموت ، حب وعنف .

(1) Luce Irigaray, 1977

(2) المرجع السابق .

الفصل الثالث

مازوشية

أدويج (Edwige).

الفتاة (ست سنوات) تملأ المغسلة ، التي سدّتها . بادىء ذي بدء بمساعدة ممرضتها . إنها تشرب الماء ملء شديها . وعندئذٍ ، وبوحشية ، تشرع بتقطيع وتمزيق حلمة الرضاعة التي غمستها فيها ، رامية نظرة انتقام فاحشة إلى ممرضتها . وهذه الأخيرة تشعر أنها تتمزق بين أسنان أدويج ، بنظرتها أيضاً . ثم تغمس الفتاة في الماء الذي تحتويه المغسلة ، محتوى قلم التلوين (feutre) الذي « خلّعه » فتمتلئ المغسلة بسائل أحمر فاقع . حينئذٍ ، يهدوء ، وبمتعة سادية ، منقّرة ، يائسة ، أمام الممرضة المصعوقة ، تترك هذا الجسم الصناعي ، هذه الرضاعة المشوهة يدمى بعناية ، نقطة نقطة ، على الأرض .

رفعت أدويج عينين شبه زجاجيتين وفارغتين نحو وجه ممرضتها التي تمكث قربها ، بكاء ، جامدة ، مسحورة . وصاحت الفتاة : « لا تلمسيني ، أنت تؤذيني ، لا تتكلمي » . ثم ، فجأة ، استدارت وأطلقت ، نبرة اجتماعية ، لازمة مألوفة : « هذه ليست مشكلتي » . وتركت ، تحت عيني الممرضة ، بركة دائمة . وعند باب الغرفة ، رفعت عالياً جداً نظرها ، ومثل أليس Alice ، صاحت ، متوجهة إلى ممرضتها المنتصبّة إلى جانبها : « ولكن توقفي عن الكبر » .

لقد كانت والدة أدويج ، مضطربة سابقاً من هذه الفتاة الصغيرة عندما ولدت : ولم تكن تعرف ما تفعل بها . ومنذ بعض الوقت ، صار لأدويج أخ صغير .

إنني لا أشك في أن أدويج لو كانت بالغة ، فإنها ستفتح قبضتها . وهي أيضاً قادرة على نقل قساوة حياتها إلى لعبة رمزية . وهذا بفضل الطفولة . وسيكون لدى أدويج الكثير من الصعوبة للتخلي عن حالة العطف هذه . كانت تعاستها في مواجهة الأنوثة في عائق بدون مخرج حتى الآن من جراء أنه يخلط مستويين مستوى الرؤية المستحيلة للعضو الجنسي الأنثوي ، ومستوى وضع مازوشي مؤلم مرتبط بهذا الشكل الذي لا يمكن تصوره .

في بعض أسس المازوشية عند المرأة

مغتصبة ، مضروبة ، حامل ، مخدوعة ، مهانة ، مباعة . ولكنها دائماً امرأة . ف « الشرط الأنثوي » يثير « العضو الجنسي الذكوري » . باب دائماً مفتوح . ممر للذة والعنف . حدود ممنوعة تنتهكها الحياة . التباس بين الحب والموت ، الحسد والرغبة . المرأة ، مازوشية ؟ ولكن كيف لا ؟ أينبغي أيضاً تحديد معنى هذا الوصف المخفض القيمة بدقة .

[. . .] واحدة مع الرغبة ، كنت الطاعة
طاعة مداهمة ، مرتبطة بهاتين الركبتين المصقولتين ؛
د : حركات سريعة سريعة كانت أمنياتي تمتلئ .

وكنت أشعر بدافعي يكاد يكون أكثر خفة»⁽¹⁾ .

دافع في أيامنا أيضاً مفهوم بشكل سيء جداً وهذا الذي استطاع التفكير به فرويد لم يغير سوء التفاهم هذا ، مازوشية : « . . .]
تعبير عن كينونة المرأة»⁽²⁾ .

وفرويد ، بدراسته هذا « التعبير » « عند الرجل [. . .] بناء على
المواد التي أتصرف بها . لقد تعرّف في « الاستيهامات المازوشية
[. . .] على وضع مميّز للأنوثة ، وبناء عليه فهي تعني أنها
محصية ، تعاني الجماع أو التوليد»⁽³⁾ . فيتعلق الأمر إذن بـ « مازوشية
مثيرة للجنس » ستجر سمات الأنوثة فيها إلى توظيفها .

ودائماً مساواة الجنسانية وعضو المرأة الجنسي مع الخصاء الخيالي
للرجل . غياب ، حرمان ، نقصان القضيب . لا كائن - امرأة .
إستيهام ذكوري ، « ممثّل نفسي » للغريزة الجنسية عند الرجل في
أشكالها الخاصة .

لقد قلت سابقاً : إن وضعي النظري يعكس فكرة أن العضو
الجنسي ليس الجسم كله وأن الفرق بين الرجل والمرأة لا يكمن فقط في
غياب القضيب عند هذه الأخيرة ، ولكن على الأقل سواء في وجود
مجرى ووجود تجويف جنسيين . وبهذا المعنى الخصاء الذي تخيله فرويد

(1) پول فاليري : مرجع سابق .

(2) س . فرويد « المشكلة الاقتصادية للمازوشية » في : العصاب ، الذهاب للانحراف ،

Névrose, psychose et perversion . 1924 .

(3) المرجع السابق .

سيكون الحرمان من عضو خارجي يمكن للمرأة أن تحصل على صورة له ، ولكن ليست الحاجة بالقوة . ويرتبط الشعور بكون المرء مخصياً ، عند المرأة ، أكثر بالخشية من اختناق أو من حرمان من عمل الحساسية المهبلية والخصوبة الرحمة .

ويوجّه مفهوم الخصاء فرويد نحو مفهوم الموت ، تحت شكل « ثبات لعضوي» يصاد ويخرب عمل الليبدو ، ويقترب أكثر من شعور الخصاء عند المرأة . حصر الخصاء في داخل الجسد الذي ، برأبي ، يدفع الرجل إلى إنشاء دفاعات ضد الصورة الأنثوية الحاملة الخصاء والموت ، من خلال فرضه على النساء ، في العالم الاجتماعي ، إكراهات مؤسسة على القوة العضلية وبمثلته ، في العالم الأخلاقي ، جزءاً من الأنا العليا مخصصاً لتقوية مشاعر الذنب والدونية. وهكذا يخضع الرجل المرأة لسادية امرأة قادرة على كل شيء والتي تثير مخاوف وعلامات مرضية مثل البرودة ، والعقم والوسواس . فليست المازوشية الأنثوية إلا أحد انزعاجات الأنوثة التي وصفها لنا فرويد .

وينبغي أن نعترف فعلاً أن المرأة ، بإيعاز من بنيتها التركيبية الجنسية ، قد أطلقت خضوعها للقوة ولرغبة الرجل . ومن الممكن أيضاً البحث عن مصادر هذه الحالة بالفعل .

إن التأكيد بأن المرأة كائن ناقص وضعيف ، خاضع للمعاناة وفي الوقت نفسه جنسانية الذكر ، يبدو لي مفهوماً مرتبطاً بـ « الميل العام إلى الجحود » . إذ يتشكل هذا النمط من الدفاع « ضد الحصر الاضطهادي والذنب اللذين يظهران عندما لا تستطيع الغرائز المخربة

أن تكون مسيطرة عليها كلياً»⁽¹⁾ .

فالخصر الذي يثيره عند الرجل العضو الجنسي للمرأة وأسرار الحمل يولد عنده ، والحاجة إلى إنكار الجنسانية الأنثوية ، والرغبة في السيطرة عليها .

وتسبب الجنسانية الأنثوية استيهامات الخضوع باستحضار الإيلاج الضروري والآلام المصاحبة لتوليد الطفل . ومن هذه الصور تحدر مفهوم « المازوشية الأنثوية » . وهذا المفهوم مشترك بسهولة مع مفهوم « المازوشية المثيرة جنسياً » وملتبس معه .

وإذا أخذت بعين الاعتبار ، كما يتوجب ، تجربة النساء المعاشة ، تبرهن التجربة العيادية بسهولة أن الآلام البدنية لفض البكارة والمخاض هي نادراً مصدر للذة . ولكن إذا كانت الاستيهامات الاضطهادية المبكرة متكاملة بشكل طبيعي ، فإن هذه الآلام عفوياً وسريعاً تُنسى لتفسح المكان لقسم من اللذة يسمح به الفعل الجنسي وحياة الرضيع . وعلى العكس من ذلك ، عند الرجل كما عند المرأة ، مفهوم المازوشية مثل « تعبير الأنوثة » يبدو مرتبطاً بتصورات الجنسانية المشبعة بقوة باستيهامات السادو - مازوشية الأولية ، التي عززها البلوغ بتحويلها إلى دفاعات للأنا العليا .

ويبدو الانحراف المازوشي مرتبطاً بتكامل سيء للعدوانية المبكرة المرتبطة بغموض دائم للمناطق المثيرة جنسياً وإذن للأغماط الجنسية . فصعوبة تغيير الموضوع ، المفهوم كعدول عن الاتصال الأمومي ،

. Mélanie Klein, 1957 (1)

يتدخل كذلك في هذه المِراضة . ويبقى الشخص إذن خاضعاً لسادية
أم قادرة على كل شيء ومضطهدة ولا يستطيع الحصول على إكمال رغبته
الجنسية إلا في الخضوع لهذه الصورة .

جوزيت Josette هي البنت البكر لثمانية إخوة وأخوات . ومنذ
نعومة أظفارها اهتمت بالأكثر صغراً من إخوتها . إنها تكره وتحتقر
أمها ، ولكنها تعاني في الوقت نفسه نحوها من إندفاعات خضوع
وإعجاب تجرّها إلى أن تضحي في سبيلها بوقت فراغها . فتخرج معها ،
بدون لذة كما تقول ، أخرى غير التخفيف من جرمها . وقد وجدت
منذ قليل من الزمن صديقاً جعلها تتحمل خدمات جنسية تلغنها وتشكو
منها . ولكن الحدث الذي فاجأها ، هو أنها تتمتع ، على الرغم من أن
العلاقات الجنسية لم تأخذ أبداً الشكل الذي تتمناه . واحتقار الصديق
للعضو الجنسي لجوزيت بدا لهذه الأخيرة محزناً ولا سيما عندما أصغت
باكية إلى الصديق يروي لها كيف يمارس الجنس مع نساء أخريات .

ليست جوزيت منحرفة . وبانت مازوشيتها الحزينة بسرعة في
علاجها ، مرتبطة بصورة أمومية مرتاعة لأنها مهاجمة بمشاعر الحسد منذ
الطفولة الأولى . وتحولها الأبوي ، ثم أيضاً الأمومي المثلين . حماها
لوقت ليس بالقصير من المخاوف التي أنهتها جيداً بإسقاطها عليّ بكثير
من الحصر . فهي تحتقر الفتحة الأنثوية مع أنها موظفة بكثافة ، وكل
حمل مبعّد من مشاريعها . كره للإنتاجية الأمومية ، استيهامات
تستحضرها على الجماع غير المنقطع للأهل ، رغبة في أن تكون محبوبة
مثل الأم ولكن خوف من أن تنجب أولاداً سيكونون آنذاك أدلة على
ارتكابها المحارم ، وحملوها على إيجاد شريك هو أم سادية أكثر منه
صورة لأب محب .

الـ « معبر » الأنثوي

والحال أنه بحق فعلاً يميّز فرويد الأنوثة بـ « تحمل الجماع ، أو الولادة » . ويشير كذلك إلى مفهوم الشق الذي يمنهم مفهوم الأنوثة . وينبغي ، كما أعتقد ، أن نضيف إليه مفهوم المعبر فالشق الفرجي ، في الواقع ، مكان عبور لا يمكن السيطرة عليه مثل عضلة عاصرة وهو ، من هذا الواقع ، يحدد خصوصية المشاعر المتموضعة فيه . وكذلك إذن التصورات والمعنى الذي يضيفه عليها . ومع أن التوظيفات المثيرة جنسياً للمنطقة الفمية قد خلقت انفعلاً عصبياً مباشراً ، وليس هذا إلا بتحريك الأشياء في إتجاهي الشق ، فإن الاختلاف المهم يتعلق بإقفاله .

ينبغي أولاً الإلحاح على التمييز⁽¹⁾ بين القناة المهبلية والكيس الرحمي . وإن تلبس أو إلغاء الحساسية المهبلية⁽²⁾ يعود إلى إنكار المرأة لصالح الأم . فليس الرحم منطقة مثيرة جنسياً . والحبل بطفل غير محسوس تماماً ويمكن إنجازه خارج لذة المرأة . وعلى العكس من ذلك ، ولادة الطفل ، تكرر فيه الحقيقة المحسوسة ، أساس قسم كبير من الاستيهامات التي هو موضوعها . فالحساسية الجنسية للمرأة متموضعة في المهبل وفي المناطق الخارجية التي تجاور الفوهة .

(1) درسه بطريقة دقيقة د . برونشويغ (D. Braunschweig) وم . فان (M. Fain) ،

1975 .

(2) في سنوات الثلاثينات ، كارن هورني (Karen Horney) وميلاني كلاين ونساء محللات

أخرى دعموا ابتسار (إبكار جنسي) وأهمية توظيف المهبل عند الفتاة . ذكر ذلك ج .

شاسغوت - سمييرجل (J. Chasseguet-Smirgel) ، 1964 .

ومثل الفم ، الأنف والعين ، المعبر المولوح فيه يعمل في الاتجاهين . وعلى العكس من الأذن ، والفتحة البولية والشرح . والبث نحو الخارج الذي يحدد تصورات الطرح والإنتاجية ، وتصورات العلاقة مع الوسط ، موظف أيضاً جنسياً من قبل المرأة . ومع ذلك يبدو بوضوح أن التوظيف الجنسي للشيء يتم عند المرأة في اتجاه غريزي مهيمن نحو الداخل ، في حين أن عند الرجل ، الغريزة موجهة فقط نحو الخارج . ولكي يصل الرجل إلى الرغبة المحرمة ، ينبغي أن يتخلى في ذاته عن « نقطة التجربة الحارقة التي هي مجموعة كلياً والتي في كلية الواقع لن تكون أبداً بالنسبة إليه نقطة الاستدلال »⁽¹⁾ . خصاء اللذة الفموية التي لم تعانها المرأة . فهي تنقل هذه اللذة مباشرة إلى المنطقة التناسلية وتحفظ السمات نفسها .

والجسد الشقي للمرأة موظف من الخارج الى الداخل فيما يخص التوظيفات التي يمكنها الامتداد من الاغتصاب الى الانتعاض* وإلى الحمل . وإن الهدف المزدوج للمزاوجة ، لذة وإخصاب ، يضع المرأة أمام مبدأ الواقع : بالسعي الى الانتعاض ، تحصل على الطفل . وللأولى كما للأخرى في نهاياتها ، فهي معرضة للعنف القضيبى ، الذي ينبغي على جسد القضيب تحويله من أجلها إلى رغبة إيلاج وإرضاء . وينبغي على الكبت أن يكون قد أوقف المشاعر المبكرة للاضطهاد للسماح ببلوغ الاتمام الطبيعى للمتعة .

(1) Lou Andréas-Salomé (1927/5/20) ، 1970 .

(*) الانتعاض : ذروة اللذة الجنسية .

وتدخل العدوانية تجاه القضيب ، إلى حد كبير ، في الاستيهامات التي تؤسس لإندماجها الواقعي على يد المرأة في الفعل الجنسي . وعودة الاستيهامات المتوحشة ، بوساطة تقدم التواحدات الإسقاطية المرتبطة الجنسانية الثنائية ، هي بلا أي شك واحدة من مركبات الموقف المازوشي الأنثوي . وحجز موضوع اللذة داخل الجسم حقيقة أنثوية . والتحول السادي - شرجي ، الثانوي ولكن الاضطهادي لقدرة حفظ الموضوع ، من السيطرة على نفسه ومن التحولات الذي قد يعانها ، هو الوسيط الضروري للتصورات الأنثوية للعمل الداخلي والحمل .

ينبغي إذن التأكد من أن فرويد كان محقاً أيضاً عندما ربط المازوشية « المثيرة جنسياً » بالمخاوف الطفولية للالتهام ، باستيهامات الخشاء ، بالسلبية وبالغرائز الجزئية . ولكنه لم يذهب الى حد تصور حالة المرأة الموضوعية أمام ضرورة توظيف ، بشكل إيجابي ، الاستيهامات السادية المبكرة للإيلاج ، للالتهام الشدي والقضيب ، الألم الجسدي المرتبط بالرغبة تجاه الموضوع ، للمحافظة على الإضاءة الشهوانية لقسم من الوضع الاضطهادي الأكثر إكباراً .

وقد تؤثر المرحلة القضيبية بشكل خطر ، على حساب التصورات الأنثوية ، في أشكال هذا التوظيف وتوزيع الغرائز الجزئية التي تؤسس له . إما بتضخيم هذه التصورات وكذلك بإطلاق المراضة المازوشية والسلبية الهستيرية مع سعيها إلى المعاناة . وإما بإضمار والسماح بسيطرة القضيبانية مع نتائجها الوسواسية ضد لذة منقوصة القيمة .

وتتضمن تبعية الجنسانية الأنثوية للإيلاج كذلك قدرات تكامل

موضوع داخلي جيد ومن قبل حركات اضطهادية ينبغي أن تصبح إيجابية ، ومعناها ينبغي أن ينعكس : مثل الالتهام ، والابتلاع ، اللذين يوظفان الموضوع بحدّة . وتسمح قابلية الانقلاب للتوجه داخل / خارج للذة الفمّية في أن تكون منقولة مباشرة إلى التناسلية ، الموضوع الشرجي مفهوماً كوسيط تمثيلي للذة الإبعاد . والكلام الأثوي الموظف بسرعة في التطور الوراثي ، يحمل سمات ، حتى في نتاجه الكتابي ، المشاكل التي تمثل في نسق التضادات أنوثة / قضيبانية الموضوع .

إن تجاوز الحد الذي ترده الفوهة الجنسية الأنثوية ، على وجه الاحتمال ، إلى تصورات المنوعات . التصورات التي تثير جزئياً لذة المرأة في نطاق ما يكون هذا الانتهاك جزءاً متكاملًا لتعددية الأشكال المرتبطة بالعمل الجنسي للمرأة ، وحيث لذة عبور الحد جوهرية لها .

ومن الممكن فهم أن الإثارة المظهرة نحو الذكر ، التي تسمى دلالاً أو حتى هستيريا ، متحدرة من الضرورة الأنثوية في الحث على الإيلاج ويمكن أن تذهب حتى الحاجة إلى معنى مؤلم ، سيوصف حينئذٍ بالمازوشي .

إن التجربة النفسية للفراغ الداخلي يمكن أن تكون مؤسسة على التهيج الجنسي الأثوي الذي يؤدي إلى رغبة الإيلاج . وجاذبية التجويف هذه نحو القضيب بمزيتة الغريزية ، تشبه التوتر العلمي . وتصبح المعرفة آنذاك تواصل التجويف والقضيب . فتلتبس الهوية في هذه النقطة مع القضيب الواج ، الشبيه بمحتوى اللذة إذا كان وافيًا

بالمرام لها ، وغير متميِّز في الحدود التي يلتبس فيها مع الأنا - اللذة .

بمقدار ما تفترض الفضولية شهية مدى داخلي للمحتوى الذي هو خارجي له ، يمكن أن ننسب إليه صفة الأنوثة . ويبحث المدى المتفتح للمعرفة على الإيلاج من قبل القضيب الذي ينتظر الاحتواء . وتبدو غريزة التأثير إذن نشيطة في السمع والنظر ، فالأذن كالعين ، المسحورين بشيء شهوي يحصرانه في فضاء مغلق ، ولكن كذلك يدخلانه في حاوٍ راغب . وتستطيع بعض العلاجات الطبية الجلدية ، في هذه الرثاية ، أن تكون مفهومة مثل نتيجة نية لا شعورية في تثبيت نظر الآخر على سطح الجسد لاختلاس الإيلاج المرغوب منه . وهكذا تنطرح ثانية مسألة القضيب الجمالي الذي صورته ملترز (Meltzer) :
أهو أكثر جمالاً في الداخل ؟

ويستطيع مفهوم « الدال الشكلي » إعطاء فهم نظري - عيادي للذة الفوهية التي اعتبرها مختصة بالأنوثة . وتفترض هوية المرأة ، في الواقع ، في بنائها الطبيعي ، توظيفات لـ « ثقب » الغلاف الجلدي أكثر تناسلية مما هو ضروري عند الرجل . وستمنحهم الذكريات الحواسية المبكرة معنى مثير للجنس : فالأنف ، والفم ، والأذن ، والعين والجنس هي كذلك ثقب عبرها يدخل الإيروس في المرأة . والمكونة الدينامية لهذا التوظيف يمكن تعليمها لدى الطفل الذي تصوراته الأولى الرمزية رسوم حدود في مساحة (خطوط ودوائر) .

وتكشف التحويلات الجنسية عند الرجل في الآن نفسه التباس المناطق المثيرة جنسياً والحدود الفوهية ، إنكار الوعاء المحدد بالفوهة الأنثوية ، أو أيضاً التباس الوعاء مع هذه الفوهة ، وتوظيفاً فائقاً

للإيلاج القضيبى الذي يشير إلى الطابع الدائم للسادية الأولية المسبب من اندماجية حلمة مضطهدة . « أصير امرأة » كتب جوهانندو (Jouhandeau) لأنه ، باللواط ، كان يكتشف « الاستمناء الإيجابى » . ولم تكن تصورات التداول وقذف الجسم الشرجى محضرة بشكل كافٍ لتتيح ترك الحسد المدمر نحو المحتوى الأمومى والتحول التناسلى لهذه التصورات .

وفى سجل قريب ، المكونات المنحرفة لمعانة فقد الشهية إلى الطعام تبدو لي أنها تشكل دفاعاً ضد رغبة الاغتصاب الفمى ، وفى الوقت نفسه ضد تدمير الشيء المرغوب بدمه الحسود . وحينئذٍ سيصبح تجاوز حد ممنوع ، لأنه مجنسن منذ التصورات الأكثر إيكار ، مصدر لذة ملتبسة بطريقة واضحة جداً مع الاستيهامات الاستثنائية ورغبات إيلاج القضيب الأبوى . وتشغل الأنا العليا الأمومية ، المرعبة والمدمرة لأشياء اللذة ، فى هذه الحالات الفضاء الداخلى لصورتها غير المحدودة .

وبالمقابل ، النتيجة الطبيعية للذة المعان عند الإيلاج ، تسترد بلا شك فى إصغاء المحلل النفسى . وتبدو المرأة - المحللة مستعدة سلفاً لمنح المعالج غلافاً - إطاراً يتجمعان فيه ويهاجمان بشكل طبيعى تماماً الأشياء التى تحوّلها سيستدعى النزاعات . ويتحقق الإعداد المسبق بين التحويل ونقيض التحويل مثل الإعداد البويضى الذى ستكون ثمرة شخصاً جديداً .

Hilflosigkeit : أوريديس * (Eurydice)

لحن الرجل يرشدك إلى مصيرك . وإذا أردت حفظ وهم أنك محبوبة ، لا تنظري إليه . إنه يقودك إلى الجحيم . لحن صوته ، كلمات حبه ، فنتته العابرة : أخطاء . إنها الغناء الجهنمي الذي تحوّلته حواسك .

كيف لا تؤمنين بذلك ؟

بالكاد كنت تفرين من جهنم ، أعادتك خطواتك إليها . تحترقين باللهب الغريب عنك .

ينبغي أن يسير أمامك ، ظهر مولىً لسعادة ، منك يتفجر الضوء . شرط حلمي : بين الأرض المزهرة والكهوف المظلمة . فضائل السلام ، أهوال اليأس . وبلا إنقطاع على الخيط المريب للذرى ، السقوط على آثار الخطوات ، مفضوضة باللذة أو مجزأة بالحصر . أبدية ، تقدمك بين الضوء والظل ، مبعدة عن ذاتك دائماً على يد الرجل المغوي ، لا شيء إلا الحلم بذاتك . مرغوبة مجهولة .

كيف تتعرفين على نفسك ؟

ستعودين إلى الأبد . بين اللحم والموسيقى ها أنت خيالية : تعتقدن أنك محبوبة ، لست إلا مشتهاة . مدة أغنية . ضائعة بلذتك .

(*) أوريديس في الأساطير زوجة أورفيوس التي ماتت فحزن عليها زوجها حزناً شديداً ، وهبط إلى العالم السفلي لاستعادتها . فأعجبت الآلهة بألحانه وأغانيه وسمحوا له باصطحاب زوجته إلى العالم العلوي شرط ألا ينظر خلفه فأطاعهم إلى أن وصل إلى الباب فنظر خلفه ليتأكد من وجود زوجته فاخفت في الحال (المترجم) .

الأسود الداخلي يبقى ميدانك ، المروق بأموج الدم ، بزججرة
الأهوال والافتلاعات . . أنت تؤلهين النار ، حدّاد الموت ، مخادع
الحياة . لحن الحب لن يتوجه أبداً إلى ما وراء الضفاف المعتمة إذا لم
تعتقدي بالحب .

جريان ، حجز

لا تدعي الأشياء تفلت . وسواس . تدميرها . خوفاً . ضياعها
نهائياً . إنهيار عصبي . كيف ، بدون إفلاس الهوية ، يميّز شخصه من
الأشياء المكوّنة التي تحدده ؟

كيف لا تسلّمها إلى الأم - المنافسة بلا تحفظ ؟

الفوهة الأنثوية تعمل كذلك نحو الخارج ، مكان خروج :
جربانات ، ولادات ، إخراجات وإنزلاقات بخارج الجسم . حليب ،
حيض ، طفل . وفرة تبدلات الجنسية في مظاهرها الأمومية .
إفراغات لا يمكن السيطرة عليها ، جسم منفلت باستمرار ، فوهة غير
مسدودة أبداً ، إلا مؤقتاً بقضيب اللذة . أو أيضاً بألم الانسدادات
المرضية (Pathologiques) . إنفجار يحاول تمويهه الحياء الغامض .
وظائف تعيد إنتاج الحياة ، تفرغها أو تتركها تفلت . دموع العضو
الجنسي . تفرغ رهيب إذا لم يكامل الاضطهاد الداخلي للطفولة
الأولى ، واضطهاد الأم الكلية القدرة والمخصّبة . أجزاء من الذات ،
حية أو ميتة ، مهجورة ، ضائعة .

تواصل السائل ، سيلان بدون تحول ظاهر ، فم - حالب - مهبل .
إسالة الجسم الذي ينزلق بلا تحفظ . جمل إطوائي بالتغيرات

الداخلية ، إصابات ولذات . شعور وحيد بمعبر بين العالي والمنخفض . السائل يخلق المجرى .

لكن الحصر من الضياع إلى الخلاء كذلك مجلى عنه مع الشيء . إبتعاد الذات مع الأمومي . فرج منه تفلت الأم . ممتلىء جداً بالأمومي . إجهاض الذات ؟ إكمال الأمومي فيها وراء ما تبقى المرأة فيه .

إحتفاظ وداخلية

خاضعة لمفارقة الإفراغ من فوهة مثيرة للجنس : أسيكون هناك أيضاً أساس لما نسميه مازوشية ؟

كل شيء ينبغي في هذا الحد أن يصبح متهاكاً على مرأى من الحصر المستحضر . مثل الجماد في يد الذهاني . محفوظ في نقطة الارتكاز المنيعه ، علاقة المحسوس بالجسدي التي بدونها كل شيء يفلت مع السائل . يدر غلاف لصلابة الجسم . مع الجسم الفمي ، الجسم الشرجي سيكون نموذج .

منزلة في المجرى الرقيق ، حلمة - الحليب ، مادة كل إشباع ، تنقل اللذة من خلال الجسم . يشبث بها الليبيدو ضمن التحولات ، التخريبات والخسارات المحتمومة . وينضم إليها سريعاً الأنف والأذن والعين : الاستيهام يتأسس مع المعاني .

إيلاج ، إنزلاق الى الداخل : كيس اللذة والحصور يتأسس في الاتصال داخل / خارج الجسم الأمومي . من الخواء الذهاني ينبت

الرجس : ما يبقى داخلها ، ما يعاني خارجاً ، ليبدو يبقى في فضاء الأنا .

الغائط والطفل : قطعة من الذات تورّد ألم ولذة الانفصال والبقاء سلبياً رغم الجسم المفقود . لا تحتفظ المرأة أبداً بأي شيء : إنها تعيد إنتاجه . إمراة أصبحت أمّاً ، أم في كل إمراة . نفايات ، طفل . خليط موت وحياة . أحياناً ، للأسف ولد - نفاية .

متحولة إلى أم بوساطة الرغبة الضرورية بالحفاظ ، في عرينها ، على النتاج الجنسي كما الفمي . فضاء داخلي متغيّر . منغلق على الجسم ، حاضر أو غائب ، نرجس في زرع دائم ، الضوء والماء يسيثان إليه بسهولة .

قدرة مرعبة هي التي يحتفظ بها هذا الداخل ، يحصرها ، يخنقها ، يبدها . سيطرة على نتاج اللذة ، أثر الرجل . آلام كما الإجهاض : تخلّ عن الثمرة الحية للذات . ثمن اللذة ، معاناة حرقتها .

يروض الذنب الحسد كوحش رهيب . هذه غير الذات
ملتهمّة الثدي ، القضيب المنتصب . مخربة بقدر ما هي منجبة .
هضم ، حمل . خاضعة لجسدها . لا لذة بدون استحضار الأمومة .
معاناة لذة صنع طفل . مرهقة حينئذٍ سلبية وأحياناً فظة بالإثمار
الأمومي الذي يخضعها لواقعها . الرجل ، فقط مرتبط بمبدأ لذة
بانتعاضه . إمتلاء ، بينما أنا المرأة مشغولة بحياة مزدوجة ، ومع ذلك
أنا . جسم ينشأ من أنا ويقودني إلى إستحقاق الانفصال : تجربة
جوهرية للحياة . منافسة الرجل ، الذي ينبغي بكل تأكيد إمهاله

لانتقام بتصورات المعاناة لعدم القدرة على التأكد من أنه ينتج أيضاً الحياة عندما يعرف جيداً إغداق الموت .

متعة ربما أن تعاني من أنك امرأة قبل البكاء من أنك لم تعودى كذلك .

ملكية

جذابة ، مولوج لها ، مملوكة . باطن مستثمر للغاية . أرض مسورة فردوسية تحقق فيها الرغبة . أسف جهنمي . محتقرة لأنها مدنسة . منتقصة لأنها سهلة المنال للجميع . بدون سياج يحدد إلا بالمنوع ، إنتهاك أزي . حد مثير لباب غير مغلق . أخذود رغبة « مرعبة بهدوء »⁽¹⁾ . مكان الجسارة الرجولية . مصدر كل الجبهات كما المثالية الأخوية لامتلاك حلم التدمير : لا منافسة بعد الآن ، ما هو لك هو لي . أساس العبودية . ولكن ماذا ستكون الحياة بدون السراب الموحد للغوص نحو الأنثوي الغامض ؟
« هدوء مخادع »⁽²⁾ .

مشتراة ، مباعة ، مادة ومكان الملكية . مرجع الرجل المشبث بالأرض . امتداد لا يدرك إلا بسعادة كونه محاطاً فيهما . وعاء مخضع لبرعم الهوية . امتلاك مشتهي ينشر الرجل تصوراته في غزواته للانهاثي . امرأة ، تدافع بغيرة عن حقها في أن تحكم وحدها مداها ، مدى معتم للذة والمستقبل .

(1) بودلير : الجنات الاصطناعية (Les paradis artificiels) .

(2) المرجع السابق .

أرض مهزومة في مساحاتها ، في قممها وملاجئها . بحر خطر
مجهول تحت تموجها المغوي والخصب . سماء شاسعة يعج فيها
الانبهار . ذهاب للبحث عن القمر والاحتفاظ به في الذات ، لامعاً
ووهيمياً . الحفاظ على امبراطوريته .

إمرأة ، وهم الملك .

الاستعلاء للحظة بهذه العودة الأزلية الى الموضوع الضائع إلى
الأبد : القبول بتصورك حرة .

إمرأة غير مكتملة أبداً : غلاف فارغ ؟

لدي الوقت

كل الوقت

كم هو طويل الوقت

م . دورا*

إمرأة مشكَّلة حول الفسقية الرحمة . مركزة على إثارة مكان المتعة
والخصوبة . ثدي داخلي ، صورة معتمة للذات المقطعة في رأس -
بطن حيث تتكدس الأعماق . قبة ليلية (بودلير) . فكر ذات موزن
على يد المجهول والمتوقَّع لبنية متحركة سجيئة .

من بروز النهدين إلى الإيلاس** ، من خلال الطمث ، الحمل
والولادات ، حقة المرأة جنسية ، ليست خطية ، ثابتة ، بل تطويرية
بالتقلبات والتحويلات . مقومة ، مصححة ، متعطشة ، متغيرة صورة

(*) مرغريت دورا : كاتبة مشهورة (المترجم) .

(**) الإيلاس : سن اليأس (Ménopause) .

ذاتها خلال التجارب الانفعالية التي تسببها البنية الشقية للجسد .

على هذه الخلفية المحسوسة للخاصية الأنثوية يتطور التوازن بين محتوى المتعة والخصوبة ، وحاوي الإغواء وقابلية التشكل . لذة وتحول مرتبطان حتماً . وليس الأمر مختلفاً بلا شك أن تكون امرأة محللة ، م . كلاين ، التي استخدمت ، بشكل خاص تماماً ، المفهوم الفرويدي للموضوع الداخلي . كل موضوع ، في الرأية الأنثوية ، قابل لأن يكون مستقبلاً في باطن ينتظره⁽¹⁾ . ولعبة التغييرات المتبادلة ، الاندماجات المحبة أو الاضطهادية تدرب على هذا المفهوم للموضوع .
وتعيش الذكري في أجساد النساء .

ويختبر الجرح الأنثوي نفسه في استحقاقات عدة : غياب القضيب ، غياب الثديين ، سيلان الطمث ، فض البكارة ، الولادة . وأخيراً ، الإياس . خصاء أخير وحاسم . اختفاء الخصوبة وعلاماتها . انسحاب الأمومة الممكنة ، إنسداد المغارة الخصوية ، وربما حتى الشك باستمرار مكان الإثارة . أية هوية تبقى للمرأة ؟

لقد إلتقط فنانو النهضة (Renaissance) في جماليتهم هذه الميزة الخاصة لحياة النساء . واختاروها كتصوير لفرار الوقت تحت شكل « خيالات » . طفولة ، شباب ، نضج ، شيخوخة ، كلها مسجلة في جسد المرأة بخطوط تحدد فترة من تطور المرأة ، من عقليتها :

إن قابلية تشكل الجسم الذي فسد ، تنتشر في الأنا . ويتشابك ضعف الغلاف الجسدي على الغلاف النفسي . ويتعلق الانهيار

. J. Lanouzière . 1989 (1)

العصبي بإزالات الحياة الجسدية . انتقاص نهائي : السطح الهش الحامل الإغواء يتبدل ويفسد مع مواعيد الخصوبة . وتظهر شيخوخة القدرات المنتجة بصغر الفتنة المثيرة للجنس . ماذا يبقى من المرأة ؟ لم تعد أما محتملة ، أهي بعد ما زالت امرأة ؟

إن المراضة (Pathologie) ترصد هذا المدى الرهيف لتجاور الجسد مع الأنا . ومثل استئصال الرحم ، الإيلاس (خصاء حقيقي في الحالين) يخاطر بإطلاق خفض الثقة بالذات ، عودة إلى الحركات الاضطهادية المبكرة ، فطم معاني ثانية من قبل الداخلي الأمومي الذي يمكن أن يجبر اختفاء الشهية الجنسية وأحياناً البرودة .

والمرأة مأخوذة بين مبدأ الواقع ، الذي يربط بدقة لذة الحب بتفريخ حياة أخرى ، ومبدأ اللذة ، الذي يحمله على السعي الى المتعة ، تتشكل حول قدرتها على الحمل : لواجب العدول عن ذلك . قصاصات أخيرة ممزقة للقدرة الكلية الطفولية ، المخبأة على يد الفتاة الصغيرة ، على مر الزمن ، في التجويف المنجب . وليست الخسارة في مجرد الخصب . إنها خسارة « المكان حيث لذة الكائن البشري تتطابق نرجسياً مع هوية الشخص »⁽¹⁾ . وكذلك في أكثر الأحيان إسحاب الرغبة ، زوال استثمار الذات في نظر شخص آخر ، إختفاء معنى هذا المدى الممتاز الذي فيه ، لوقت على الأقل ، تقدّمت الأمومة على الأنوثة . ويصبح الشيء المجهول المخفي موضوع بأس . إستيقاظ الحسد المخرب للبطن الأمومي كما للقضيبي ، حاويي اللذة ، لأنه

. F. Dolto, 1964 (1)

أحياناً بالرغم من عمر متقدم جداً ، يستطيع الرجل أيضاً تلقيح امرأة شابة .

بين الإيقاعات والتغيرات المرتبطة بالجنسانية ، ليست المدة الأنثوية خطية ، بل تطويرية . الهرب من المدة سعي ذكوري ، ويعقد عدم الاستمرار الوظيفي للجسم الأنثوي رباط الزمانية ، والمرأة سواء أرادته أم لا ، تعيش في القبل والبعد ، إلا إذا جهلت ذلك بالمرضاة . « وبعد الضربة » يأخذ بالنسبة إليها معنى جنسياً قد يرخي ثقله على العرين الأمومي .

تكون . تكون النفس ؟ تكون الشخص . استمرار جسدي للديناميكية النفسية عند المرأة . شعور بأن تكون امرأة ، مختلفة وجديدة في إتصالها عند كل تجربة جديدة لجسدها . وخارج الزمن الحقيقي يختلط الأنثوي والوراثي لبناء دينامية بيسيته* : بوضوح ، حتى وإن جزئياً ، الأمر نفسه كذلك للرجل الذي لا يفر كذلك إلى العضوي ، إلى الأمومي ، إلى الاضطهادات الداخلية للصور المبكرة . أليس اللاشعوري مكتوماً في التغيرات الرهيبة المتوقعة من قبل الجسد ؟ الأنثوي : طريق مفتوحة الى السيرورة الخالقة ، سمة الزمن في أبدي اللاشعوري .

(*) بيسيته تعني النفس ، وهي في الأساطير اليونانية أميرة بارعة الجمال إلى حد آثار غيرة فينوس فكلفت كيوييد أن يحملها على عشق فتى أقل منها مرتبة لكن كيوييد أحبها ووضعها في قصر ناء وتردد عليها وحذرها من النظر إليه لكنها خالفته ونظرت إليه فاختفى عن الانظار . فهامت عل وجهها تبحث عنه . ثم طلبت الصفح من فينوس وبعد معاناة شاقة منحها جوييتر الخلود وتزوجت من كيوييد (المترجم) .

تحرير المرأة من مكانيتها الزمنية .
وتأخذ المدة معنى . تجاوزات وتخلّيات متكدسة ، ويصبح الماضي
حياً داخل مدى محرّر من غيرته ، إلى صورة الجسم الذي يتحول :
ولادة مهجورة من أجل الأنوثة ؛ أحلام الحرية الجنسية محدّدة
بالخصوبة ؛ صفاء ، ليس بسيطاً جداً ، بعد الحدة الجنسية والأمومة .
بعض الشيء من « معرفة » الساحرات ليست ربما إلا المعرفة المحتموة
للتغيرات التي يعانيتها باطن الذات ، معرفة تقطيع الحياة بالرغبات
وميوعة نتائجها .

حياتها كامرأة تربطها حيث جرتها رغبتها . مربوطة ، غالباً رغماً
عنها ، إلى هذا الذي يخترقها وهذا الذي تحدر منها . مأسّلة بالحياة التي
تحميها من غلافها حتى النضج ، والتي تدعوها حبساً ، حرير رقيق
تتعقد ربطة خيوطه بين بطنها وروحها . « لم يعد عندي من لذة في أن
أكون أنا . لم يعد هناك أمل ، . لم يعد هناك انتظار في داخل ذاتي . ما
بقي من الأنا هو في الخارج » . ب (B) تتألم في نرجسيتها . إنها تزيل
استثمار نفسها . تصل بصعوبة إلى ضروريات الواقع المادي . ديناميتها
الطبيعية ضعّفها الانقطاع بين الذات المقومة للرغبة وللحقيقة الجنسية
والجمالية : فهي تشعر أنها أصبحت شيئاً غير مرغوب فيه ، وحتى
مقرّزاً ، بين زوج يجد مع امرأة أكثر شباباً بعض الإشباع لستينياته ،
وأولاد تحترم حياتهم كشبان راشدين .

إن المصدر النرجسي ل ب . ينزف من الداخل بتغيرات صورة
الذات التي تسببها لديها نهاية الدورة المنجبة . فتشعر بحيوية الإدراك
الحسي لأقل إغواء بالقرب من الرجال . وضع مبتذل ، هو ما تفكر به

ب . كثيراً . مصدر الواقعي . لكي تستمر امرأة ، ينبغي أن تشكل باطناً جديداً ، مجازفة بالاحتفاظ فيه بنقرات ، أشباح وردود رغبات من شبابها ، كما كذلك بنقاط مسرطنة . حتى هنا هي مكوّنة جيداً حول تجويف الحصر . ب . تشعر بنفسها يابسة ، مستسلمة للسقوط ؛ « مع أن الأمر لا يتعلق ، كما تقول ، إلا بسقم طبيعي في المبيضين الصغيرين . النرجس يذبل .

لقد أثارت ب . في ذاتي أسئلة : هل تصغر الغريزة في الديناميكية النفسية مع خفض الطاقة البدنية ؟ وفي هذه الحالة ، مثلها في الحالات الأخرى المكشوفة على يد فرويد ، هل تتحول الفعالية إلى سلبية؟⁽¹⁾ . وهل صورة الذات مدركة بالقصور الذاتي للتجويف الحصيب ؟ إن الانقلاب على الذات الغريزة الغيرية تخفي الجسم بما هو شيء خارجي ، مثل عقدة موبوس (Möbius) : إن غير محسوس الطية هو اللحظة المائعة حيث المعنى يتناسك بين واقعين ، واقع الجسم وواقع التأثير الأولي ، والأنا نفسها المتواجدة مع موضوع الحب ، « تفك توأحدها » وتنطوي على ذاتها .

والمرأة ، إذ تدلّل « سوء فهم اللذة »⁽²⁾ تخطو خطوة فوق « الهاوية التي يتعذر عبورها والتي تصنع الذي لا يخبر »⁽³⁾ . إعادة توظيف موضع النرجسي ، داخلي الذات . وإذ تحتفي الامتيازات القديمة ، تبقى شفافية الحياة . إعادة إكتشاف ذاتها امرأة . فيما وراء زمن الجسم

(1) فرويد ، 1915 .

(2) بودلير قلبي معرى ، (Mon cœur mis à nu) ، باريس ، غاليمار ، 1976 .

(3) المرجع السابق .

وملطفة واقع الجنس ، إعادة تكامل استمرار الكائن - المرأة . قابلية
التأثر الهادئة ، قابلية التحول إلى الحنان .
حب

بنية دَوّارة حول الموضوع / الذات الداخلية ، في عمق الكائن ،
اندماجية الموضوع المحبوب تجعل منها جزءاً من الأنا : طريقة حب
المرأة . وهي إذ تتوحد مع هذا النمط من وجود الموضوع ، المحبوب
لأنه قابل للاندماج بكل سرور ، تبحث في الرجل عن هذا الجزء
الأنثوي الذي ستجبه بالطريقة نفسها . وينطوي أنثوي الحب على
نفسه .

الموضوع / الذات خارجاً . هذيان . خسارة لا تعوض ، دفع
الطفل . طفل / ذات ، مكروه ، مرغوب ، غريب . محبوب فيما وراء
اللذة . واقع ، شيء تزن مادته وزن حبه . حماية من الكره العنيف ،
المحرّض ، الذي يخرب الأم في المكروهة الصائرة أمّاً . أم مسكينة
ممسوسة . حداد الطفل المتوحش المعاني في لحمه . الإبعاد جعله رغم
كل شيء مختلفاً ، إذن محبوباً . الحماية بأي ثمن ، لأنه محبوب .
الظهور في مكان آخر ، قبلاً . المغادرة بأسرع ما يمكن : هذيان .
الأفكار المجنونة تأتي لتشغل الأم اللابسة الحداد من تلقاء نفسها ،
وتستقر في رأسها بدلاً من الطفل . الجنون يضع الرضيع في الأماكن
التي تحميه من الفراغ ، تبعده من الانهيار . الطفل الحقيقي ، المولود
الجديد المستقبلي هكذا على بعد ، المحترم ، المفصول مبكراً عن الثدي
الحقود سيجد للعيش الموضع المتروك كذلك حراً . الأم المؤلمة الضائعة
لا تسترد من ذاتها إلا الكره الذي يربطها بأماها الحقيقية ، المضطهدة
الفطرية ، أم الأطفال الموق .

السلبى والانتوى المرأة بلا صفة

المرأة فى السلبى

قال فرويد عام 1932 : « ليست المرأة رجلاً . ليست رجلاً لأنها لا تملك قضيباً [. . .] ما عدا ذلك ، تستطيع المرأة أن تكون كذلك كائناً بشرياً»⁽¹⁾ . وفى العام 1937 ، تشاجر دائماً مع هذه القارة السوداء التى لا يقترب الفكر البشرى منها أبداً بدون رعب . وإذ تمتلك صفات الإنسانى لكن غير صفات الرجل ، فأى وجود يمكن نسبه إلى المرأة ؟ ربما لا توجد ، لأن الرجل يتكلم من أجلها ، مع العلم جيداً أنه لا يوجد إلا معها . أو على الأصح ، لن يكون جوهرها إلا سلبى الرجل ؟ إنها العدم الذى يولد منه الحضور .

أنفاً ، أفلاطون ، كان يبحث عن وحدانية الكائن . وكان الشعور بالنقص ، الذى يسببه الانشطار الجنسى ، يقوده إلى بحث دائم عن الوحدة⁽²⁾ . وإذا كانت ثنائية الرجل / المرأة تظهر آنذاك صعبة على التوضيح ، فإنها لم تكن تنقص لهذا الحقيقة الجوهرية للمرأة . وكان الاختلاف الجنسى يُفسر بالنسبة إليه بسقوط « الروح » ، مبدأ كل

(1) س . فرويد ، 1932 .

(2) أفلاطون ، المأدبة (Le Banquet) .

نشوء ، في جسد سابق الوجود . وكان يفترض إمكانية اتصال جدي بين هذين القسمين من الكائن ، الروح الخاصة بالحياة ، والحركة والذكاء ، والجسد بكونه الركيزة المادية⁽¹⁾ .

وتحدد هذه الجدلية تلك الجدلية التي تقوم بين البحث « البدائي » عن اللذة والميل المكتسب ليصبح أفضل⁽²⁾ ، البحث عن التنوع في الوجدانية ، وعن الآخر في الذات .

وتحمل بإعجاب على التفكير بعلم النفس الماورائي الفرويدي : مبادئ اللذة والواقع ، ظلمات على التصعيد ، علاقات الحواسي والنفسي ، على أي حال ، نعرف ، منذ العصور اليونانية ، أن الجسم سابق الوجود على المرأة ، كما على الرجل .

وتحملنا النظرية التحليلية على التصدي بشكل أكثر مباشرة إلى الحصر الذي يثيره إنشطار البشري . ولكن إذا سمح بالتعرف على المصادر اللاشعورية لهذا الحصر ، فليس عليه إلا المشاركة بشكل جزئي جداً في تغيير تأثيراته المنقصة للمرأة في الحياة اليومية والأفكار المتحضرة . والتفكير بهذا الموضوع محفوظ في حالة السلب والجوهر الأنثوي معتبر على الأكثر كألوهية تواجه خصائصها جهلنا وتتركه بلا صفة : « [. . .] في هذه الظلمة حيث ، وفق الكتاب المقدس ، ذاك الذي يكون كلياً متسامياً بوجود مطلق [. . .] وهي (الألوهية) ليست قادرة ولا ضوءً [. . .] ولا خطأ ، ولا حقيقة

(1) أفلاطون ، Le Phèdre ،

(2) أفلاطون ، Le Timée ،

[. . .] ذاك الذي يكون مجرداً من كل شيء «⁽¹⁾ . هذه الظلمات من الفكر الذي ينبغي أن يتخلى عن جزء من كماله المتعاطمة مشابهة للقارة السوداء للنظرية التحلّفسية . والمرأة تبقى غير واردة . وليس هناك إلا إله بسودو - دنيز (Pseudo-Denys) ، وليس لها صفة المرأة . ولا تستطيع أن تكون متصورة امرأة .

ليس هدفي هنا القيام ببناء منطق السلبي . فعيدون هم أولئك الذي سبق لهم أن قاموا بذلك ، وسيفعلون ذلك أفضل بكثير . إن مسعاي يطمح بالأحرى إلى الارتداد على المحنة الأنثوية بأن تكون متصورة في السلبي . فآية حجج يمكن إستحضارها لدعم هذا الإيعاز المعان نحو الأنثوي في أن يكون سلبياً ؟ وإذا أعطينا ، رغم التحفظات الفرويدية ، قدرة على المتعة للمرأة ، نضعف المفهوم القضيبى للذة ، وفرج المرأة ، بتشكله من الطية الداخلية ، يستحضر سلبي الجنسية ببساطة لأجل هذا الغياب للقضيب ؟ أو سيتعلق الأمر أيضاً ، مثلاً ، بالتباس الكينونة والملك ؟ ملك غير مقدر أو لا يعرف من الباطن الأنثوي لأنه المستقبل الأمومي . ممثل هذا الذي ، عند الرجل ، يمكن أن يكون ممحواً ، مختلساً ؛ انزعاجاً مرتبطاً حتماً باستحضارات النقص ، الغياب ، الخضاء : الأنثوي يصبح السلبي ، رغم الانتماء من الأمومي إلى الأنثوي .

(1) بسودو - دنيز (Pseudo-Denys) : علم اللاهوت الصوفي . Théologie mystique . ذكره د . آنزويو في « إنشاقات ومترعات من العلم الروحاني Résurgences et dérivés de la mystique » N.R.P.. XXII ، باريس ، غاليار ، 1980 .

ومن اللافت للنظر أن فرويد يتحاشى ، طوال بحثه ، تمييز الأنثوي من الأمومي . وهو تمييز ضروري مع ذلك : فالأنثوي ، في مميزاته الجوهرية كما في أهدافه والتصورات التي ترتبط به ، ليس الأمومي . فوظيفة الإنتاج التي ، عند الرجل ، تلتبس مع المتعة الجنسية ، يمكن أن تكون منفصلة عنها جذرياً عند المرأة . فالجبل ليس الانتعاش . ولا مدة الحمل كذلك . لكن مدة الحمل ، في الآن نفسه ، ظاهرة وغامضة بداخليتها الجسدي ، وهو سبب جوهرى للاحترام المدعور الذي يتوجه إلى الأم ، وحش ملغز ، مصدر الأولوية . فالأنثوي والأمومي مرتبطان بالرمزية الفعلية . فالكلمة نفسها تشير إليها في لغات كثيرة ، كحالة الدلالة على الدفاعات الصلبة الضرورية لاستحضار الباطن اللغز حيث تتعقد بغمص الحياة والموت .

والفكر ، بلا شك ، ليعمل بطريقة مستقلة وليفرق بين عناصره الخاصة ، ليقيم منطقها ، ينبغي أن يتأسس على الاختلاف الأصلي للأنا ومواضعها ، للأنا والآخر الاختلاف المدعوم والمقوي باختلاف الجنسين . ويعمل الفكر التحلّفي على الإعداد النفسي لهذا الاختلاف ، وتحمل إليه طرائق تفكير النساء المحلّلات تدرجاتها . وقد كان فرويد يلاحظ ذلك بسرعة : « لقد تعلمنا بناءً على ذلك عدداً من الأشياء مؤخراً ، من جرّاء أن كثيرات من زملائنا الممتازين النساء قد بدأوا تعاطي هذه المسألة في التحليل » (1) . ويخاطر الرجال بأن يكونوا مرتابين بالأراء المسبقة . وسيكون الملاذ الثنائية الجنسانية .

وتفترض دورة الطاقة الكهربائية قطباً إيجابياً ، يقال له الذكر وقطباً

(1) سيفموند فرويد . مرجع سابق .

سلبياً ، يفترض أنه الأثني . إذن إذا اعتبر ، من وجهة نظر محددة ، الأثوي والذكوري كقطبين متقابلين ، تجري بينهما الطاقة الليبديية ، فهذا سيرجع إلى القول إن المرأة سلبية الرجل . وسيكون السليبي الأثوي الإيجابي الذكوري « في تجويف » .

ينبغي الاعتراف له بمبادرة نشيطة في العلاقة الجنسية ، في نقل اللذة ، بل أيضاً نقل الفكر ، إن لم يكن الوجود ، مبادرة ينسبها إليه سفر التكوين . ولكن هذه الافتراضات لا تحتوي إلا الجوهر الأثوي وليكن السليبي . ونمط التفكير الذي سيتلاءم على نحو ملائم مع السليبي سيكون إما في عدم التفكير به ، ف « لا - علامة » هو ما سينكر التفكير نفسه ، وإما بالتفكير أنه غير موجود ، وهذا الذي سيقود إلى التأكيد أنه في التفكير لأن إحدى خصائصه ستكون ضرورة رفض وضوحه . وحينئذ يبدو السليبي معكوساً ، أو مكرراً ثانية . منطوياً على ذاته . طية الفرج الأثوي . والمرأة بنمط وجودها كما بجسمها ، تمنح قيمة للتوء الرجولي . فالسليبي منظم الفكر بإبراز القضيبانية التي يولدها .

السليبي موجود إذن . ويظهر كصفة إيجابية للفكر : وإذ يختص بالمحسوس ، وهو وصف للشيء بمعنى الإدراك الحسي ، بل صفة لا يمكن تمثيلها بما هي مادة الشيء . إنه يفترض الوجود السابق لمادة إيجابية ، ستكون الفكر نفسه مثلاً . مادة إيجابية ستكون ، في الرثاية التحلسفية ، نسق التصور ، بصفات حضورها وغياها ، دوامها واختفائها .

وستكون غريزة الحياة ، الإيجابية للغاية ، أولى إذن . ويمكن القبول

بأن لا شيء يموت قبل أن يكون قد عاش . بشرط أن يميّز الموت (من جهة نفي الوجود) من العدم الذي سيسبق كل وجود . وهكذا يظهر السلبي مرتبطاً بصعوبة تصور وجود الذات في المشهد البدئي الذي يسببه . وحده التأثير الأولي يمكن أن يدخل فيه الحركة التي تشكل الذات البدئية ، المؤسسة على التعارض الأساسي ، على ثنائية القطب إيجابي / سلبي .

قبل المادة ، سيكون السلبي معادل اللا - وجود . ورغم الوضعية الجوهرية للكلام ، وللكتاباة التي تثبت هذا الأخير في تكثف غريب ، يبدو لي السلبي كصفة لما يوجد قبل حالة السلب . إنه الكينونة الممكنة قبل الوجود . وفي « فيما وراء مبدأ اللذة » تفحص فرويد بعمق هذه المسألة . ويظهر هذا النص ، في كآبته المفرطة ، رجلاً اللذة بالنسبة إليه جوهر الكائن البشري . إنه يستند إلى غريزة الموت ، يحوّلها إلى نيرفانا* ، وفي وضع جنيني مستعاد ، قصور ذاتي بدون إنفعالات وبدون تأثيرات أولية : طمأنينة الباطن الأمومي الممثلن .

ولا يستطيع الفكر تصور العدم لأن الفكر يكون . إنه يستطيع فقط تصويره . وجهازنا النفسي قابل للإحساس بالعدم مواربة التأثيرات الأولية : في الاكتئاب ، أو أيضاً الذهان . وحينئذٍ يأخذ السلبي مسحة

(* النيرفانا لفظ سنسكريتي يطلق عند البوذيين على الخير الأعلى ، الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول ، وإحساء ذاته الفردية في الكل . وقد استعار شوبنهاور هذا اللفظ وأطلقه على السعادة العقلية والوجدانية التي يمكن بلوغها بإنكار إرادة الحياة والإعراض عن مصالح الذات الفردية وأوهام الحواس . (المترجم) .

الأم ، الكرب . وتنطوي المراضة في الواقع على فكرة جزء سلبي في الحياة النفسية ، الميل إلى إلغاء الحياة .

إن القوة الرمزية لتصورات الألوهية مستعارة من الإنتاجية الأمومية التي تجعل هذه الأمور سلبية : القدرة المدلّة للأم ، اللغز المحصر للحمل والخوف الموحى بواسطة الانفجار الأنثوي . فضلاً عن ذلك ، تعلن الألوهية قيمة القدرة الخصبة والمغذية لمنتجة الحياة .

إذن لنأخذ فريق الكائن الحي . توجد الرغبة في مادة الكائنات الحية . وقد عرضها فرويد تحت شكلها الأول الغريزي . والغريزة المتحولة الى رغبة بالكبت ، تفترض المسافة التي تنشئ الحياة النفسية ، مسافة بين الجامد والبشري ، الحواسي والتصرفي ، بين الفم والثدي . مفهوم دينامي ، تعبر الغريزة عن الحركة الإيجابية نحو موضوع إشباع مفترض . ولا توجد الرغبة إلا بغياب الموضوع ، بسليبي الحضور ، باللا - حاضر . إنها ميزة مركبة لحياتنا النفسية التي تعبر عن الحصر الذي يثيره النقص النرجسي والذي لا يلغيه قسراً حضور الموضوع المرغوب ، والا اللذة التي يقدمها .

غياب وتكثف

في مراحل الحياة الأولى ، السلبي مرتبط بالمحسوس بنسبة ما هو نتيجة التعاقبات حضور - غياب الثدي الأمومي . وتجعل هلوسة الثدي الغائب حاضراً ، إنها تحقق حضور الثدي غير الحاضر ، وفي بناء الجنسانية الأنثوية ، إن غياب الحلمة في الفم ، الذي يصبح شهوة الحلمة (أبراهام Abraham) تصور مرحلة حافظة للوضع الفمي

السادى) يتحول فى غياب القضيب ، إلى حضور الفرج ورغبة القضيب فى الفرج . وإن الشعور الأنثوى بالسلبية ، الذى تحدته الصورة الرجولية من جراء غياب القضيب ، يصبح رغبة إيجابية فى الإيلاج الجنسى بواسطة القضيب . وهكذا ، سلبى الأنثوى ، مرتبطاً بدقة بالتشريح ، يجر الفكر نحو تمييزه الخاص للجسدى . وتحولات هذا التقدم عديدة ومصادر لكثير من المراضات .

لقد كان الموضوع الغائب حاضراً سابقاً ، حاضراً حقيقةً . أمكن القول عنه بمقدار الشيء - الثقب - الحاضر ، القضيب الذى لم تمتلكه الفتاة أبداً ؟ إن الاستيهام يملأ عالمنا الداخلى بأشياء غير حاضرة : قضيب ، أم للقضيب ، أمير فاتن ، وحوش متنوعة ، وهى ألعاب خيالية . الأشياء - الغائبة ، تلك التى ليس مستحيلًا نسيانها عندما الحاجة تحمل على الشعور بها ، تجعلنا نعيش السلبى ، تجويف الرغبة المعروف حتى فى اللحم .

إن المرأة ممثل نقص الأنا ، قبل أن تكون ممثل الثنائية الجنسانية بالاختلاف أعلى / أسفل العائد لجسمها بالنسبة للرجل ، هذا النقص الأنثوى تصور لعدم رضى الأنا الراغبة دائماً ، رغبة موجهة أولاً إلى الثدى . ويغذى هذا النقص استيهامات الخسارة ، الاكتئاب والرغبة غير المشبعة والمرأة كذلك منفية فى وجود الخاص من جراء أنها دائماً موضوع رغبة الجنسين . وتؤسس هذه السلبية الجوهرية الأنثوى بصفته ممثل الآخر ، المختلف . غير الرجل ، بكل تأكيد . وهذا الأخير يدعى حق تصور الآخر ، الحق الذى سيكون خاصة لقوته البدنية .

إذن ، إن تمنعنا فى السلبى المميز بصفة الغياب الخاصة ، نجد

المرأة : سلبية بصفتها غير حاملة للقضيبي ، سلبية كذلك بصفتها امرأة ، التي تفترض الأم الغائبة . امرأة لأنها محتلة من قبل الرجل ، وليس من قبل الطفل . امرأة بالغياب الوقي للفضاء الأمومي فيها . القريب جداً مع ذلك ! وإذا كانت الأمومة السعيدة سمة الأنوثة ؟ الحاوي يتحول إلى محتوي ، بالمعنى الذي فهمه ديديه آنزيو (Didier Anzieu) .

أوصف المرأة أيضاً أن نسب إليها ما يعبر عنه المعاني الذكوري : « نقص في الوجود ؟ » . وإذا بررت نفسها هذه الصيغة ، فليس هذا ربما إلا في ميزة الفتاة غير البالغة ، التي تتميز بغياب الثديين . ماذا تفعل حينئذ الفتاة الصغيرة بأنوثتها ؟ هذا النقص يظهر كذلك الأنثوي لأنه مستقبل . فالرجل يولد كما هو . المرأة تتحول : فتاة ، امرأة ، أما ؛ النهدان ، الحيض ، الطفل . النهدان ، الصفات الأكثر ايجابية في الجسم الأنثوي ، يوجدان ، برأبي ، منذ التواحدات الفمية الأولى بالأم في التصورات الأنثوية للذات ، الفم - الثدي للرضيع الفتاة التي ، في عيني أمها ، ترى نفسها بدءاً شقية داخلياً . التواحد الكامل أم - فتاة منذ البدء ، هوية الصورة المسقط والمدرّكة / المعاناة ، اندماج الأنوات . ويستطيع السليبي الأنثوي أن يفهم كـ « دال الحدود » (كما فهمه غوي روزولاتو Guy Rosolato) الذي يميّز الفتاة من أمها ، أولاً كجسم كلي ، ثم كجسم شقي مع غياب النهدين . وأخيراً ، يميّزها من الصبي بغياب القضيبي . وتعلمنا المراضة ، للأسف جيداً جداً ، خيبات أولئك الفتيات اللواتي نظرت إليهن أمها تهز نظرة من كانت تريدهن ذكوراً .

إن مفهوم السليبي يجذب التصور في اتجاه تغيير المظاهر المادية .
وسنرى لاحقاً كيف أن ليزيت (Lisette) ، المرأة المصوّرة ، طورت
« سلبياتها » الفوتوغرافية مع الانتظار النافذ الصبر لأن تكتشف فيها لوناً
ونتوءاً .

وهكذا الماء الذي يتجمد في البرد يعطي العلامة على حرارة سلبية :
المادة تتحول . كذلك ، مفهوم الخصاء السليبي بصراحة بالتصورات
التي يقترحها للحرمان من القدرات ، الجنسية أولاً ، وإذن لإثمار
الجسم و/ بالنقل والتحويل ، لإثمار الفكر . إن غياب القضيب عند
المرأة ينحل ، في الفكر الذكوري ، بخوف ومفهوم الخصاء . وإذا
اعتبرت معارضة الإيجابي بالسليبي كتغيير ، عبور ممكن من حالة المادة
إلى حالة أخرى - بما في ذلك حالة المادة الجسدية أساس التصورات
النفسية - ، والخصاء ، بما هو حرمان من القضيب بالنسبة للمرأة ، لا
يكفي لإرضاء الفكر . إنه لا يحتوي بشكل كافٍ على الفرق بين
الأنثوي والذكوري بقدر ما يبعد بحق الوظيفة الأمومية ليجعل منها
مكاناً تعويضياً تجعل سعته قضيباً . فالتغيير أساسي عند الفتاة ، من
حالة « أنثوية » بصراحة إلى حالة قدرة أمومية ، مع التغيرات المهمة
للبلوغ : الأمومة ما بعد ضربة الأنوثة .

في هذه اللحظة من حياتها ، المميّزة بشكل أساسي ، مثل البلوغ
للفتاة الصغيرة ، فهي ترى وتشعر بجسمها يتحول : يظهر الثديان ،
مظهر ينتشر ، أشكال إيجابية للأمومة القادرة ، وقبل كل شيء مستثمرة
لوضع إغواء أنثوي نحو الرجل . ثم يظهر الحيض ، عنصر أكثر إقلاقاً
بكل تأكيد لأنه يجدد نشاط استيهامات الخصاء القضيبية ويظهر نشاط

هذا المكان المخفي للرجبة . والثديان هما بالنسبة للفتاة شكل قضيبى يعادل مصيرهم الانتصاب القضيبى للصبى . والنفي الذي فيه تستثمر الفتاة الشابة الفاقدة الشهية للطعام الأشكال الناشئة لأنوثتها ، هو غالباً إظهارها الرغبة في أن تكون صبياً ، أقل من تقديمها ؛ لأنها كما لأبيها ، جسماً شقيماً متحدياً سلطان الرغبة الجنسية الأبوية والمنافسة الأمومية المخفية . وحينئذ يصبح السلبى عنصراً منظماً ، مولداً للقضيانية التي يبرزها .

المرأة واضحة ، متميزة ، أولاً بصدرها : خاصية قضيبية تعويضية ، وهذا مسلم به في نظامنا للتفسير الحلفسى . بل أيضاً خاصية نوعية للإغواء الأنثوي . الذي ينقل ، نحو أعلى الجسم ، تأثير المفاتن ويمنحها حرية الظهور المتحدرة من تعدد معاني وجودها ووظيفتها . والفمىة ، التي تعبر بوظيفتها المغذية ، ترسم للثدي إتجاهاً يوصل المكبوت فيه إلى دلالة مركزة للفمى وللجنسى ، الذي يمس النفي ، ولا ينبغي إهمال الحولية البيفرجية . « هذه المرأة ليست أمى » هكذا كان يقول فرويد ، في الحلم الذي ستوحيه له ال Verneinug . وقد تسمح له أمه الوصول إلى ثديها ، لأنه ولدها العزيز : ويستطيع أن يرغب ويرى الثدي الأنثوي عندما يظهر في وظيفته الأمومية . وإدماج ، ثم استبطان الثدي حين الفطام ، مثل التواحدات المحددة بهذه الفترة من التطور في الشبق الفمى ، تعمل على أن تمتلك الفتاة أولاً الثدي في ذاتها قبل أن تمتلك الثديين البارزين على سطح جسمها والمتحدرين من هذا السطح . ثديان هما ، في رأيى ، مظهر للداخلية الغريزية . وقد يكون هذا الاقتراح موضوع نزاع : يمكن الافتراض أن

غياب الثدي عند الفتاة هو بالعكس مصدر مشاعر الخصاء والضعف
الرجسي بالاستناد إلى قضيبانية تصورات النقص والخصاء⁽¹⁾ .

إن تكاثف الوظائف والأدوار الذي يؤسس غموض الأنثوي . وظيفة
أمومية ، مؤسسة لرجل السلبية الأنثوية : ينبغي التسليم بعدم حمله
طفلاً ، لكنه رجل كذلك لأن المرأة ليست كذلك . إنه يصبح رجلاً في
مواجهة والده ، بالإقلاع عن المتعة الأمومية : تلك الحاصلة لأمه مثل
متعة كونها أمّاً . أمّاً بواسطته ، وتصبح الأم في أنوثتها ركيزة سلبية
الموضوع المرغوب . واللذة ، إذ تسقط على الموضوع ، تكون إيجابية ،
وتسقط في الموضوع قد تصبح سلبية بواسطة تصورات باطن حيث الأنا
تنغمر .

حوار أطفال (إصغاء غير متحفظ)

فرونيك (Veronique) ، عمرها ست سنوات ، تتناقش مع أخيها
داميان Damien ، وعمره ثماني سنوات :
ف : « أتعرف ، أمي قالت لي أنها أرضعتني ثلاثة أشهر من ثديها .
د : وأنا أيضاً ، وحتى أكثر من ذلك بقليل .
ف : نعم ، ولكن أنا كانت ترضعني سابقاً عندما كنت لا أزال في
بطنها .
د : هذا غير ممكن . فالصدر موجود في الخارج .
ف : كلا ، بالنسبة للفتيات ، توجد أئداء من الداخل أيضاً . وأنت
صبي ، فلم تكن تحتاج إلى ذلك » .

. J. Lanouzière, 1988 (1)

وإذا كان داميان يبدو غير مقتنع كثيراً ، فإن فرونيك كانت كذلك تماماً : فالنهود الداخلية هي للفتيات . وقبل الحصول بكثير على نهود ، تتمتع الفتيات من النهود الداخلي . فالشدي الأموي داخلي دائماً ، ويأتي « خارجه » من الداخل .

نقص

إذا صدق بيون Bion في قوله « [. . .] كل فكرة كما تكون عادة معروفة ، أي كخاصية للكائن البشري ، كاذبة »⁽¹⁾ . إذن تخاطر فكرة فرويد عن الأنوثة في أن تكون كاذبة لأن ، ودائماً وفق بيون : « الفكرة الوحيدة التي تتوافق مع الحقيقة هي تلك الفكرة التي لم تجد قط شخصاً ليحتويها »⁽²⁾ . أما فكري الخاصة عن الأنوثة فإنها تخاطر ، هي أيضاً ، في أن تكون كاذبة . أوافق على هذه المخاطرة : فكري الخاصة ، التي تكذبها الحدود التي تحتويها ، سيكون لها ، على أي حال ، جدارة أن تكون أكذوبة امرأة .

إن أحد « مصادر التجربة »⁽³⁾ يظهر أنه الواحد الإسقاطي ، شكل مبكر لقدرة التفكير . وسيعمل رأسنا حينئذٍ مثل كهف أفلاطون الذي على خلفيته نسقط المواضيع المستثمرة لتأثراتنا الأولية ، وكذلك كحاوٍ للمشاعر البصرية التي تنتمي إلى هذه المواضيع وتحدها . ولم تكن

(1) W. R. Bion ، 1974 ، ص 197 .

(2) المرجع السابق .

(3) المرجع السابق .

الفكرة النظرية أبداً إلا استعارة للكائن الذي يسعى إلى أن يكون جوهرها .

والكناية تصور ذكوري للنتاج في النظرية التحلفسية ، عندما تخلط المرأة مع رحمها والرجل مع قضيبه . ففي كل امرأة يوجد شيئاً من القضيب كما في كل رجل أجزاء صغيرة من الرحم . إن افتراض قضيب للمرأة ، أو الرغبة بقضيب أداتي ، هو وضع ما تمتلكه في الداخل خارجاً وإعطاء شكل ظاهر لما لا يمتلك من ذلك شيئاً يعرف أو يحدد بواسطة المخيلة .

للتكلم كامرأة ، يتوجب علي إذن العودة إلى الفكرة الاستعارية أو ربما ببساطة التقابلية . وحينئذٍ كيف نقدّم فكرة المرأة ؟ بتجويف بالنسبة إلى الداخل ؟ وبتنوء بالنسبة إلى الخارج ؟ الحجم والسطح يختلطان في تعقد متدرج . وأفضل تحديد الفضاء الداخلي كتصور أولي ، فضاء يؤسس موضع الموضوع النرجسي . والنتاج التصوري لأشر (Escher) حيث تصبح الصور شيئاً فشيئاً مختلفة بواسطة إندماج الخلفية ، يعبر رمزياً عن هذه الطوبولوجيا* . العين تتصرف ، يقودها الانزلاق غير المحسوس للشكل . ويقوم الموضوع - الشكل ويتحول بواسطة حضور الخلفية .

وليست تجربة الواقع هذا الواقع نفسه . وليست المرأة الوحيدة للقيام بالتجربة الأنثوية بواسطة باطن الذات قبل القيام بها في

(*) الطوبولوجيا فرع من الرياضيات يعنى بدراسة موقع الشيء الهندسي بالنسبة إلى الأشياء الأخرى (المترجم) .

التواصل . ويتوافق انزلاق الشكل على الخلفية مع التعريف المريب
للثنائية الجنسية . وتحت شكل فوهة ، مجرى ، فضاء متقبّل على
النموذج المعماري نفسه للجهاز الهضمي مثلاً ، توجد عناصر الأنوثة .
ومن ضمنه في إنتاج الأشياء الذي يستحضر الوظيفة الأمومية للباطن
الأنثوي (غائط = ولد) . وهذا الفضاء قابل حتى للحفاظ مؤقتاً على
الموضوع الذي يتوقف فيه وتحويله ، مثلما يحتفظ الجهاز النفسي
بالانطباعات الحواسية ويحوّلها إلى تأثيرات أولية ، إلى مواضيع ، أو إلى
أفكار .

لا شيء من الميكانيك ، في هذا المجموع جسد / نفس الذي
يستطيع وصف نفسه بشكل أفضل مما فعله غودل Gödel بنظريته عن
النقص . وتوجد دائماً رغبة لا يتوافق معها أي موضوع . وبالنسبة
إلي ، إن العنصر الأساسي للقانون الذي يحدد النظام التحلّفي هو
العنصر الأنثوي : النقطة الداخلية التي تتركز فيها الصور
والاستيهامات التي تؤسسها . القارة السوداء . من الهستيريا إلى
السواس مروراً بالكآبة ، استند الى صدع المطلق هذا وقسم فكره إلى
مبدأين : لذة وواقع . وثابت الفكر محكومة بالنقطة الثابتة المظلمة في
المركز الأنثوي ، الذي ينظم المعطيات الأكثر فأكثر خارجية في مبدأ
الفكر ، وحول ، وكل شيء دوران ، الكون ، الثورة ، انزلاق .
والأنثوي هو الفكر الذي يتصور نفسه بنفسه ، نوع من الإخصاب ذي
نظام مرجعي ذاتي . فالأنثوي هو الوحدة .

وإذا كان فرويد محقاً ؟

وإذا كان فرويد محقاً ؟ ربما لم أكن هنا ، بصدد الكتابة ، إلا

لأعوض بشكل وهمي النقص المتسامي للقضيب . أينقصني في الكائن المفكر الذي أكونه ؟ كمالية حية خارج وظيفتي المنجبة ، ولن يكون فكري إذن إلا السلبي المزهو لفكر رجولي ، أو أيضاً التبدل في الشكل للقدرة الرجولية لشعور الغياب . فإدراك غياب عضو رجولي هو مسبقاً تصور الرجولية .

الكائن الملغى بالملك ، كونك أما لا يعني امتلاكك طفلاً ، بل صنعه طويلاً من لحمك الذاتي . الرجل لا يملك قضيباً ، إنه قضيب ، يجعله عضواً منتصباً بواسطة رغبته . فالعضو المنتصب ليس إلا عضو الرجل الجنسي . الكائن يستعلي الامتلاك .

عضو جنسي ظاهر ولملموس ، مستثمر من إيجابى الاختلاف الذي يعهد إليه معنى : العلاقة بالكائن المولّد أبديته . وإنه على التصرف ، بعد فوات الأوان ، يتأسس الاختلاف : التحويل الظاهر وعلى مسافة ، العضو المرئي والملموس ، محدث اللذة . في الداخل المهترز للفتاة يوجد كذلك الـ « ما هذا ؟ » للعلاقة الجنسية . ولكن آخر ، مكمل .

ماذا المرأة ، حينئذٍ ؟ إذا كان الكائن المرأة لا يستطيع أن يكون متصوراً إلا كنعو أو غير الرجل ؟ أستطيع ألا أكون إلا « لا - رجل » ؟ سلبي صورة يمتلكها الرجل عن ذاته ، وفرجي الخاص غير مستطيع إلا الإنخداع بالحضور الخارجي أو غياب الآخر في أناي الذكوري . فكر نابت من العضو الجنسي والغياب ، إذن ستفكر المرأة قبل الرجل . ويبدو أن فرويد قد كتب ذلك أيضاً⁽¹⁾ ، ولكن الرجل

(1) س . فرويد ، 1932 .

المخصص وحده بالقضيب ، ووحده الرجل يستطيع تصور الكائن ،
وتصور المرأة : رجل ذو تجويف ، غير مكتمل ، معطوب . وعلى الأكثر
قالب ملغز . وإذا ، مع ذلك ، كان الفكر متجذراً جيداً في تركيب
الجسم ، ينبغي أن يوجد فعلاً جوهر للكائن الأثوي القابل للتفكير
إنطلاقاً من تركيب الجسم ، أو على الأقل ليبدو متميّز . وحتى ولا .

ويعمق أكبر ، يرتبط مع ما يعانیه الجسم وما يتصوره الذات ،
بالموضوع المتميز أيضاً ، بخارجانية الكائن وداخل الغلاف : ليس فقط
تشبيهاً مع آخر ، غريب مضاعف . الذي لا يوصف لغير المماثل .
فكر متحدر من المعاني ، الخاص بالكائن المعزول نهائياً في جسده ،
الذي يجهل أيضاً الاختلاف ، أو بالأحرى المنسحب من هذا
الاختلاف نحو الأساس العنيف لأنواع الحصر . جماع : وهم الوحدة
الضائعة . ثم ، بعد ذلك ، كل لنفسه .

القسم الثاني

كتابة

كلمات ونساء

ماذا يستطيع العديد من النساء بمعاناته جيداً في المرحلة الراهنة ليطالبن بحق الكتابة بهذا القدر من الشراسة واليأس؟ إن توافقاً ظاهراً يقوم بين هذه المطالبة بالأنوثة الفعلية وتطور الوسائل المضادة للحبل وجعلها رسمية . وتوازي الحداث في الزمن يبدو لي لافتاً للنظر . كما لو أن إمكانية عدم إنجاب أطفال إلا بقرارٍ واضح ، أو عدم إنجاب أي طفل كلية ، كانت تثير عند النساء قلقاً نفسياً بالنسبة إلى وسائلهن النوعية للتعبير . فالحمل وتوليد طفل ، بكل تأكيد ، التعبير الأكثر نوعية للأنوثة . ويبدو أن انتصار حرية الحمل التناسلي قد رمى الشك عند عدد من النساء على قدرتهن على التصور الفكري . ومن الشائع مقابلة إمكانيات تحرير الرجل إزاء مسؤولياته في الإنجاب ، بالالتزام الأنثوي في الأمومة . وهو إلتزام ، غالباً ، محتمل بشكل سيء لأنه يجبر إلى وضع بدني خاص والمسؤولية الحتمية الملموسة لحياة جديدة .

فأية علاقة تقوم بين تشريع رفض التوليد وأزمة الكتابة الأنثوية؟ أية معارضة توجد حرية اللذة الجنسية في حين أنها لم تعد مؤسسة على تأكيد هوية أنثوية؟ وكتابة المرأة ، هل هي مماثلة لكتابة الرجل وبأية ميزات يمكنها التمايز عنها بطريقة سهلة المعرفة؟

مسائل مطروحة ، وليست محلولة ، بالرغم من تكاثر الكتابات

الأثوية . شعور بالتضجر بين كثير من الآخرين في مفارقة الكتابة للهروب من العبودية « للهيمنة القضيبية » . من دوريس لسينغ (Doris Lessing) إلى ميشال مونتريلاي (Michèle Montrelay) لا يطمئنا الأدب الحالي كثيراً على وضع هذه الصفحات .

ومع ذلك ها أنا مرمية الصفحة البيضاء التي كان مالارمية (Mallarmé) يسترد ربما في ذاته ، مثل العديد من النساء ، نشوة الفراغ البتولي . نشوة يجرها البياض فيما وراء جذور الحياة في جسدي ، نحو هذا التصور الرهيب للبارك (Parque)* ، والخيط المنسوج للكتابة ، والممدود بعنف شديد على يد نساء اليوم ، أليس ضد علامة الموت ؟ ولرفض خصوبة المني فيهن ، قد تواجه النساء خوف العقم . والمرأة ، إذ تعطي الحياة ، تحتفظ بالقدرة الكلية على هذه الحياة . ورفض الحمل يخفي بعض النية الكابحة : لذاتها - امرأة غير مكتملة في الأمومة ، امرأة ببطن ميت - وللطفل الذي الوجود مرفوض له .

إلى هذا الكفاح المستمر من أجل هوية تريدها المرأة معترفاً بها في علامات الكتابة ونحوها ، فتبدو هذه المرأة دائماً خائفة أن تجهض ذاتها . فالكتابة طريقة للتأبد . ولكنها ليست بالتحديد أنثوية أو ذكورية ؛ من هنا ، على وجه الاحتمال ، ذنب المرأة في استخدامها . وخاصة إذا حلت الكتابة محل التوليد . فغموض معجم الكلمات التي تعين النتاج الأدبي والنتاج التناسلي ، هو قديم : خلق نتاج ، إبتكار

(*) ربة الجحيم وسيدة حياة البشر التي تغزل نسيجها . (المترجم) .

نص ، تصور فكرة ، إلخ .

وينتج الموقف التحليلي مجدداً ، بين الأريكة والمقعد المريح ، بعض خصائص اللحظة الوراثة حين يبدأ الطفل بالكلام . وفي هذه المرحلة الثانية من الحياة ، يأخذ الانفصال البدني للأشخاص أم / طفل معنى جديداً ، يتحقق تحت الأشكال التي ستؤسسها اللغة في الوقت نفسه الذي تؤسس نفسها على إمكانيتهما .

والكلام ، في التحليل كما عند الطفل في سنته الثانية ، يضع الجسد على مسافة من الفعل . ويصف العلة البدنية في حركاتها الداخلية وتجعلها سهلة البلوغ للتحليل بدون مشاركة أخرى نشيطة غير المشاركة الشفهية .

ويبدو لنا ضرورياً ، لفهم كيف تتأسس هذه السيرورة عند الطفل ، القبول بمفهوم الكبت الأولي ، كما وضعته ملاني كلاين . وفي الواقع يمكن إفتراض أن الأنا العليا المبكرة تستخدم الحركات الغريزية لتشكيل القدرة .

إنها إمكانية الظهور عند بعد في فضاء غير فضاء الجسم الأمومي الذي يثير استخدام الوظيفة الصوتية لغايات ليست لعبية فقط . وتحول لذة الطفل الصغير باللعب مع صوته ، عنده ، إلى نظام تعبير للذات المتعمدة ، مخصص لإبلاغ الذات ، بدون الاستمرار في علاقة تكافلية حيث الحاجات والرغبات مختلطة مع حاجات ورغبات الأم .

إن المنوعات المبكرة هي ربما المصدر ، مثلاً ، لسلوك ملاحظ غالباً عند الطفل الصغير . وفي أحيان أكثر مما نعتقد عند البالغ : مص

الإبهام . وبين محاولات التفسير ، واحدة ، غير مكتملة بقدر ما تستطيع ، تبدو لنا مقبولة : هذه الحركة الشبقية - الذاتية تسعى إلى تعويض غياب شيء مرغوب . ويستطيع هذا الغياب أن يكون شيئاً فشيئاً ، مفهوماً من الأنا العليا في تركيب مثل نتيجة منع للذة . وستكون حينئذٍ الحركة الشبقية - الذاتية ، بكل تفاهة ، محاولة للاستبدال ، مصاحبة لكبت الرغبة نحو الشيء . ومن جراء الحرمان ، يقتاد الطفل إلى التراجع وإرضاء نفسه بوسائله الخاصة ، مهلاً هكذا للذة الترابطية للرضاعة ، للثدي الممتلئ بالفم .

يمكن الكتابة حينئذٍ ، مثل ميشال مونترلاي (Michèle Montrelay) ، أن « التصور اللاشعوري ليس إلا نصاً ؟ »⁽¹⁾ . يبدو جيداً في الشهور الأولى من الحياة ، في حين أن اللغة ليست أيضاً ممكنة على المستوى الوظيفي ، أن اللاشعوري لن يكون إلا جسماً منتشرًا ، بدون بنية ، يتشكل من جهاز عضوي راغب على يد الوسيط الجدلي للإجابات والرفوض لجسم الأمومي وللبيئة . في التحليل النفسي ، تسمح سيرورة الانكفاء الموضوعي والوقتي باسترداد وضع الكائن هذا ، وكل ذلك مع السيطرة عليه بوساطة وسيلة المسافة الفعلية . وهذه سيطرة ينبغي أن تحمي أو تؤسس التحليل ، بدون جهل لهذا العناصر البدنية التي تثير الحركات الغريزية التي لغتها هي التعبير عنها .

وقد تكون هذه فعلاً واحدة من صعوبات الوضع التحلفي الذي يكون أساسه الجوهري هو الحدث الشفهي . وقد جرت صعوبة البقاء

(1) 1977 . إستشهادنا مستخرج من الفصل « بحوث على الأنوثة » Recherches sur la الأنوثة . ص . 64 . « Féminité » .

فيه عدة إلتواءات للتقنية الفرويدية بالنسبة إلى قاعدة التعفف :
 فعيديون هم أولئك ، المشهورون أو المجهولون بشكل مظلم ، الذين
 أفلسوا عند هذه النقطة . ويفترض إدراك السيوررات الأولى
 وتفسيرها ، عندما تظهر عند المعالج المتراجع إلى طريقة فاعلة ، عند
 المحلل الذي قبل ، هو نفسه ، التخلي عن هذه الطريقة بالإرضاء
 المباشر . والمسافة المنظمة بالقاعدة الأساسية بينه وبين مريضه لا ينبغي
 أن تكون مغمورة إلا بالكلام . وهو ، بالتأكيد متورط كشخص بقدر
 ما هو متورط كمحلل في الإجابة عن الانكفاء ، لكن نظام إصغائه
 يجب أن يتيح له المحافظة على الوضع عبر الخطاب وحده . الخطاب
 الذي يصبح حينئذٍ إستعاري للعلاقات الاستيهامية الجسدية للأفراد
 الحاضرين . في هذا الوضع ، في الواقع ، حيث الجسم منذر بعدم
 الظهور عمداً بوظائفه المألوفة ، يصبح الخطاب الشفهي للمريض
 المعالج ، بشكل خاص جداً ، شكلاً إستعاريّاً للاشعوري عنده⁽¹⁾ .
 وتصان القاعدة على يد المحلل الذي يستعيد فيها ، لا شعورياً .
 الوضع الداخلي المؤسس للغة عند الطفل : وتظهر اللغة عندما يفلت
 الطفل من العلاقة الثنائية . وما يعين حينئذٍ على يد الفتاة ، إذا كان
 الأب ، هو تخليها كذلك عن هذا الأب أمام الأم . وسينشحن الكلام
 بكل المعاني العاطفية المستدعية الاتصال الملموس مع الشيء المرغوب .
 وهذه الإمكانية هي ربما ، خارج حدث النضج القشري ، محرّك الغنى
 السريع للغاية لمعجم الكلمات الطفولية خلال السنة الثالثة . كما لو أن

(1) يرى ج . ب . بونتاليس (J. B. Pontalis) في النفسية « استعارة مزدوجة للجسم »
 ، ص ص 217 - 222 .

الكلمات كانت مخصصة لردم ، بأسرع ما يكون ، وبأكثر ما تكون الثغرات الفضائية بين الطفل وأمه . ولكن كذلك ، على وجه الاحتمال ، لملء الفضاء الداخلي للفتاة الصغيرة ، المتوقع عند توظيف المناطق التناسلية .

ويظهر كلام الفتاة إذن ، في مسألتها الخاصة ، الاستعارية للجسم الأنثوي . وهذا الفضاء الذي يملأه ، بين الفتاة ومستمعها دال على الرغبة الأنثوية : الفضاء الداخلي ، المشهون منذ عمر مبكر . ويمثل الخطاب الأنثوي فكراً لباطن ، وعاء / حاوٍ ، يتميز بما هو مثل للخطاب القضيبى للرجل . وثغرة الفكر ، الذي يقدم نفسه غالباً كفكر خاص للأنوثة ، هو ربما شكلها المرضي .

ويمكن كذلك الافتراض أن هذا الوضع للحاوي ، الذي عاجله ، بعد بيون ، العديد من الكتاب المعاصرين ، يتيح للمرأة المحللة إمكانية طبيعية تماماً ومختلفة عن طبيعة الرجل . ألا يمكن ، في الواقع ، رؤية تصوير رجولي في هذه « الأذن الثالثة » للمحللة ، أداة خارجية للاستقبال ولمنفذ للجسم ؟ . وتفهم المرأة المحللة ، على وجه الاحتمال ، بشكل أكثر مباشرة ، أن الرجل بفضل تكوينه التشريحي : الأذن الثالثة ليست إلا مزجاً أنثوياً يوصل إلى التجويف الأنثوي لكل محللة .

ذات يوم ، أثار مريض دهشتي . ففي هذه المرحلة ، كنت قد بدأت التفكير بكبت الكتابة ، عندما كشف لي بانطلاق شعري عن المرأة : « الكمال ، بالنسبة إلى امرأة ، هو أن تكون رجلاً » . كانت الكلمات المتجمعة هكذا ، في مختصر أسر ، موجهة إليّ بفظاظة .

واللذة التي أحسستها فيها ، آتية من جانب رجل شاب ضعيف ومكتئب ، أثارتي بشكل جديد في مسألتي الخاصة . وقد تمثلت الكثافة الفعلية لهذه الجملة بالنسبة إلي بطريقة قضيبية ، وبدا معناها مناقضاً معناها الأصلي . إذ كان رفض الأنوثة يميل إلى تحويل الانتباه عن الرغبة التي كان يشعر بها هذا الشاب المتكلم لا شعورياً نحوها . ولكن شكل الجملة كان واضحاً إلى درجة أنني شعرت بنفسني أجيب عنها في موضع آخر غير فكري الشفهي . لقد أحدثت في الضحك المتحدر من لذة ما ، مدينة في الظاهر إلى هذا المحتوى العبيثي . لكن هذه اللذة كانت تستحضر في موضع آخر صدى أنوثتي ، مدركة من قبل مريضني في أعماق اللاشعور عنده . لقد كانت جملة تفحمننا .

وهنا ، كانت قليلة الأهمية السقطات التقنية واللحظات التفسيرية التي تنفرع من هذا التبادل كلام / لا شعور . والأهمية التي أريد إضافها على هذه الحلقة من معالجة تحلفسية هي أهمية تحد تجاه اللاشعوري والمعاني الأنثوي مع تشبيه دائم مع الوضع القضيبني . وإن التباس الأعضاء الجنسية ، الذي يميل إلى إعادة كل نسق فهم للعضو الذكوري ، يجر حتماً إلى التباس الفكر عند المرأة : بعد أن كان مرتبكاً يصبح ملتبساً . وتحاطر فيه المرأة بإلغاء حقيقتها الجنسية والفكرية .

ومن هذا النسق المؤلف في حضارتنا العربية تنفرع معظم الكبوتات الفعلية عند الفتاة ، الكبوتات التي تقوم على إعداد الفكر الفعلي ، الشفهي والمكتوب .

من استخدام الكتابة والكبوتات التي يلتقيها عند المرأة ، سأعالج مرفق وجهتي نظر ، مميّزة ، من جهة ، التعبير الخطي والنص المكتوب

كموضوع ، ومن جهة أخرى ، الوسيلة الخطية ، بالمعنى الذي تستلزم فيه الإشارة الكتابية وسيطاً ، بل أيضاً حيث يصبح النص المكتوب وسيلة تواصل مختلف مادياً عن الكلام .

أما استكشاف الأسس التحلّفية للجنسانية الأنثوية ، فقد كان في أغلب الأحيان مباشراً به بقوة في الأدب التحلّفي المعاصر . وسأنوّه بشكل خاص بأعمال جانين شاسوغيه - سميرجل (Janine Chasseguet-Smirgel) وأعمال بعض الأخريات معها⁽¹⁾ ، التي ، إذ تستعيد أفكار فرويد في رثاية نقدية أو مكتملة ، عاجلتها من وجهة نظر عيادية بقدر ما هي نظرية .

ولا يمكن تجاهل إزدهار الأعمال عن هذه المسألة التي انطباعها العام مطالب إلى هذا الحد أو ذاك بحسب الكاتب : كتب أو مقالات مدينة في أكثريتها إلى النساء اللواتي همهن الحصول على الحق في أن يكن نساء ويكتب « كنساء » . هيلين سيكوس (Hélène Ciscous) ، وميشال مونترلاي ، ولوس إيريغاري (Luce Irigaray) . من بين كثيرات أخريات ، يظهرن قلقهن بشأن وضع المرأة في مجتمعنا ووضع فكرها فضلاً عن إمكانياتها المعطاة لها للتظاهر بحرية في عالم يتصورنه كلياً وبعناد رجولياً .

إن أسئلتهن والأجوبة التي حملنها لها قد وضعتني ، أنا نفسي ، في حيرة كبيرة ، بسبب وضعي الشخصي كإمرأة محلّلة ، إذن معدّة لمعالجة اللغة في ظروف محددة بشكل خاص . ويتفق والحالة هذه أن أجر إلى

(1) J. Chasseguet-Smirgel, 1964 et 1988; Jacqueline Cosnier, 1987

الشعور بنفسي أكثر فأكثر على مقربة من مركز التفكير الأنثوي وأسئلته .
الكتابة في هذا الموضوع ، في حين أنني امرأة ومحللة ، يستلزم مراقبة
لذاتي المرأة من قبل ذاتي المحللة التي يعاكسها اللاشعوري في أغلب
الأحيان . ولحسن الحظ يبقى الحلم بالنسبة لها طريقة « ملكية » تمتلكها
للكشف عن باطنها في اللحظة الملائمة من النضج .

إذن كنت أحلم ، واستيقظ وفي رأسي كلمة عجيبة
Scribedouche . وكانت الصورة الثابتة صورة ألماني ضخم كان يصرخ
بهذا الاسم بطريقة فاحشة . لقد كان هذا اسم ابنته ، أو إسم أحد
المراهقين .

بدا لي المقطع الأول Scribe في الحال مثل صيغة الأمر من الفعل
اللاتيني Scribere اكتبني ! في وضعي الحالي ، كنت أعرف فيه على أنها
عليا أبوية . ولا سيما أن المقطع الثاني douche كان يرتبط بالنسبة إلي ،
من بين أشياء أخرى ، بـ dù : أنت ، ثم بـ durch : عبر .

ليس في نيتي هنا استنفاد التدايعيات التي أثارها في ذاتي هذا الحلم ،
ولا أن أعمل منها تحليلاً شاملاً . ومع ذلك سأستخرج منها بعض
الملاحظات الشخصية لأن لها علاقة بالعمل العقلي لامرأة مفكرة
بمشكلة الكتابة . وأفهم جيداً أن إشكاليتي ليست الإشكالية الوحيدة
للبرهنة . إنها تعطي فقط توضيحاً لهذا البحث .

كنت أسمع إذن ، في حلمي ، الصوت الأبوي يحرضني على
الكتابة ، أنا بالامس ، وكان هذا الصوت يجتازني (durch) . كأن
الصوت الأبوي كان في نفسي الأداة التي كان يتوجب علي استخدامها

للكتابه . ولكن هذه الصورة الأبوية لحلمي كانت رجلاً ألمانياً : الأمر الذي يلمح في الواقع إلى أي أتعلم هذه اللغة وفق رغبة أبي . فالألمانية إذن اللغة الثانية ، بعد لغتي الأم : لغتي الأبوية .

ولكن واقع أن يكون رجلاً ألمانياً هو الذي يلزمني بالكتابة هو إشارة إلى أنه العدو . ويكون هذا الإغواء في مراهقة زانية بمحرّم مصغية إلى صوت الإغواء الأبوي . ولكنه يبقى مستحيلاً لأن الرجل عدو ، وعلى الأصح بشع . وما ينتج عنه لا يستطيع التحقق إلا في كلمات . ولكن عندما انتهى الحلم ، بقي العمل ينتظر القيام به .

لا يختلف التركيب العضوي للمرأة عن التركيب العضوي للرجل إلا بالعضو الجنسي والأعضاء التناسلية . فالوظيفة الشفهية متماثلة عند الجنسين ، لجهة أن جهازاً عضوياً عقلياً طبيعياً ينتج عند المرأة ، كما عند الرجل ، تعبيراً طبيعياً . وإنه في سيرورات الإنتاج تختلف المرأة عن الرجل . الإنتاج التناسلي - الإنتاج اللغوي . والخلاف في الشكل والتحديد العضوين يؤدي إلى استخدام للرموز ولنمط من العمل الشفهي مختلفين عند الرجل والمرأة .

إن التنظيم اللغوي للتعبير الأثوي يتضمن التصور اللاشعوري للذات ، محدد بالتجويف التناسلي . في حين أن عند الرجل يمكن التعرف بسهولة إلى أن القدرة الشفهية معادلة للقدرة القضيبيية .

إن الإنزعاج الذي يوجّه تصور الخصاء الجنسي يستأنف بكل تأكيد

كبت الرغبة الفمية ، أي الرغبة الملتبسة أيضاً مع الحاجة الأساسية المرتبطة بغريزة الحياة . ويبدو أن الحرمان من الحلمة داخل الفم ينتقل إلى موضع آخر ، عندما لا يتم التغلب عليه ، في تصور الخشاء الذكوري ، المتخيل ، بابتذال وإفراط ، مثل إستئصال القضيب ، إذن من كل إمكانية قضيبية ومن كل إجابة عن غريزة الحياة المستعادة في الحاجة المنجبة . في حين أن المخصي الحقيقي هو ذاك الذي فقد مع خصيتيه القدرة على « التناسل » ، والإنجاب ، و« ملء » المرأة .

والمشاعر الجنسية ، عند المرأة ، هي بدون أي شك ممكنة ، داخلية أكثر منها خارجية . ويمكن حتى التساؤل ، إنطلاقاً من الملاحظة العيادة ، إذا كان ما يسمى انتعاضاً بظرياً ليس نقلاً نحو الخارج لإمكانات المتعة الداخلية ، أو ربما لعدم القدرة على التمتع المهبلّي الانتعاضي .

وعلى أية حال ، إن الحرمان من إمكانية المشاعر الداخلية هذه هو الذي تشعر به المرأة الباردة جنسياً أولاً كخشاء مرفوض من قبل أناها العليا ، وهو الذي يسبب عدم القدرة على تحقيق الرغبة . وبنفس درجة العنة الذكورية .

لكن التصور الذي تمتلكه المرأة هو بكل وضوح تصور حرمان من شيء ما . داخلي ، غير محدد لأنه غير ظاهر ، ولا تمكن معرفته إلا من قبل الأم . لأنها هي نفسها امرأة ، والتواحد السلبي معها يؤدي إلى نفي التجربة المعاشة الداخلية ، والأنثوية بشكل دقيق . وهذا الشيء ممثل في أغلب الأحيان بصورة القضيب الفحولي لأن العلاقة انتعاض - قضيب فحولي معرفتها ممكنة ، في حين أن العضو الأنثوي للذة الجنسية

يبقى مجهولاً من التمييز الخارجي . وهذا الشعور بالخصاء بوساطة الحرمان من اللذة المهبلية يسبب ، عند الكثير من النساء اللواتي يعانين منه ، توظيفاً غير كافٍ أو على العكس متضخماً بالأطفال الذين يستطيعن إخراجهن إلى النور . إما ، في الحالة الأولى ، لأن الطفل ليس ثمرة لذة جنسية مشتتة دائماً ، وإما في الحالة الثانية ، لأن الطفل يحل محل القضيب الرجولي الذي سينبغي أن يكون مسبباً للذة ، وإذن يبقى هو نفسه موضوع اللذة الشبقية ، عندما لا يكون مصدر حقيقي لها . وهكذا يرجع الكثير من المريضات المعالجات غالباً ، في خطابهن المتعثر عن اللذة ، إلى هذه اللحظة من ولادة أحد أطفالن ، والأول خاصة . وحينئذ تكون متعتهن المتعة الأكثر كبراً في حياتهن ، والذكرى اللواتي يحتفظن بها منها ، هي ذكرى شهوة لا تضاهى .

وأخريات ، على العكس ، وضعن أولادهن بعملية قيصرية ، يشعرون أنهن محرومات من اللذة المتخيلة من ولادة أطفالهن بالمسالك الطبيعية ، إلى درجة أنهن يجدن أنفسهن مكتئبات كأن « أنثوتهن » كانت كذلك محتطفة . وقد لاحظت أن الأمر كان يتعلق غالباً بولادة الصبيان .

إن جهد الولادة ، المقسّم بين الأم والطفل ، كما وصفه جيداً فيليس غريناكر⁽¹⁾ (Phyllis Greenacre) يقود المرأة بكل تأكيد إلى الشعور الحاد بالغريزة الحيوية .

ولكن ليس هنا فقط مصدر المتعة الأمومية : ففيما وراء الآلام

(1) 1953 .

الرحمية ، الفرج الأثوي بكامله يوضع في حالة هياج بواسطة دعك جسم الطفل . وهو إحساس رهيب إذا فكرنا بالتصورات الأوديبية اللاشعورية لا يستمر عند الرجل عندما يجابه الخوف الطفولي وخوف أيام البلوغ من اختراق الجسم الأثوي والذنب الذي يجده في ذلك .

وإذا تم النضج الجنسي بشكل طبيعي عند الفتاة . في الوقت نفسه الذي يسمح لها التطور الأوديبى بالتوصل إلى استقلال رغبتها ، فإنها تواجه حتماً الحاجة إلى « صنع طفل » . وهي الحاجة التي قبل كل شيء حاجة إلى الاكتمال البيولوجي الأثوي بشكل جوهرى بواسطة الإخصاب . لكن الطفل الذي تتمنى إنجابه حينئذٍ ، لن يكون بعد الآن طفلاً استيهامياً للعلاقة الزانية مع والدها ، ولا مع ذلك الذي لا شعورياً الأثوي سيستخرجه لها ، حسداً ، من جسد أمها الحقيقية .

ولا يعني تجاوز الكبوات العائدة للأنثى العليا في هذه الحالة أن الاستيهامات الأساسية لا تبقى في اللاشعور الأثوي . فهذا الحلم لصديقة محللة نفسية الذي يبدو أنه قد حقق بطريقة مرضية حياتها الجنسية ، الزوجية ودورها كأم ، يبدو لي شاهداً على ذلك : إنها في قاعة استقبال ، مع كثير من الرجال الذين هي بصدد إغوائهم . وقدم لها قدحين ، والثاني منها لم يجد أبداً الوقت لكي يُقدم . وقد احتفظت من ذلك بانطباع مزعج « ذلك لا يمضي أبداً إلى النهاية » . قالت لنفسها . كأن القدح الأول كان له طعم الماضي اللطيف والممنوع ، والذي يجعلني أفكر باللذات الغزلية للطفولة . وأن تكرار هذه اللذة لن يكون بعد الآن ممكناً » . ف « الاقتراح » ممنوع .

ولكن إذا كان حلم هذه المرأة يعني صعوبة « ذهابها إلى النهاية » ،

وذلك لأن الأمر يتعلق حينئذٍ ، بالنسبة إليها ، بحق ، باستعمال رغبة التناج الكتابي ، وكذلك الإنجاب . وكان « الاقتراح » يأخذ معنى سيميائياً مضاعفاً : نحوياً وجنسياً .

ولا يتعرف الأب على سبق الفتاة إلا بواسطة أنماط خاصة من السلوك تظهر غالباً بطريقة مبكرة (الغنج ، مثلاً) ، بما في ذلك السلوك الشفهي . وهي لا تتصرف بأي شيء عضوي قابل ، مثل الانتصاب عند الصبي ، لإظهار الدليل على رغبتها أو لذتها . فكل إظهار قليل الوضوح لهاتين الأخيرتين يستلزم في هذه الحالة عند الفتاة ، إسهام واضح للأنا ، يجرّ حتماً إلى نزاع داخلي .

وربما يشتمل جهاز المهستيريا على توليد ، بطريقة ظاهرة في جسمها الخارجي ، الرغبات الممنوعة التي تعانيتها نحو والدها .

وتتفرع من اللذة الفمية الأولية ، التي تسبب شيئاً فشيئاً العبور من لذة الثدي إلى القضيب النحولي ، اللذة اللاشعورية التي تعانيتها الفتاة في عدد من التبادلات الشفهية وتمنحها ، على وجه الاحتمال ، الاحساس الغامض لكن الحاد بإشباع عميق ، نتيجة لعمل داخلي نوعي . وهذه المتعة إذن شديدة الشبه بالمتعة الجنسية . وكيف لا نخشى حينئذٍ على كلامها من تأثير العقاب الأمومي ؟ تماماً مثل الصبي الذي يخاف من جانب والده الخصاء القضيب . وتظهر الفتاة بواسطة الكلام والكتابة إمكانية ومتعة العمل الداخليين الممثلين للذتها الجنسية . فكلامها الإشارة على رغبتها ، تماماً مثل القضيب الفحولي المنتصب الذي هو بالنسبة إليها علامة على رغبة الرجل تجاهها . وهي رغبة تتوجه إلى قدرتها الإنجابية بقدر ما تتوجه إلى شريكها - المرأة الذي

يمكن أن يتقاسم اللذة .

أما ما يختص بها ، فكل ما هو في جسدها يتوافق مع « علامة » ماثلة لا يمكن أن تكون منقولة إلا بالكلام . وكل إظهار آخر هو « إشارة » يشك في أن يستطيع المرسله إليه شجبها .

وإذا تم توضيح واقع أن الكتابة « علامة » (أو مجموع من العلامات) ، لا نستطيع إلا أن نقرب منها العلامة الجنسية التي هي القضيب الفحولي : علامة الرغبة والمقدرة . ويطرح الوضع النرجسي الأنثوي على التساؤل بسبب أن أية « علامة » على الجسم الأنثوي لا تبرز لتمثل عبوراً ممكناً من الرغبة إلى الفعل .

وتشعر المرأة برغبتها داخل نفسها : إذ ليس متعتها ظاهرة للنظر ، إذا لم تكن بشكل حمل وولد . لكن هذا لا ينطوي ، كما أعتقد لوقت طويل ، على غياب الرغبة واللذة الأنثويتين : فالمرأة تعرف ما ترغب فيه .

وليس الطفل المرغوب بالضرورة الطفل المراد . إنه ذلك الذي كُون بكل لا شعور الرغبة . إنه إذن ، دائماً ، وإلى حد ما ، تحقيق الرغبة الأولى للفتاة في أبيها . وتتطلب القابلية الإنجابية للمرأة ، بدون شك ، الرغبة اللاشعورية في أن تجدد ، في جسدها الخاص المشهد الأولي الذي تحدرت منه . وهكذا تنتج في ذاتها اتحاداً مثالياً ، بشكل لا شعوري ، من أبيها وأمنها ، وفيه يصبح الطفل المرغوب استيهاماً « مثالياً » لذاته . ويدين العديد من أنواع العقم الأنثوية الى العلاقة العائدة للأنا المثالية بهذا الاستيهام .

والطفل المرغوب ، إذا تم تصوره وفق هذه السيورة اللاشعورية ،
هو ممثل الأنا المثالية الأمومية . إذن موضوع الحب الأكثر شمولية .

وعندما يكون الطفل ، في الوقت نفسه ، مرغوباً ومراداً ، يحل
الرجل في مكانه الطبيعي بالقرب من المرأة وفيها . فالطفل متحدر من
هذا الاتحاد بوساطة الحركة الطبيعية البسيطة للأجسام والتأثرات
الأولية . وعندما يكون الطفل ، بالنسبة للمرأة ، النتيجة المكتملة
لقدراتها الخلاقة الأوديوية ، تكون الكتابة كذلك : فهذه العلامة أنها
تتمتع . وتجسم الكتابة نتيجة شبق مستبطن موضوعه متحول . إنه
إنجاب استعاضي ، برهان الخصوبة . وهكذا ، على أي حال ، تسير
الأشياء عندما كل شيء يحدث بشكل طبيعي .

الكتابة أيضاً حركة عمودية ، تضع الجسم في حالة نشاط ، لهدف
محدد جيداً . والكتابة تفترض استعمال نسق آخر من التواصل غير
الكلام . والقصدية التي تظهر فيه تقوم على نسق رمزي مزدوج : ترميز
تخطيطي للرموز الصوتية وتنسيقاتهم اللفظية والنحوية . إن تشغيل هذا
النسق يمر بتدرب ليس عفويّاً مثل التدرب على اللغة الشفهية . إنه
يستلزم السيطرة العضلية للجسم كله في جهد الانتباه والتركيز العقلي ،
وكذلك سيطرة اليد في الحركة النوعية الكتابية . ويتوجب على الكائن
الأنثوي أو الذكوري أن يستطيع توظيف جهاز تربوي ، وليكن مدرسياً
أو إجتماعياً أو فردياً . إنه يستخدم مجموعة من العلاقات والتواحدات
المعقدة التي لن نتصدى إلا إلى قسم محصور منها : قسم الصعوبات

الخاصة بالفتاة في تعلّم الكتابة وفي إنجاز كتابي متوقع .

وَيتموضع هذا التعلم في إشكالية عمل الأنا من جهة إمكانياتها التعبيرية القصديّة ، الواعية والظاهرة . ويمثل اكتساب كهذا فرص القدرة على ترك أثر ، في حين أن « الكلام يخلق » . لكن هذا الأثر الذي معانيه اللاشعورية متعددة لا يفوت أن يكون مقلّماً لعدد من الأطفال وأن يثير مقاومتهم لجعلها ممكنة .

وإذا كانت الرموز المكتوبة تضع في أحسن حال الفكر الشفهي . إنها توضّح في هذه الحالة تعبير الأنا ومن هنا حتى تحدده . ويفترض إستخدامها القبول والتمثيل لمجموع محدّد من « القواعد » . والانتهاج الإيجابي للنسق التربوي ربما يفهم كبرهان على تنظيم أوديبى مرضٍ لجهة إنشاء السيطرة على غرائز الهي .

وعندما تتعلم الفتاة الصغيرة إستخدام العلامات الشفهية في القراءة والكتابة ، تظهر لأمها ، التي تعلمت منها الكلام ، قدرتها على الخضوع للقواعد . وتصدّد هذه الشهادة التصميم البسيط للغة الاجتماعية . وترسم اليد العلامات التي تدخل نسق فكرها في المنطق النحوي والإملائي . وهذه العلامات هي علامات المعرفة ، التعبير اللاشعوري لمعرفة الوجود ولحدود الرغبة . وما تعرفه الفتاة من قبل ، هو رغبتها ، التي تعانيها داخل ذاتها ، رغبة سينبغي أن توصل إلى لذة جنسية ستكون أدواتها القضيب الفحولي . والوعي الغامض الذي تمتلكه عن هذا المستقبل يحملها على إستثمار الحركة الكتابية للتعبير الشبقية جداً . ونلتحق هنا بالتحليل الذي قامت به جانين شاسغويه -

سميرجل⁽¹⁾ للذنب الأنثوي لجهة العضو الجنسي الأنثوي بنوع خاص : الفرج .

إن الفتاة الصغيرة التي تتعلم الكتابة تجد نفسها أمام وضع يستعيد كل ما تستطيع كينونتها النسائية المتحوّلة دمجاً بالشبقي .

- إنها لا تعرف من اللذة الجنسية إلا مجموعة من الاستيهامات والإمكانات الشبقية - الذاتية . وما تستطيع البيئة تزويدها به ليس غامضاً جداً . وتأخذ الكتابة إذن بالنسبة إليها معنى فعل إستثنائي . وتلمّح الأشكال المرسومة بيدها الى علامات لذّة تكتشف لها طريقة جديدة لإحداثها . طريقة جديدة تستطيع الالتزام بها كلياً لأن الراشدين يشاركون بالكسب الذي تحرزه منها ، هذا إذا لم يحدث شيء يضاد إمكاناتها الشبقية الذاتية للتمتع ويجرّمها .

- فضلاً عن ذلك ، تكتشف الفتاة في الكتابة موضوعاً جديداً محسوساً قابلاً لأن يكون منتجاً من قبل جسمها ، ومصحوباً بلذّة لا يستهجنها الراشدون . إذن تستطيع الكتابة ، بعد الكلام ، وإلى مستوى أكثر إندماجاً بالأنا ، أخذ مكان وسيط ورمزي مهم بين الغائط والبول في المراحل المبكرة ، من جهة ، والعادات الطمئية والأولاد في المرحلة التناسلية ، من جهة أخرى .

- وأخيراً ، وباكتساب الكتابة ، توضع الفتاة في حالة اقتناء وسيلة للإنتاج . ومن الحشو المبتذل القول إن الريشة « قضيب » لأن هذه الكلمة لها في اللاتينية المعنى نفسه الذي لمائلها في الفرنسية . بل إبتدال

(1) « الذنب الأنثوي La culpabilité féminine » في المرجع السابق . ص 154 .

صعب على التكامل من قبل المرأة في النص الكامل لتصورات الخصاص التي يتوجب عليها تذييلها . والأداة الضرورية للكتابة ، حتى لو كانت بكل بساطة إصبع يدها معدة لذلك ، تخاطر في أن تصبح بالنسبة للفتاة مصدر ذنب . كما أن الاستمناء الذي تلمح إليه هذه الحركة ، يمكن أن يأخذ ، من بين أمور أخرى ، معنى استخدام القضيب الرجولي الأبوي . والأثر المكتوب المنتج كذلك يصبح حينئذٍ وبشكل غامض النتيجة المجسدة للمتعة التي تستطيع إثارتها في أبيها . ويتحاشى إنتاج نص مكتوب بصعوبة أخذ معنى « قضبي » . كما أن المطالبة القضائية بمعنى الامتلاك الوهمي للقضيب الفحولي هي سلاح سهل لأننا العليا ضد إنجازات الأنا . وهذه هي النقطة الحساسة حيث تنجرح النساء الكاتبات . ويصبح النص المكتوب نفسه وسيلة للإثبات القضبي ويسبب تجسيده المتوقع كف الفكر .

وإذا رجعنا الآن إلى الاستباعات الضرورية لتعلم الكتابة ، يتوجب علينا أن نشير ، بالنسبة إلى البنية إلى العزم اللاشعوري على أن تصبح معروفة كشخص « يعرف » . وتعني الرموز الكتابية للطفل ، وتفيده لتبليغ الآخرين ، أن رغبته في المعرفة قد جعلها المحيط مشروعة . لكن العلامات الكتابية ، في أشكالها المحسوسة المرسومة باليد وبالعلاقات المقننة للنحو وقواعد اللغة ، هي بالنسبة للفتاة ، إنتقال نسق التمثيلات اللاشعوية لاصطلاح آخر : إصطلاح علاقات الرغبة والغيرة بينها وبين أهلها . وفي الواقع ، عند البنية . يستيقظ الوعي الجنسي باكراً جداً . والأحاسيس المهبلية مبكرة وتسبب نزاعات داخلية تتجسد سريعاً جداً . ولا تمضي أهمية اليد في الكتابة بدون استحضر أهمية الأداة . وبعبارة أخرى : عندما تتعلم البنية الكتابة ،

الشيء الذي يرسم العلامات في يدها / المهبل رمز قضيبى حتمي .
وهذه الإشارة تجسم حينئذٍ مظاهر رغبتها وإنجازاتها : ولتكن في التعبير
عن الكتابة الاستثنائية أو بوضوح أكبر أيضاً في إمتلاك القضيب
الفحولي الأبوي ، فالبنية تواجه ضرورة دمج إمكاناتها الفكرية في
مجموع رغباتها وحاجاتها الغريزية . وفي هذه البرهة يمكن ملاحظة
الأهمية الجدلية للتمثل بين الأب وابنته .

فتاة صغيرة عمرها خمس سنوات ونصف ، جميلة وموهوبة ،
أحضرتها إليّ أمها المحترمة من سلوكها . فقد كانت الطفلة تدعي أنها
صبي ، ومنذ بعض الوقت ، بدأ نضجها المدرسي المبكر متحولاً إلى
إنحراف حاد . وكانت البنية تبدو مأخوذة بقلق عميق بين رغبة تعلم
القراءة والكتابة ، وبين حالة من التقلب المحرّك والانفعالي مصحوبة
ببلادة فكرية كانت تلفت انتباه المعلمة . والعلاج النفسي المباشر به
حينئذٍ جرى بدون عائق إلى نقطة بدت لي حداً لإمكاناتنا المتبادلة ،
بدون أن أستطيع فهم لماذا سلّمت الطفلة بأن تلبس ثياب الحداد في
واقعها الذي تعيشه . ومع ذلك كنت مدهوشة من حدة مطالبة الفتاة
الصغيرة بأن تعتبر صبيّاً . وتبعاً لذلك ، مثلاً ، لم تكن ترضى بأن
تلبس فستاناً .

وقد جعلتني زيارة شخصية لأمها ، في ذلك العهد تقريباً ، أشك في
أن خلافاً قائماً بين والديها ، على دور النساء وأهميتهن . وفي الواقع ،
إن حوادث متنوعة خلال المسيرة العلاجية سمحت لي بالفهم أن الأب
كان يحتقر وضعي المهني . وقد نسبت هذا الاحتقار فقط إلى الصعوبة
التي يجدها هذا الرجل للقبول بما تعانیه فتاته من ضعف . وكان ذلك

في الحقيقة ، عدم قبول من جانبه بوضع المرأة ، التي كانت تقوده الى إظهار احتقار غاوي بالنسبة إلى ابنته ، كما استطعت كذلك التحقق منه عندما طلبت رؤيته لتوضيح الأشياء من جهتي . وحينئذ فهمت أن مطالبة مريضتي الصغيرة بالقضيبيانية الجنسية كان من الممكن أن تفيدها للدفاع ضد اليأس من كونها فتاة غير مقدّرة من قبل والدها ، ما دام الفرق بين الجنسين لم يكن معروفاً من قبلها كشيء يتعذر إصلاحه . ولكن الولوج إلى الإصطلاح الشفهي المحسوس ، بالقراءة والكتابة ، كان يدخلها رغماً عنها بين أولئك الذين يعرفون لماذا تحتل العلامات مكاناً في التمثيل اللاشعوري للذات . وانتهى ذلك بالنسبة إليها بأن تهب نفسها أوهاماً قضيبية وتمنح بعضها للآخرين . لذلك ظهر إكتئابها في رفض للتعلم . وعلى كل حال ، لن تجعلها هذه المعرفة الجديدة للكتابة / القراءة بعد الآن مهمة بالنسبة لأبيها ، فكانت تشعر جيداً في ذاتها بأنها « أنثى » الى حد لا يسمح بالاعتقاد أن الممكن حقاً اعتبارها صبياً .

ومن جهة أخرى ، سريعاً جداً ، بعد بداية علاجها النفسي ، دخلت في النسق المدرسي بكل ذكائها ومرحها . والحدة التحويلية والغنى الاستهلامي للطفلة جعلت ميسوراً تحليل العدائية ضد أمها ، غير المحبوبة من الأب لأنها امرأة . ومع ذلك ، إن القليل الذي استطعت توضيحه مع الأب نفسه ، أو بكل بساطة ، فإن واقع كوني شخصياً قد فهمت ما كانته مشاعر هذا الأب تجاهي أنا - المرأة ، قد أتاح لي إيصال الفتاة الصغيرة قبل الأوان بقليل إلى حريتها في تحديد هويتها . وتوجب علي استقبالها بابتسامة عريضة في الجلسة التالية لزيارة

والدها : لقد كانت ترتدي فستاناً وقد قررت أن تدع صفائرها تطول .

بقدر ما صار التفكير الشفهي ممكناً لها بواسطة علاقة مفيدة ناجحة وبتبادلات قبل شفوية مرضية بينها وبين أمها ، كان الخطاب الكلامي سهلاً للفتاة . وكان الشبق الفمي القديم الذي يربطها بأمها في تلك الحالة منجزاً في إمكانية الخطاب الفمي . وحدثت التبادلات ، بدون إشكالية خاصة في العلاقة الاجتماعية .

إلا أن العبور إلى تجسيم هذا الخطاب بالكتابة يرجع الفتاة إلى صورة لجسدها لا تستطيع تحاشيها في حركة الكتابة : فالإحالة اللاشعورية إلى البديل الفمي - المهيلي الذي تصيره اليد المحيطة بالقلم . وإذا وجد الصبي في هذه الحركة ، مثل الفتاة تماماً ، معادلاً إستثنائياً بسيطاً ، فإن الفتاة تجد فيه بالإضافة إلى ذلك إستحضر لذة تستلزم مساهمة شريك قضيب . والحالة هذه ، وفي عهد الدراسة الأولى ، لا يمكن أن يتعلق الأمر إلا بالأب . فالتوازن بين الاستشارات المختلفة والعلاقات الوالدية قد تكون حينئذٍ مشوشة . وقد يولد ذنب المعرفة مما يجعله الكتابة الدال على معرفة تحرمها الأم : أي الاتصال اليدوي مع القضيب الفحولي الأبوي ، وتبادل اللذة مع الأب بهذا الاتصال . إذن لليد - المهيل في أغلب الأحيان فرص أن تكون مكفوفة والشبق - الذاتي الاستبدالي الذي تستحضره الكتابة مصحوب حتماً باستحضر المعرفة البصرية لأن الكتابة تتضاعف بالقراءة . واستثثارها بحركات العينين يردد صدى الرغبة في رؤية جسدي الوالدين متحدين . وفي الوقت نفسه الذي تتحدد فيه هذه المودة عند الفتاة بنوع من التواطؤ اللاشعوري مع أمها : جسم الكتابة ، إذ يستعيد المعرفة المتوقعة التي

تجدها في ذاتها مما هو الباطن الأمومي . فإن توأحداتها الأمومية تستطيع
إذن مساعدة أو منع الاكتسابات المدرسية الأولية .

وحينئذٍ تستطيع الرسائل الشفهية أن تنشحن بمعانٍ متعددة وأن
تحتل ، مثل الكلام عند ظهوره ، مكان التبادلات الحواسية المكتوبة .
والعمل الجيد لهذه الإواليات يستلزم ، بلا شك ، عند الفتاة ، قدرة
أولى على التسامي بالرغبة الأوديبيّة الخائبة . وسيكون إكتساب الكتابة
النتيجة لحداد العلاقة الحقيقية مع الجسم الأبوي .

إن أوضاع الأنا العليا ، المانعة ، ليست الأوضاع الوحيدة
للمخاطرة بإعاقة العمل الحر للتعبير الشفهي عند الفتاة . إذ تسهم
سيرورات مثلثة الأنا ، بشكل عريض ، في تكون إعداد الفكر وتعبيره
الكتابي . وفي الحالات التي لا تتطور فيها هذه السيرورات بشكل
طبيعي في السنوات الأولى للفتاة ، فإن فرص حرية التعبير الشفهي تقل
عند المرأة . إننا نعود لفهمها إلى الأعمال على الجنسانية الأنثوية ، مثل
تلك التي ذكرت سابقاً لـ ج . شاسغويه - سميرجل ومعاونيها . وإن
الأسس التحلفسية لاضطرابات الأنوثة مدروسة فيها بسعة وبدقة .
وستتوقف إذن فيها عند بعض الوقائع التي تبدو لنا مختصة بوصول المرأة
إلى الخطاب الكتابي .

إن ورقة مالارميّه البيضاء تستحضر فراغاً يمكن لأثر الرجل الارتسام
فيه . فراغاً للردم ، فضاء أنثوياً ، مدى اللذة بين السطح الأنثوي
والأداة الذكورية⁽¹⁾ . وضرورة الكتابة التي يعانيتها الشاعر والانفعال

(1) شهادة نص رائع لهول كلودل عن الأسلوب وما يستحضره من حياة الجسد في عظام =

الذي يجسد فيه تأثراته الشعرية يستكشفان هذا الفضاء للذة ويمنحانه إمتلاكه .

فرويد ، على التقيض من ذلك ، يتكلم على اللغز الجنسي الأنثوي كما يتكلم على « قارة سوداء » . والوصول الى الجسم الأنثوي ممنوع على العين من قبل الطبيعة . فإشكالية فرويد الأوديوية الخاصة تمنعه من التفكير بفهم نظري للأنوثة . ويصبح الجنس الأنثوي بالنسبة إليه صورة الغموض في التمثيل الخوافي لانتهاك استيهامي : القارة السوداء ، ويميل التحليل النفسي في هذه النقطة إلى الحفاظ على وضعه الإيديولوجي القضبي .

بين الأبيض النقي والأسود الخطر ، الفرج - الشق للمرأة . والشاعر يزينه بأزهار بلاغته . وتصنع منه كتابته موضوع رغبة . والرجل الذي يكتب عادة يجسد وظيفته الرجولية ملء حيز فارغ ، ولتمديد الذات في مساحة مقعرة . إنه يعني إمكانية تامة لتركيبه العضوي .

لكن المرأة التي تكتب ، هي أيضاً ، تملأ حيزها الخاص ، الذي يصبح وسيلة تجسيم العلامة . إنها تعيش الرغبة المعاناة في جسمها كسطح مقعر ينتظر الاتصال ، كطية لينة مستعدة لتغليف الجسم الذي يسبب الانتعاض . وإذا أعادت الكتابة شفهاً إنتاج شيء ما من الجسم الشقي ، من الممكن أن تكون الصعوبة الأنثوية في التعبير عن

= ميت Ossements ، باريس ، غاليلارد ، 1965 . مجموعة « لا بلياد La Pléiade » ، ص 975 .

الذات . مثل تشوش الأفكار طبقاً ، لوضعها ، والترابطات التعبيرية المسهبة ، هي في نقل هذه التجربة المعاشة الجنسية الداخلية . ويعاني بعض الرجال كذلك من هذا النوع من الصعوبة في الكتابة ، الذي يذكر بالعجز ، وبلا شك بالنسبة إلى الإرسال المباشر والخطي ، والطبيعي للعضو الجنسي الذكوري . وعندما تضع المرأة بعض علامات أنوثتها المتحققة ، كل شيء يتعلق بالحالات الداخلية التي تنظم الحمل الذي تكون الكتابة سليلته .

كانت مريضة تشعر بخوف من قتل إبتها الصغيرة بسكين . وفضلاً عن ذلك كانت تشعر بخوف من الكتابة . والمصالحة مع الخوفين حدثت عندما تذكرت يوماً أن ، خلال حملها ، والدها كان يرسل لها فروجاً متوفاً مع رسالة صغيرة . وكانت تمزق هذا الفروج بضربات السكين وترميه في صندوق القمامة باشمئزاز . ولم تكن تستطيع أبداً الكتابة لوالدها لشكره . ولسبب وجيه .

إن وضع الشيء الخارجي الذي كتابته مستثمرة بإفراط من قبل المرأة يطرح العديد من الأسئلة .

ومن بين إنتاجات الجسم ، بعضها مواد ميتة : بول ، غائط ، طمث . فالجسم يطرحها كفضالات ، بعد الاستخدام والتحول الداخليين . وتعود هذه المواد الطبيعية الى المادة الهامدة بعد أن يخرجها الجسم ، ويتم إخراجها بواسطة النصف السفلي من الجسم .

والفعل « عمل » (Faire) في الفرنسية صالح لقول كل شيء . ولكن كل واحد يشعر بالتدرجات التي يدخلها الموضوع في تنوعات دلالة

فعل العمل هذا : وهكذا . عمل بي بي - وعمل ولدًا ، عندما يعبر عن نفسه رجل أو امرأة - عمل عملاً أدبياً - « عمل ورقة » . فالتدرجات توضح انعكاس الموضوع على مغزى الفعل : إن الحركات الجسدية التي تصاحب إفراغ مادة منتجة من قبل الكائن البدني تؤدي الى اشتراك الأنا وتوافقها الضروري مع اللاشعور . وبين الأشياء التي يطرحها الجسم بدون أمل في أن تدوم ، تستطيع الكلمات أخذ مكان . لكن الكلام يكتسب وضعاً مختلفاً على الفور لأنه يتعلق بالرأس والوجه . إنه يعظّم هذا القسم من الجسم من جراء أنه ليس إلا ريحاً . فالقول والعمل يلتقيان خلال تواجدهما . كأن فعل الكلام كان يترك أيضاً آثاراً أقل من الإفرازات الجسدية .

إن تحليل المواقف تجاه المادة المتخلصة من الجسم ، غالباً ، مشروع وليس له أية علاقة عامة بموضوعنا ، إذا جعلنا من الكتابة إفرازاً . ومع ذلك ، من التحقيق أن الموضوع المكتوب يشترك بكل التمييزات الإفرازية بدرجة التناجات البدنية الأخرى نفسها . ولاستبقائه إذن كل الحظ في أن يشابه ذلك الذي يسببه السد البدني - النفسي الذي تقوم به العضلات العاصرة . وكل شيء ، مثل بعض الأساليب المهذرة والمفككة ، يشبه التغطيات . ولكن لا يبدو لنا أن الوضع الأنثوي يضيف إليه شيئاً ما خاصاً .

إن وضع المني ، بما هو إفراز للجسم ، هو خاص . فهذا الناتج الذكوري بنوع خاص ليس له معادل عند المرأة ، خاصة فيما يتعلق بعلاقتها باللذة الجنسية . فالانتعاض الأنثوي لا يتجسد أبداً بنهاية نوعية للجسم . فالإنتاج المنوي ، إذا لم يلتقط من قبل عضو أنثوي

خصب ، يغير وضعه من مادة حية إلى مادة من النفايات . ولا يعود له معنى إلا للرجل والمعنى الوحيد لإفراز جنسي ممتع .

وليس لطمث المرأة في أية حالة الشحنة الشبقية نفسها . بل على العكس في معظم الأحيان يأخذ معنى مؤملاً للخصاء الداخلي وبقية موت لقدرة عديمة الجدوى . وإذا وجدت المرأة فيه لذة ما ، فليس ذلك إلا تبعاً للإنشاءات النفسية لنظام تمثيل خصوبتها الممكنة .

إن أخذت الكتابة ، بالنسبة للرجل ، دور الإنتاج إلى جانب المتني . فمن السهل فهم ذلك . فتوضيح نتاج المتعة هو على وجه الاحتمال متعة إضافية . ولكن إذا تعلق الأمر بالنسبة للرجل بالبرهنة بوساطة كتابته على أن له جسماً إنتاجياً لماذا لا يكون الأمر نفسه كذلك بالنسبة للمرأة ؟

مع ذلك ، إن الإنتاج الوحيد الحي بشكل مباشر الذي يأتي به جسم بشري هو إنتاج المرأة ، إنه الطفل نتيجة للأثر المنوي ، بالطبع ، إذن علاقة بالرجل في الرغبة ، وفي أفضل الأحوال ، اللذة . وإذا داومنا على هذا التقريب ، فإن وضع الكتابة الأثوية يكتسب أهمية مختلفة تماماً بالنسبة لكاتبها . فالحمل بالطفل ، بمدته والتحويلات التي يتضمنها عند المرأة ، لا يستطيع المرور خلسة ، لا بالنسبة إليها ، ولا بالنسبة لبيئتها . وليس للإرسال المنوي الذكوري بالتأكيد الدلالة نفسها .

عند الولادة ، « يستعلم » الطفل بالاتصال المهلي مع أمه ، التي هي نفسها القالب ، ليس فقط بطريقة وراثية ، بل بطريقة آلية . فهذا

الجسم الأنثوي الحي ، قبل أي إنتاج ذاتي متزاوج ، سيمتلك بعد هنيهة إذن حياة مستقلة ما أن ينقطع الحبل السري الذي يربطه بشكل تكافلي . إنتاج ذاتي سيعيش بعد هنيهة خارج جسد الأم . لم يعد هناك إلا الفكر ، ولن يصبح ، في الظروف الطبيعية ، موضوع تملك كامل من قبل الآخرين ، كما على العكس من ذلك يستطيع دائماً أن يكون إفرزات منهم . وفكر المرأة ، بالطريقة نفسها « مطلع » بوساطة مظهره ، وبوساطة ميزاتة الجوهرية . فاليد الأنثوية التي تكتب لا تستطيع جذب إلا قضيب فحولي مستعار . ولا تسمح لها وسيلتها الأنثوية بشكل خاص بالحركة التي تخط : أنها تنتج العمل التام ، المتشكل بالجسم الأصلي في كليته .

وإذا اعتبرنا أن المرأة تستثمر كتابة التأثيرات الأولية القريبة بشكل كافٍ من تلك التأثيرات التي تخصصها لأولادها ، فمن السهل أن نفهم كم يخاطر نتاج كتابي من جانبها . إنها تشترك فيه بكل باطنها المكوّن ، المنقول بنسق التسامي في إوالية فكرية . وجهازها العضوي الأنثوي كلياً مجند لفعالية الإنتاج هذه .

وفي حين أن الموضوع الكتابي المجسّد كذلك يتعرض للمخاطر التي تعمل الأم مباشرة على إبعادها عن طفلها . فإن جدلية الإرضاءات بين الكاتب ونتاجه مختلفة جداً عن تلك التي تتأسس بين الأم وطفلها .

وإنه ربما في الاكتئاب تقترب المرأة - الكاتبة إلى أكبر حد من المرأة - الأم . والانفصال عن الوليد الذي حملته في ذاتها وكون من لحمها ، هو مسألة تبدو لنا بصراحة أنثوية . حتى لو أن الرجل أسهم فيها إلى مستوى عال جداً بالتواحد مع المرأة . وتشعر الأم غالباً ، منذ ولادة

الطفل ، بما يسميه الأطباء المولّدون « اكتئاب » . ونسميه حتى محتوماً ، مع أنه لا يكون دائماً واضحاً عند المرأة النفساء . وعندما يتعد الطفل من جديد عنها للتكلم والمشي ، تستطيع بعض مشاعر القلق بلوغ الأم أيضاً . وطفل التكافل الحنون في الأشهر الأولى يفصل مرة ثانية . وربما ، من جهة أخرى ، تستعيد بكل بساطة القلق الغامض التي عانته هي نفسها خلال انفصالها عن أمها الحقيقية . ولكن من اللافت للنظر أكثر أن عدداً من النساء يكتسبن عندما يفصل أولادهن عن الوسط العائلي حوالي المراهقة . وفي أكثر الأحيان حداد مضاعف يثقلهن : حداد نسلهن وحداد خصوبتهن ، في سن اليأس . فالمرأة تنجز إذن بطريقة متكررة هذا الانفصال الحقيقي عن جسم حي ، يجلب لها إرضاءات نفيسة جداً عندما تنجح ولادتها .

إنه جزء منها هذا الذي غادرها ، جزء حب بالنسبة إليها . بعض العناصر المكتتبه توميء ، في هذه الحالة ، بالنسبة إليها ، إلى إشكالية الخصاء . لكن حياة الطفل المستقلة خارجها (حتى لو أن فشل الانفصال-الأولي جعل منها ذهانية) يضيف على هذا الاكتئاب الأنثوي معنى نوعياً . ويبقى الطفل بالنسبة للأم الأثر الدائم لقدرتها التناسلية ، لشكل منها ، متحدر منها . وهو بهذا المعنى كتابة ، ويعينها الواقع النفسي ويعرفها . ويحضر خارج المرأة- الأم (وسابقاً خلال الحمل) وسم الرغبة المحققة ، المعرفة الأنثوية فيما يخص المشهد الفطري : رغبة فتاة متحوّلة إلى رغبة امرأة . المرأة التي تكتب تستعيد في ذاتها ، بشكل ما ، الاكتئاب المتقيص للواضعة الخالدة .

وسيكون طويلاً وعديم الفائدة السعي لمعرفة ما إذا كانت النساء

الواتي يكتبن يقمن بذلك أيضاً وحيوية خلال مدة حملهن ، إذا كان لهن أنفسهن أولاد ، وإذا كان ارتباطهن بالأولاد بالصفة نفسها الموجودة عند الآخرين . وما قلناه يسمح بافتراض أن شيئاً ما مماثلاً ، على أي حال ، يحدث عند المرأة عندما تنتج نصاً مكتوباً وعندما تحبل وتحمل طفلاً . فالكتابة الأنثوية تحل بالنسبة للمرأة محل الحَمَل ، أو تواصله . إنها تظهر كنتيجة لتسامي العلاقة بكائن محبوب .

كيف لن تكون النساء حينئذٍ قلقات من إثبات قدرتهن على الكتابة في الوقت الذي يمنحهن الرجال الإمكانية والحق في أن يكن غير منجيات ؟ إن احتجاجهن يرتفع مرة جديدة ضد الوضوح الذي يفرض عليهن من سببية خطية للقضيبي الفحولي إلى الخلق . ويبدو لنا أن المطالبة الحالية للنساء بالكتابة كنساء هي النتيجة النرجسية أنثوية مُقامة بشكل سيء على أسسها البدنية ، في العديد من الحالات ، بلا شك ، بواسطة التواجد بالثغرات النرجسية الأوموية : خطأ في معرفة امتيازات الأنوثة .

ولكن يوجد دائماً نساء كن يكتبن .

الفصل السادس

الكائن والعمل

الكائن والإبداعية

انطلاقاً من د . و . وينكوت (D.W. Winnicott) : « الإبداعية وأصولها »⁽¹⁾

مثل أية أم ، كاتب نتاج ما لا يقوم ، في رأيي ، إلا بإظهار قوة خلاقية موجودة سابقاً ، ويمكن تسميتها حياة أو ألوهية . وتصورها فرويد كطاقة . وأنا أدعوها الكائن . الكائن الذي سبق وجوده الوجود الذي هو تجلٍ له . الكائن مركز في العنصر السجلي القابل للخصوبة . صورة « المثل » الأفلاطونية « الساقطة » في الأجسام تجعل هذا التصور استعارياً .

والفرد البشري ، المتأصل في الكائن ، له كميذان خاص ، ميدان العمل . والعمل يفترض وصول الكائن إلى أشكاله الفعالة ، وصول يناقض صورة ما لجمودية قادرة جداً وموجودة في تصور الكائن ، وقد تعرف عليها فرويد في مبدأ النيرفانا ، مع بعد من السلبية .

بالنسبة لأفلاطون ، الواحد سابق على الوجود المشخص ، الذي يحدد الكائن المتفردن . وفيلسوف من الأفلاطونية الجديدة ، دوناتوس

(1) D. W. Winnicott 1971

(Donatius) ، أعطانا صورة للوجود السابق على المسرح البدائي : من البيضة ، المكسورة إلى إثنين ، ولدت السماء والأرض . وهذا التمايز أدخل المعقولة . وفكر الوجود ، من جراء أنه يحتوي العدم ، يجعلنا نعي ، بجدلية حياة / موت ، ضرورة الحركة ، الفتات ، الانفصال . وترجم الحركة بالدينامية النفسية للشخص الملتفت نحو الحياة . ومفهوم العدم إذ يوجد في العيادة ، يميل بكل تأكيد إلى التفكير بالميل المرضية (Pathologiques) ، بسيرورات الانفصال والاكثاب .

ويبدو لي التصور التحلفي للغريزة يقيم رابطة بين فكرة الكائن والمظاهر الفعالة له ، وبشكل خاص تماماً تمايز الداخل والخارج ، وعلاقتها في رثاية العيش . ويسمح أولاً بالعمل الجدلي للنشيط والسليبي . وفي البحث عن الصفات النوعية للأثنوي ، كيف يتم تحديد ميزات الغريزة التي تضعها في علاقة مع العناصر النشيطة والسلبية للشخصية ؟

كتب وينيكوت (Winnicott) : « فرضيتي أن العنصر الأثنوي الخالص ، هو ، مرتبط ثانية بالثدي أو بالأم ، بمعنى مختلف جداً : الرضيع يصبح الثديي (أو الأم) ، الموضوع حينئذ هو الذات . ولا أرى هنا أي حاثٍ غريزي » . وكتب أيضاً : « إن دراسة العنصر الأثنوي غير ملوث « مقطر » يقودنا الى الكائن » .

وتحملني رثايتي للأثاوية على الاعتراض على هذا الموقف في النطاق الذي تبدو لي فيه الغريزة مسهمة في الأثنوي وتمثل أصل الكائن . وسأذكر في هذا الموضوع بفرضية أرسطو عن « المحرك الأول » ، قدرة ثابتة تجذب ، وتطلق كذلك الحركة في العالم . وسأقرب من هذا

التصور القديم المفهوم الحديث تماماً لـ « الدال الملغز » ، لجان لابلانش (Jean Laplanche) . فالمسألة أن نَمَيِّز في طبقات الفكر العنصر الأصلي للحياة الذي سيميز تَوّاً موضوع الخلق الذي يحدثه . دمج السلبي والإيجابي ، الجسم - الطفل الذي ينبت في الرحم . تمييز ظاهرة الإنبات . الهوية هي الوعي بمجموع السمات التي تميز الشخص وتحدد وحدانيته . وفي رثاية التحليل النفسي ، هذه الهوية لا يمكن فصلها عن جنس الشخص ، عن التمييز رجل / امرأة ، مهما كانت تصوراتنا عن الثنائية الجسدية .

إن المسألة هي مسألة منفذ إلى عدم التمييز داخل / خارج ، ثدي / رضيع ، ومسألة إنجاس الهوية خارج هذا اللاتمييز . ويسمح تصور الغريزة بتصور هذا المنفذ . وسيكون التحول تحول الإبداعية ، كما وصفها وينيكوت : « الشعور بأن الحياة تستحق أن تعاش » تعريف بعيد عن كل وضوح ، من جهة تكوّن التأثيرات الأولية الذي يفترضها ، من التمثل ، من النقطة الأولية التي تشغلنا . وهو مع ذلك النتيجة لبحث يختص بدقة بالقدرة الخالقة الأنثوية في كل شخص بشري .

هذه القدرة في الوجود وفي إنتاج الوجود يمكن أن تظهر كغريزة أولية ، « بحث حياة » ميل إلى الوجود المتضمن في العنصر الأنثي . نوع من الغريزة الساكنة ، التي ستتوحد تَوّاً إلى أنثوي وذكوري ، ولكنه كان سابقاً في الأنثوية كأساس لوجود سيتحدد تَوّاً بشكل محتمل . « قدرة » بالمعنى الأرسطي ، منتجة للفعل .

« على السطح الأنثوي ، لا تستلزم الهوية إلا بنية عقلية دقيقة

جداً» . هكذا كتب وينيكوت . فعالية لا شعورية للجانب الداخلي للحاوي الموجود مسبقاً والذي يحوّل الموضوع الذي تثيره إلى موضوع قضيبى أو عنصر فكري . وتظهر الكينونة في تشغيل الجهاز النفسي ، في تسيير الطاقة الموجودة في الجدار الخليوي السجلى ، في الوظيفة الأمومية .

وتعبر الكينونة عن نفسها في تحول الأثوي إلى أمومي ، بتسيير الطاقة الموجودة في الجدار الخليوي السجلى ، في الغلاف النفسي المحتوي على الفكر . والوظيفة الأمومية لواقية - الإثارة ، التي كشف فرويد أنها أساسية ، ستكون حينئذٍ عكس الوظيفة الأثوية المثيرة . وستكون مخصصة لحماية الجهاز النفسي في تكون التجازات التي ستتعدى قدرتها الخاصة الأثوية على تلقي الإثارة .

ويمكن اعتبار الرحم كجهاز تأثري - جذّاب سيكتسب فيه جانب من الليبدو كذلك هذه السمة من الأنوثة . وسيكون الأثوي حينئذٍ المصدر غير - المتميز في قضيبى - ذكوري وأمومي - إنجابي . وهو تميز ينضم إلى تصور أسبقية الكينونة بالنسبة لوينيكوت : « شعور الكينونة هذا هو شيء ما سابق على كائن - واحد - مع لأنه لا يوجد أيضاً شيء آخر غير الهوية » . والتميز الذي تقيمه الهواجس الأمومية اللاشعورية تكشف الشكل الشقي للجسم - الطفل ، في الرحم . إنه تصور مسبق للموضوع ولحدوده ، بحكم التواحدات الأولية . ومفاهيم الأجسام والأشكال الإنطوائية ، التي طوّرتها فرانسز توستان (Frances Tustin) ، قابلة للمساعدة على تمثل البنى النفسية التي تشارك في هذه الحركة .

فما أن يوجد الجسم ، بانبثاق الكائن ، حتى يكون حاملاً لعناصر قضائية . لكن وجوده يستقر في الأثاوية ، عنصراً أنثوياً لغريزة الحياة ، سابقاً على هذه ومميّزاً للداخلية الأثوية . والعلاقة بين هذا الشكل للغريزة وهوية المرأة هي ربما مصدر الإكتئاب من جراء أن شعور الكينونة قد يخفّ عندما تنقص قدرات الإنتاجية أو السعة الأمومية .

إن صعوبة إدراك هذه القاعدة الأثوية للوجود ، ليست بدون علاقة بالاستيهامات التي تثيرها . وهذه الاستيهامات مرتبطة بالمراحل الأكثر إيكاراً في الحياة ، ترتبط بإشكالية الثنائية الجنسية . وتوضح عنصراً ذكورياً بتصوير العنف والإبادة اللذين ستتجهها فعالية داخل ميت : فالموت ليس فقط العدم السابق أو اللاحق للوجود ، الملتبس بإمكانية الوجود . إنه أيضاً فعالية مدمرة وبالتالى جزء ذكوري من الأم القضائية الكلية القدرة . التي تستتبع مستويات والعمل متعددة من هذه الصورة المثالية للأهل .

إن سمات الجمودية المرتبطة بتصورات الداخل الأمومي تثير مشاعر الرعب ، الطرح ، السقوط والفراغ ، الإخفاق ، التي توجد في العلاجات بشكل الانتقاص المكتتب ، التشويه للكينونة البدنية والنفسية وتستطيع الذهاب الى حد الكآبة . والمثل الأكثر ابتداءً يظهر عند المرضى بشكل خوف من إخفاق العلاج . وفكرة جهاز نفسي طبع ، متشكل بطريقة جبرية بوساطة تحديدات الداخل الأمومي يمكن أيضاً أن تشارك في لا - انتهاء التحليل . كأن العلاقة الدافعة في تحويل مشاعر الجمودية ، المؤلمة للمريض ، كانت تستطيع التأثير في الرحم

التحليلي ، أو تدمير أو مهاجمة قدرته على الحياة ، وأن تثير عند المحلل استحالة إشراك مريضه في هذه القدرة .

إني أقرب هذا الخوف من أفكار ج . لابلانش⁽¹⁾ (J. Laplanche) عن الحفظ الذاتي الذي يسبق الجنسية ، وهذه تتطور هي نفسها في حمام من « الدوال الملعونة » التي تبذلها البيئة . والثدي هوركيبتها ، من الداخل كما من الخارج . وبالنسبة لـ ج . لابلانش ، الغريزة « هي الأثر الحاسم في الفرد وفي أنا التحريض الدائم الممارس ، من الداخل [نحن الذين نشدد عليه] بالتصورات - الأشياء المكبوتة ، التي يمكن تعيينها كأشياء - مصادر للغريزة » .

ويبدو لي هذا التصور للغريزة ، بالمقابل ، مهملاً الفكرة الأكثر وجودية مما يمكن حدوث ذلك في صفتها الأنثوية ، بدءاً من الإثبات الذي قام به ج . لابلانش لهذا التحريض المباشر لـ . وقد ميزه وينيكوت كـ « عنصر محرّض : قادر على القيام بشيء ما » . الأمر الذي ، في رأيي ، يحتوي ، من قبل ، على طابع ذكوري . في حين أنني سأصنف بشكل كافٍ هذه الجوهرية الأنثوية لـ الغريزة الأصلية اللامتيزة . غلطة قدرة مساة بكل ضوح اللامعقول ، فقط بسبب أن هذه الظاهرة سابقة على سيرورات الانفصال والتميز الذي يفترضه الفكر والذي تكشفه حدود اللغة نفسها . وستكون هذه الغريزة الأصلية موضوع الكبت الأول : وضع سيرورة رفض اعتبار الأنوثة كمكان لمصدر الإشارة هذه . واللامعقول هو كذلك لا يوصف .

(1) J. Laplanche 1984 .

فاللحم ليس إلا جزءاً من الكائن . والغريزة تخلط ما بين الأنثوي والذكوري في المعاني الأولى من الإثارة .

هذه إذن الغريزة في نطاق الكائن والفكر . ووحدها طريقة « بنغ بانغ »* فعالة أصلية تبدو قابلة لإنتاج انبثاق سيرورات الحياة في الفكر . لقاء وانفصال ، الرشيم والبيضة ، الكائن والعمل . « العنصر الذكوري يعمل (does) في حين أن العنصر الأنثوي (عند الرجال كما عند النساء) يكون (is) »⁽¹⁾ . فمنذ اللحظات الأولى للتمايز ، يقوم في الآن نفسه تناقض وتكاملية للأنثوي والذكوري .

إن تمثلنا للغريزة ، منذ فرويد ، هو ذو تفرع ثنائي : حفظ للفرد ، وحفظ للنوع ؛ لبيدو الموضوع ، لبيدو الأنا ؛ غريزة الحياة ، غريزة الموت . الجزء الفعّال ، العامل ، من الغريزة ، غريزة التصرف ، التفكير ، يؤلّف الحركات المتضادة ويجعلها متكاملة : إنه معرفة قضائية ، بحث نشيط عن الوحدة . إنه مصدر للذة المرتبطة بالتدبير الموحد للأنا . ونستطيع تصورها كتأثير مؤلّف ، منتج من قبل الجدار الخليوي الداخلي للجهاز النفسي ، تأثير أنوثة هذا الجدار الخليوي ، الذي يحدد الخصب ، الإبداعية الأمومية .

كلام وخصوبة

كتبت تاتيانا (Tatiana) : هذه مهنتي . إنها كذلك أم لثلاثة أولاد . وقد جاءت لتراني خلال مرحلة من كف الكتابة ، كانت تراها ، من

(*) كلمات تدل على حركة عنيفة .

(1) D. W. Winnicott مرجع سابق .

قبل ، بوضوح مرتبطة بصورتها عن أمها . فالنزاع الأوديبي ، المعاود الظهور فيها خلال مراهقة ابنتها ، ولّد التنافر بين صورة أمومية ، مغذية ولكن أنوية علوية بقسوة ، وبين أب متشامخ ، ولكنه ضالع في توظيفات فكرية . وأحلام تاتيانا تؤكد الحضور الحالي لحصوات طفولية في إنتاجها . وهي تظهر بصور تدمير وخسارة المحتويات ، المصورة غالباً بحقيقية ، حقيقية يد أنثوية بشكل خاص⁽¹⁾ ، وأشكالها ، وألوانها ، ونسيجها وسعتها تنوع ، تتكثف وتتوضح بتتابع الأحلام . وتمكنا من ربط هذه الصور تارة بحركات تحويلية إلى مادّية الهيكل (ألوان ، أشياء تشكله في الفضاء حيث أتلقاه) ، وطوراً بالتصورات التي تسقطها على شخصي .

إن إستيهام إنجاب طفل من رجل محرّم ينزلق شيئاً فشيئاً في القبشعور ، بمكر ، كنقطة فظة لشكها في ذاتها . وبشأن حلم يستحضر بالنسبة إليها ضروب قلقها تجاه المراهقة المتحررة لفتاتها ، صاغت بتردد وحيرة الخطاب التالي : « لم أفكر أبداً ، عندما كنت حبل ، أني قادرة على إنجاب طفل مسيخ . . . وحقاً لم أشك أبداً بقدرتي الأمومية على الإنجاب . جسمي يعمل جيداً ، وأشعر براحة معه ، ولا أشك فيه . أولادي يعجبونني ، وأراهم بلذة يكبرون . لكن فتاتي أصبحت امرأة . . . وأرى نفسي أنني أتشاجر مع زوجي بقدر ما تتشاجر هي معه . إنها تثيرنا الواحد ضد الآخر . . . إنه يشك فيها ، بقدراتها الفكرية . ولا أحمّل هذا الانتقاص لفتاته الحقيقية . إذ لم يشك أبداً

(1) فرويد مقطع من تحليل للهستيريا : دورا (الحلم الأول) Fragment d'une analyse (Premier rêve 1905a) d'ystérie. Dora .

والذي بي بهذه الطريقة ، بالرغم من أنه لم يدفعني أبداً صراحة إلى العمل ، بدون شك بسبب غيرة أُمي

فالكاتب الذي كتبه في هذه الفترة ، كان من المستحيل علي أن أجمع أجزاءه ، أن أقرأه بكامله ، باستمرار ، لأجعل منه كلاً . فليس له أية وحدة . . . وهذا يزعجني . . . أشعر أنني عاجزة . لدي أفكار ، حية ، واضحة . إنها لا تتجمع . لم يعد فكري دهن النارج هذا الذي إستخلص منه روائح لطيفة . أرغب في ترك كل شيء . الكلمات تفرمني . أشعر أحياناً أنني ساذجة » .

لقد إستحضرنا معاً الطفل غير العادي ، الجزأ ، المشكل بشكل سيء ، الذي تخاف في هذه المرحلة رؤيته يخرج منها ، من فكرها . واستعادت معاناة الشك والاكثاب في مراهقتها عندما فكرت بابتها ، بالغيرة اللاشعورية لأنها الحقيقية . ونشطت بتحويلها التواحدات ومضادات - التواحدات لصورة ذاتها التي لم تتوصل بعد إلى فرضها على طفلها الذي من لحمها وعلى الصورة الأمومية التي تسيطر عليها في الحالية التحولية . فالرغبة اللاشعورية والفاجعة للقيام بإجهاض شيء شيطاني موجود فيها ينضم إلى إسقاطاتها الاضطهادية الطفولية على المحتوى الأمومي . فالذنب يكف القدرة المنتجة .

لقد عمل الإنتاج التناسلي جيداً عند تاتيانا . وتصرفت تأثيرات حياتها الآن بحيث ظهر نقل استيهامات الزنى بمحرم المبكرة إلى إنتاجها الشفهي . عبور مؤلم أساساً لتحليل في ذروة تطوره . وفكر امرأة ما يجب أن يتصعد من جسمانيته ومن الروابط الرهيبة بالمحارم والاضطهادية من الوظيفة الشفهية إلى الأشياء الوالدية ، وخاصة

الأمومية ، المستبطنة . وسيتوجب عليها توأ تصور أنوثتها بكلمات جديدة ، بمعانٍ جديدة للكلمات . « تشفي نسيج الكائن »⁽¹⁾ .

إن حالة تاتيانا تثير أسئلة عن نرجسية المرأة وعن التعارض الأولي للموضوع الأمومي .

وفي دراسته عن نرجسية المرأة⁽²⁾ ، أعلن ب . غرونبرجيه (B. Grunberger) : « والحال أن موضوعاً جنسياً لا يمكن أن يكون إلا من الجنس المقابل » . وهذا الاقتراح يتعلق ، في رأبي ، بسيوررات استيهامية سبق أن جعلت في المرتبة الثانية من العلاقة بالموضوع . وينطوي كذلك على مثلثة للصورة الأبوية بالنسبة للفتاة ، في حين أنني شخصياً أنسب هذه الحركة أولاً إلى الواحد بالصورة الأمومية . الواحد مبكر بواسطته تسقط الفتاة شهواتها الأولى على جسم / ثدي يخترقها فمياً وتدجمه كموضوع حب مجيب على حاجاتها الأكثر أولية . وهذا ما يقول فعلاً ، في موضوع آخر ب . غرونبرجيه : « إن المرأة فمية نرجسياً وتستهلك الفموية أيضاً قسماً كبيراً من الليبدو »⁽³⁾ .

ويستطيع الأب حينئذٍ أن يكون مُثَلَّثاً كموضوع للرغبة والإرضاء الأموميين . موضوع بعيد لكنه مناسب للفتاة بواسطة تحول توأحداتها التعاضمية . والقدرة الكلية للرضيع الفتاة ستسمح لها سريعاً جداً باستخدام هذا الليبدو الفمي لإشباع الميول النرجسية .

(1) (Sami -Ali) سامي علي 1984 p 5 .

(2) B. Grunberger 1964 .

(3) المرجع السابق .

ويظهر أول نقل للقموية في اللذة اللاشعورية التي يشعر بها الطفل إلى سماع صوت الأب ثم كلامه . والفتاة الصغيرة قابلة لاستثمار من جهة ، بشكل مختلف عن الصبي ، من جراء تشكلها العضوي ، الظواهر المرتبطة بالاختراق الحواسي . وتنشأ إتصالات لا شعورية مبكرة فم / إذن / شرح / مهبلٍ حتماً في البناء النفسي الأثوي . وتجذ حينئذٍ حرمانات الفطام تعويضاً لنسق التسامي في استثمار القدرات الشفهية المرتبطة بالاختراق السمعي بصوت الأب⁽¹⁾ . اختراق من منفذ غير مغلق ، صورة منقولة للمنفذ الأثوي الذي « [. . .] يحول البصري نحو السمعي ، الركيذة الهلسية للشفهي »⁽²⁾ .

إن المودة اللاشعورية لتواصل الشفهي يمكن إذن أن تتدخل في بناء المحرّم الأوديبي : مثلاً ، بالإمكانية المقدمة كذلك لتقريب غير مجسد يحترم البعد الجسدي ، في حين أن اتصال اللمس أو النظر يقيم علاقة ظاهرة مباشرة بين الأجسام . فليس الكلام شهوانياً . ومع ذلك ، إذا لم يكن هذا في إرساله الصوتي الذي يستحضر تطوراً قضيبياً ، إسقاطاً نحو خارج ملحق متعذر إمساكه ، من نسق تصور للقضيب الخيالي الذي تدعيه الفتاة . فاللذة التي تعانيتها البنية عند الكلمات الحنونة التي يقولها لها وادها (الخطاب العاشق من الرجل للمرأة) ، والخوف من

(1) يمكن الافتراض أن إستيهامات الاختراق هذه ، التي تنضم إلى رغبات الإثناوية لصبي الصغير ، هي أحد مصادر التأتأة . ويمكن هذه الظاهرة المرضية هنا أن تكون مفهومة كشكل من أشكال الدفاع ضد رغبة الإيلاج اللواطى . فالكلام إيلاج تبادل ظاهر . وبلا شك ، لكي تظهر هذه العلامة المرضية ، فإن مسائل إنشاء ترجسي ذكوري أخرى تقوم بدورها أيضاً .

(2) سامي علي . مرجع سابق .

أن تشعر البنية نفسها بالتوبيخات المحتمومة ، يسيران في اتجاه استثمار مبكر للكلام ، ظاهر غالباً عند الرضع الفتيات . ويشهد هذا الاستثمار حينئذٍ على تكامل طبيعي للمركبات النرجسية ما قبل التناسلية وعلى علاقة متناغمة مع مواضيع الحب .

إن الإدعاء القضيب الذي يمكن أن يحدد أو يشدد على مثل هذا الاستثمار للإرسال الفمي هو أيضاً وبكل تأكيد تعويضي لغياب عضو جنسي مرثي قادر أن يكون مبرزاً . وفي هذه الحالة يمكن فهم أن هذا الإدعاء يقوي التصورات المرتبطة بالتواصل السمعي التي تسمح هكذا بالحفاظ على الرباط بالأم . وفي الواقع ، إن تحريم اللمس محترم من جهة الأب ، والعلاقة بالنظر تحوّل الفضول البصري بخصوص الأعضاء التناسلية نحو القدرة الفمية على « الكلام فيه » . وأخيراً تجذب البنية الانتباه الأمومي بالعرض الفمي الذي تقوم به لقدرتها الشفهية .

لا شك في أن الملاحظة التي يديها غالباً الوالدان والمعلمون عن السرعة الفكرية الكبرى للفتيات الصغيرات بالنسبة إلى الصبيان اليافعين ، هي نتيجة لقضيانية الفكر الشفهي واللذة المرتبطة بتعابيرها الشفهية والمكتوبة التي هي إثبات منها . تحريك الكلمات ، هو اللعب مع عضو جنسي رمزي ، واستخدامه كوسيلة للإشباع النرجسي .

عند المراهقة ، تجد الفتاة نفسها مواجهة بإعادة الاستثمار الأوديبي لفكرها الشفهي وبتكاملات جديدة لأقسام من الأنا الأنثوي الذي يستلزمه هذا الشكل من تعبير الذات حيث تختلط مصادر لبيدية متعددة . ونرى حينئذٍ ظهور ضروب من الكف ، وقتية ودائمة ، من

السهولة الشفهية عند الشبان المراهقين ، أو أيضاً الانفجار الهدياني هستيريا تقريباً عابرة ، كما نرى كذلك الفموية توقف إستثمارها بخطورة أكبر في حالة فقدان الشهية . والموضوع الجنسي الذي يجب على الفتاة العدول عنه في كينونتها لاكتسابه بالمتعة الجنسية يجر إلى الفساد بواسطة التصورات الفمية المفترسة للكلام ولإسقاطاته .

إن قضيبانية الفتاة تحملها ربما على أن تعاني في هذه المرحلة من حياتها صعوبة نوع من تغيير الموضوع : إمكانية التعبير شفهاً عن إدعائها القضيبى وتتحول نرجسيتها الأثوية إلى قلق الإنتاج الرحمي . ويتضاعف حسد القضيب من قدرة على الإنجاب لم تعد خيالية ، بل أصبحت واقعاً . وحينئذٍ تحوّل الفتاة الرغبة في القضيب ، المختلطة بالرغبة المبكرة في الولد ، إلى رغبة بإنتاج حقيقي لجسمها ، بشكل طفل . هذا الموضوع الجديد للرغبة يمكن أن يكون مثيلاً لمعادل القضيب أو لإنتاج الأنا . إن وضع الإنتاج الشفهي ينافس الإنتاج التناسلي . ومواجهة النزاعات النفسية الجديدة تعرض للخطر هذه القدرة الجديدة للإنتاج ، وإذن كذلك القدرة على التفكير ، وعلى كتابة الأفكار ، وأثار علاقة فمية مستثمرة إلى حد كبير⁽¹⁾ .

موسيقى

عقدة أنوثة . تندفق ، تفتتح ، ذابلة ، مرققة ، مثل الانطلاقات القلقة لسفمونية ماهلر (Mahler) أو التهليلات الحزينة لسيلليوس

(1) م . كلاين ، الأولى ، التي أعطت العناصر الأساسية للحصر الأوديبى عند الفتاة : « عقدة أوديب الموضحة برسالة الحصورات المبكرة (التطور الأوديبى للفتاة) ،

(Sibélius) . لاعبة أو مغتصبة من قبل رافل * (Ravel) . متأملة بعد انتشار اللذة لـ Méliandes, Juliettes مع دوبوسي** (Debussy) . قبل اللغة وبعد الفعل ، دائماً ملتصقة بالجسد والفكر ، الموسيقى تنتزع الرمز من المادة . ومع ذلك .

إن لمس الآلة الضرورية من أحب الأمور . إنه يهتز ، ذيل خدعة يشعر ويعبر بحذق عن التأثيرات التي معناها نفسه يصبح لا وزن له .
مرح الفم ، اليدين ، الجسد النعوظ والروح ، مخترق بالصوت في الأنا والآخرين . جنس مجرد بعلامات متفق عليها . غلاف الجلد المعبور بدون أن يلمس لا سطح ، فضاء نقي . الاهتزاز الذي يحمله الهواء يرسل المتعة ، الجسد . لذة الاختراق تناسب بشكل طبيعي جداً في المكان الشاغر الداخلي للكائن ، في هذا التجويف الأنثوي الذي نتصرف به كلنا الأغوار الأولية للجنسانية . النغم ينتشر فيه . من الرأس إلى الجسد ، مثل اهتزاز الحب .

« ونقدر بصعوبة كيف حوّل البصري نحو السمعي ، ركيزة هلسية للشفهي » (سامي - علي يتكلم على شربر (Schreber)) . علامات اصطلاحية للغة الموسيقية ، وليست « النوتات »*** فيها بينها إلا صور للصوت ، علامات للتواصل ، وليس لها من معنى إلا في الآلة التي هي مخصصة لها . نقاط صغيرة مرئية بعيون الأذن ، علاقات مجردة ، معنى

(*) رافل ، موريس مؤلف موسيقي - فرنسي (1875 - 1937) له مؤلفات عدة منها
Concertos و Boléro .

(**) دوبوسي ، كلود مؤلف موسيقي فرنسي (1862 - 1918) له مؤلفات عدة منها
Mésilande و Pelléas
(***) النوتات الموسيقية (المترجم) .

معطى تخفية للإصغاء إلى ارتعاشات الأنا الراغبة . إتصال غير حسي مع صدى الآخر في الذات . إرتباك مستعاد لداخلي مدموج باستمرار في الغلاف المهتز للحب . سمفونية غير مكتملة أبداً .

صورة « للفضاء اللامعقول » ، الباطن الأثوي هو اهتزاز . دوي داخلي ، مكان الرنين الشهواني . إنتهاء الاهتزاز . فكر فرويد يقع في الفخ في القارة المهسترة . مكان خيبة أمل الرجل ، المرتبك بعد الانتعاض . مكان هلاك مادته . الأكثر ثمناً متوارٍ في الخفي من الرغبة . بطن أنثوي يكتمل فيه الإيقاع ويولد ثانية الانفصال الذي لا يطاق الوداع المتجدد أبداً . نقطة أرغن الفكر .

القسم الثالث

المرأة المحطلة

الفصل السابع

المحلل النفسي في مقعده

ربما من الضروري أن يستمر الشكل المعطى لنظرية الجنسية بالمفهوم الفرويدي . وضد كل التناقضات ، المعارضات ، التأمّلات والأسئلة ، يبقى فرويد سيد التوزيع ، الظالم للمرأة ، سيد الشائبة الجنسية . ظالم في نتائجه الاجتماعية والنفسية . ولكن ربما الربح « الثانوي » هو تأييد جاذبية القارة السوداء . وربما من الضروري للأنوثة أن لغزه محمي ، مثل البيضة في العش ، تحت قوقعته الخفيفة والملونة ، يحتفظ بألغاز ريش الطائر وشدو العصفور .

باستنادي كامرأة على فكر الرجال ، أريد اختبار اقتراب من الصفة الأنثوية في المحللة ، نوع من الرسم المنجز . وفي هذا البحث لا أستبعد بحق من الرجل الوضع الأنثوي . هل سيكون تهديداً بالنسبة لمحلل - رجل أن ننسب إليه أو « نتيح » له الوصول إلى بعض الوضعيات النوعية للأنثوي ؟ وليس أن تكون لا امرأة ولا أمماً أن تكون أنثوياً أو أمومياً . فكل فرق ينبغي أن يكون مفهوماً كغيرية ، لكن الغيرية ليست غرابة . والتماثل لا يلغي الغيرية ، حتى في التوأمية .

إن كنت أعرف الأنثوي بأسبقية القابل للتأثر ، « الطبقي العاري » ،

كما كان جوفيه (Jouvet) يعرف المسرح حيث كل شيء كان ينطلق ليحيا ، حاوٍ محتوٍ من ذي قبل في ذاته ، نستطيع أن نكشف في هذا الغموض الكنائي مركبيّ الثنائية الجنسانية وطرق الانشطار الثنائي الغيري الممكنة وفق سيرورة الانفلاق : أنثوي / ذكوري ، حاوي / محتوي ، جزئي / كلي ، موضوع / ذات ، إلخ . وتؤدي السيرورة التحليلية دور الحَمَل في ذهن المحلّل عبر ظاهرة الانتظار . مرتبطة بالزمن ، بكل تأكيد ، وبانبساط حبل المعرفة ، وبالمفاجأة إلى حد الانتظار . وليس المريض أبداً تماماً ذاك الذي التقاه المحلّل بعض المرات قبل الشروع بالعمل المشترك . إنه ينكشف شيئاً فشيئاً ، مثل الطفل المحمول ثم المولود ، آخر ، جديد ، غير منتظر . متحدر من الجانب الخصب للمحلّل ، « للعلاقة بالمجهول » الذي يتكلم عليه ج . روزولاتو (G. Rosolato) . « العلاقة بالمجهول هي إمكانية أن ترى في نسق ، نفسي ، كما هو داخلي ، أن في كل علاقة (مع العالم ، الموضوع) ، صدعاً ، فجوة ، أو فتحة ، تطوراً غير متوقع ، طارئاً ، لا ينفذ»⁽¹⁾ . وهذه الفتحة ، التي تبدو لي كالعبور إلى الباطن الأنثوي الرقيق ، تمثل عبور اللذة في « الروح » بواسطة الهي . علاقة سابقة للوجود على العلاج : حب الرجل يزرع المرأة أولاً بفكرة الطفل قبل أن يزرع في لحمها .

أحد المظاهر البارزة للعمل التحليلي هو كشف التحويل . وفي رأيي ، إن السات التي يدرك بعضها المحلّل هي في علاقة مباشرة مع الخيار ، ما قبل الشعوري أو اللاشعوري الذي قام به للانفعالات

(1) Gy Rosolato 1978 ، ص 227 .

الجزئية من بين الكلية ضد - التحويلية للأونة . وهذا العمل يفترض إذن سيرورة انفلاق ترغمه على العدول عن تعاضمه وعن الاستخدام النرجسي . . . (يقال أحياناً تأويلية) ، للتأثرات التي تمثل في وعيه . إن كشف تحويل أمومي أو أنثوي ، يفترض ، في قسم التواحد الأنثوي الذي يلغيه ، العدول إلى رداً فعل أخرى لأنه حاضرة في ضد - تحويله ، ويستطيع المحلل حينئذ أن يواجه معاناة الحتمية التشرجية والمظاهر النفسية التي تحددها هذه . وأن أشعر بنفسه امرأة يفترض القبول بالمظاهر الأقل تفضيلاً للثنائية الجنسانية . ولا ننسى أن المرحلة الأنثوية الأولية بالنسبة إلى م . كلاين تؤدي إلى المرحلة المكتبة ، الأمر الذي ، في رثائتي ، يتسم بالتخلي ، الانفصال ، إعداد الجنيني ، وحدة الكائن .

عاني فالنتين (Valentin) من هوية محدّدة بشكل سيء . ولم يكن لوطياً لكنه يحب « التخفي » كما كان يفعل عندما كان طفلاً ، في ملابس المرأة . وكان يقلق من ذلك . وكانت غرامياته تعيسة . وهجرته حبيبته لإنجاب أطفال مع رجل آخر . وهو ، بدأ يتابع حسد الطفل هذا ، وكان غيوراً منه . ووصف نفسه كهيئة غير محدّدة ، كائن ليس غلافه حتى جلده ، بل بالأحرى نسيجاً خارجياً لا يحدّه حقاً ، مهما كان الثوب الذي تقطعه . عند العودة من عطلة نهاية الأسبوع ، أعلن : « عندما لا أكون معك ، أفكر بك كما أفكر بغياب » . فاعتقدت أن فالنتين نجا ! فهذا الغياب الذي يشعر به هو الآن أنه ، متواحدة مع المرأة كداخلي فارغ حيث يمكن نبات الولد الذكر الذي عرفه منه قديماً ، قبل الغياب الأبوي . إنه يستبطن الحضور الأنثوي

كإمكانية حمل . جلده يتشكل حول الغياب ، لأن الغياب أيضاً يستلزم
حاوياً .

سأستخدم غالباً هنا فكر بيون ، الكاتب الفرويدي والكليني
(Kleinien) في الآن نفسه . لتأمله في التحليل النفسي ، بالنسبة إليّ ،
الأهلية لكي لا يفصل أبداً الانفعالي عن التأمل . فكل تجربة هي
جسدية قبل أن تكون نفسية . والمؤثر هو العلاقة التي تنبعث من المعاني
تجاه الفكر . ووفق بعض تعابير بيون⁽¹⁾ ، نجده يعتبر أن شكلاً ما هو
عنصر تحول ، مفهوم سيستخدمه توأ في علاقة المحلل بمريضه . شكل
يمكن أن يكون أيضاً شعوراً بالذات ، سيسمى قريباً هوية⁽²⁾ . فالهوية
تجربة . وانطلاقاً من معاني المعطيات الحواسية والكلمات التي تعبر
عنها ، فإن التجربة التواحدية ينبغي كذلك أن تكون موضوعة في
كلمات . إنها جزء مهم من عمل المحلل .

إن « الشكل » الذي يخصب تجربتي الانفعالية الخاصة يساعدني على
ربطها بالمؤثرات التي بعضها كانت لي مشتركة مع مريض . وهذه
المؤثرات أجزاء من بناء متحدر من العلاقة تحول/ضد- تحول وحوافزها
قدرة الترميز التي نشاركها . والشكل المبني هكذا في المريض وفي يتحول
وفق مصادفات السيرورة التحليلية والكلمات التي تتدفق لتنظيمها :
جينياً شفهياً . وإن « كان للكلام وظيفة إعطاء الغير تواصلًا تارة
صحيحاً ، وتارة مشوهاً لهذه التجربة »⁽³⁾ ، فإن من المحتمل أن

(1) Bion ، 1965 .

(2) من المناسب التمييز ، مثل ستولر (Stoller) ، بي هوية شقيّة وهوية جنسية .

(3) أنظر Bion ، 1974 ، ص 23 .

أشارك في تجربة الذات هذه بعملية الداخلي الخاص والشكل المهيمن فيه . وتجربتي الحالية نامية من تجربة مريضاتي . وانتباهي يجد نفسه محمولاً بحدة أكبر نحو الأشكال التي تنبعث من الداخل الحي ، كظواهر مرتبطة بالتصورات الأثوية وبتحولاتها . ومن الضروري أن يتحضر في ذاتي هذا النوع من الإنزعاج الذي سيكون اعتراض الأثوي أو الأنوثة باسم القضيب في التحليل النفسي . إنزعاج فكري تماماً يستطيع والحق يقال السماح لي بالوصول ، بجريبي فيما وراء مبدأ اللذة حيث تولد الحياة ، من ناحية الموت . لكن . إعتراض من الحدث الذي ، منذ فرويد ، ينطبع في الكثير من الحالات حيث جوهرية الذاتي يطرح للمناقشة . مع هذا الشك بينما كان يعبر عن نفسه أنفياً ، بينما لا يوجد ربما محلاً إلا في الأثوي⁽¹⁾ .

إن تجربة الاكتئاب في التحليل ، في النطاق الذي ترتبط به بخسارة كل علاقة بالموضوع الداخلي وباختبار حاوٍ غير مؤكد بشكل كاف بالنسبة للاضطرابات المبكرة، هي ربما وبشكل خاص جداً أنثوية . وفي الواقع ، من المحق اعتبار أن الخسارة الشرجية أو الحرمان من الحلمة في الفطام هي تجارب مختلفة جداً عن إنجاب طفل حي ، بالرغم من إرتباطها به بنقولات توظيف المناطق المثيرة جنسياً والمعنى الذي تأخذه هذه النقولات . ويبقى الإبعاد المهبلي مع ذلك تجربة نوعية للمرأة ، التي تدخل تصوراتها الهوية في أنماط اندماجية وإسقاطية خاصة جداً للإفراغ والخسارة ، تستطيع تفسير ميلها الأكثر سهولة إلى الاكتئاب . إن تغيير الروابط ، الألام المكثبة للانفصال والاكتشاف

(1) Bion . المرجع السابق . ص 2 .

المؤلم للغيرية تظهر عند المرأة مع تصور الطفل : الذي هو نفسه قد صار آخر مختلفاً ، وليكن منظماً جداً ، وحتى لو لم يكن أبداً محققاً . إن مدة الحمل ، والتحضير لانفصال الولادة تقديماً تدرجاً للمؤثرات المؤلمة التي تجعلها ممكنة التصور . وكذلك في التحليل .

تبقى لذة السيطرة على الخشية من الألم ، لذة القدرة على الإفلات عندما يتغير الرباط ولكنه يستمر وعندما يصبح العدول عن بعض عناصر التفكير مصدر إعداء . وتعرف المرأة طفلها . إنه يعيش فيها ، وبعدها . إنها مشحونة به . لقد توجب على بينوكيو استعادة مكونه في بطن الحوت ليصبح كائناً حياً .

إن مشقة الأب هي التعرف على ولده . فمفهوم البنية أكثر ضرورية من الجانب الذكوري . تعرف : كأن شكاً يستطيع الاستمرار دائماً . وتحدث التسمية في البطن الأمومي في ما أودع فيه الإيمان . الاعتقاد بالحياة الخالدة للإنسان في هذا الكهف الخصب ، ولكن دائماً الفضاء الذي يتشكل فيه ببطء المصير الذي ستهبه الأم لهذا الطفل ، وفق الإيمان الذي يربطها بالأب وبالرجل .

في أقاصي مراضة النساء ، يمكن إيجاد نمطين من المعاناة : أولئك اللواتي ليس هن إ اتصال بعتمتهن العميقة وأولئك الذي عندهن تنفجر النقطة المعتمة ، على العكس ، كحفرة مكتسحة . عند الأوليات نجد الصعوبات التي تستحضرها اللانفاذية ، البرودة ، رفض الطفل واليأس للشعور بعدم القدرة على الحب وعند الأخريات ، على العكس : السعي الشهواني الذي يطغى على السعي الغرامي ، الحب

الذي ينسي اللذة ، أو أيضاً الأدلة الكبيرة على الشهية الغرامية التي تحتاج العلاقات الاجتماعية ، ويأس عدم كونهن عزيزات أبداً . الشكل الأول والآخر من عدم التلاؤم الأنثوي لهما بدون شك مصدرهم في الظاهرة المستيرية . الأول من جانب الكبت المفرط للغريزة الليبيدية ، لأننا العليا القسرية والميول إلى « الاهتداء » البدني . والثاني ، على العكس ، يترك المظاهر الغريزية ترشح من شقوق ربما أكثر إبداعاً وتحمل غالباً على التفكير بهذا النوع من الجنون المستيري ، وعن سببه تساءل برنمان (Bernman) بتفهم كبير (١) .

وفي الحالة الأكثر ابتدأاً ، تنقل المرأة شعورها بذاتها بتصرفها كدمية عملاقة يندمج فيها كل شيء . إنها تلك التي وجودها ضروري لاستلام كل شيء واحتواء كل شيء ، والمكان الذي يلتجئ إليه الآخرون ، ويبحثون عن سعادتهم أو العلاج لآلامهم ، كما في رحم مجدد كلياً .
إنهن « القديسات الأمهات » .

أميل إذن إلى تفسير ، جزئياً على الأقل ، هذه الترتيبات الخاصة للأنثوي بلا ملاءمة النشاط النفسي مع الهوية الشقية ومع التصورات التي تشكلت منها .

لقد كان فرنزي (Ferenczi) بالنسبة ل فرويد المكتشف الكبير للغني الفائض للأنوثة التي تضم الوسواسية ، والتي تعبر عن نفسها غالباً بالجنسانية المثلية . والمحلل ، مهما كان ، مواجه إذن بالترجمات التي تضله في مخلفات المرحلة الأنثوية الأولية . ولن أقول في ذلك أن

(1) (E. Brenman) ، 1985 ، ص 423 - 432 .

الأنثوي هو الذي يعمل في التحليل . فالأنثوي متفوق بتكاملية .
ولكن يبدو لي أنه موجّه التحويل ، معرفة الغير ، الاختيار الذي
يخلق القرابة بين المريض والمحلل ، وإمكانية علاقة علاجية إيجابية .

ومع ذلك يمكن التساؤل عن المزايا المختلفة للتأويل في النطاق الذي
يستوجب فيه هذا التأويل حتماً صدى دفاعات المحلل . أي جانب
يمكن أن يأخذ الدفاع المهووس في التعبير التأويلي إذا كان شيء ما من
الأنوثة يظهر فيه بشكل سيلان لا يوقف أو ، من الجانب الذكوري ،
من ضرورة التدفق ؟ بما ينبغي حينئذٍ أن ننسب إلى القضيب ، وإذن
إلى العنصر الذكوري ، الجزء التحليلي ، بدقة كبيرة ، من العلاج
الذي يطلق قدرة الإعداد والعمل الشفهي من الفكر ، تركيب الدعامة
البنوية التي تستند عليها إنتاجية الأنثوي . إن الوظيفة التحليلية ،
بالنسبة للمرأة ، أو للجزء الأنثوي من كل محللة ، وسيلة لمتابعة إثارة
التجويف المعتم حيث تبدأ الحياة ، وسيلة ، وسيلة لإيجاد الحويصلة
المفرخة التي ينشط جوهرها .

وحدة المحللة النفسية

هذه المحللة النفسية موضوع السؤال ليس إلا سؤالي الشخصي
لنفسي ، محللة نفسية وامرأة . سؤال يثيره الآخر لأناي . كذلك في
القسم الأكثر عمقاً المتعرف عليه من أناي العليا .

مغوية من قبل التحليل اللغوي ، أنا كذلك : أضع نفسي موضع
السؤال . من سأكون حينئذٍ ؟ أنا والسؤال . سؤال عن أنا ، سؤال عن
أنا / المحللة النفسية . سؤالي الخاص لنفسي .

إن الأصلة محرك عمل مماثل . الإيروس الذي يعمل في ذاتي ،
يحثني على هذه النهاية ، يجزني إلى استعادة نفسي فيها أكثر حياة . أليس
هنا بالتحديد رهان تورطي في التحليل ؟ المحلل لا يتلاشي هو نفسه في
لغة المريض ، ليستعيد نفسه معه ، أكثر ثقلاً وبكل تأكيد
حياة .

لا شيء سيكون مقولاً حقاً إذا لم يقل عبر جسم المحلل نفسه . غير
قابلين للانفصال جسدي جسم المرأة وخطابي كمحلله ، ومركبان وفق
الصورة نفسها . إن التحليل اللغوي لسؤالي يسعي إلى أن يفسخ ،
بتصنع ، كائني البدني من عملي العقلي . والمحلل ، جالساً قرب
مريض ، صامتاً في مقعده ، هوشي في كليته .

فيما وراء الصمت يولد حينئذٍ الفعل . سكوت على شخص
المحلل ، على التصور التجريدي لوظيفة ، في ذاتها غير إنسانية وضد
طبيعية . وظيفة مكتسبة ، على قاعدة المزايا الملازمة لشخص المحلل ،
ووظيفة فيها يتلاشي هذا الشخص نفسه الأساسي والجوهري ظاهرياً .
هنا يستقر إذن سؤال الذات هذا للمحلل فيما وراء جنسه .

ويبدو لي حينئذٍ مستحيلًا إعداد هذا السؤال بخلاف الشخص
الأول ، مع العلم جيداً أن « المحلل النفسي - أو المحللة النفسية »
مسمى (أو مسماة) هكذا وغير مجنسن (أو غير مجنسة) سيكون كذلك
فعالاً أنا ، مدركة أحياناً كوسيلة للدفاع النرجسي ، أو تصور أثوي
علوي ، وربما أيضاً لتعاضد . ومع ذلك تنفتح رثايتان على إعداد
العمل العقلي للشخص المحلل في مقعده ، محتدرتان من إمكانية فسخ
الذات التحليلية كذلك : الحالة العاطفية للمحلل في « وضع

المقعد» ، وتصور عمل الجهاز النفسي لهذا المحلل نفسه ، على بعد من شخصه نفسه .

هذا المريضة ، التي تحويلها ليس بأقل صلابة من المقاومة ، كانت تستطيع أن تقول لنفسها ذات يوم ، وتقول لي : « كنت آتية لرؤية محلل ، فالتقيت إنساناً » . ويحدث العبور إذن هناك في التجربة المعاشة للمريضة المعالجة ، عودة جدلية لتجربتي المعاشة الشخصية : إن الصدى الذي يستيقظ في ذاتي هو ، في الآن نفسه ، من جانب المحللة - الإنسانية ، المتعرفة هكذا على قول المريضة المعالجة ، والإنسانة - المحللة ، المتعرفة على التزام ترك الشخص المتعرف عليه هكذا في خدمة عمله التحليلي .

إن السيرورة العقلية التي تؤسسها في ذاتي جدلية الإنسانة - المحللة مؤسسة بالخطاب . إن المحلل قد تعلم من أساتذته ومن تجارب إمكانياته الخاصة للتغير ، وتعلم كذلك وحدة أناه . إنه يعرف الخطاب ، الذي يؤسس الوضع ، المضموم بلا شعور ذاته نفسها ولا شعور مريضه . ووجوده الخاص ، في إنسانيته الحية ، مستعلٍ بالكلام .

إن الطبيعة البشرية تجعل المريض المعالج والمحلل متماثلين في نطاق واسع . ويقوم الوضع التحليلي تبعاً للفروق الجوهرية لدى كل واحد من الشخصين . وينسب الهويات والفروق المجتمعة في هذا الوضع الخاص ، يبدو المحلل موجوداً بما هو كاستعارة لمريضه .

وفي الواقع ، لا شيء يستطيع الحدوث هنا والآن بين هذين الكائنين البشريين بدون طبيعتهما المشتركة ، إستهامات ، أحلام ولغة

متشابهة . ولكن كذلك لا شيء بدون اختلاف الأريكة عن المقعد ،
المحلل عما يمكن تحليله ، المحققة هويته عن القابل لتعيين هويته .

والمحلل لا يستطيع أن يدعي مثل هذا قبل اكتسابه نوعاً من الأمانة
مع ذاته الموحدة في أنه ، كائنه الحي ، المتغير والثابت ، المتحرك في
علاقاته بلا شعور ذاته والآخرى . إنه يستطيع كذلك استخدام هويته
الخاصة للتعرف على الآخر ، المريض ، وحتى مثل ذاته ، تاركاً له كل
حرية بأن يكون نفسه ومختلفاً في الآن نفسه .

إن الشكل الاستعاري للخطاب في التحليل يغير موضع هذه
الاستعارة للشخصين وللعمل الاقتصادي - الديناميكي للعلاقة القائمة
هكذا . ينجم من ذلك بالتأكيد في الممارسة ما هو شائع أن يسمى تحليل
التحويل .

إن لعبة التواحدات ، العائدة للأنا العليا كما للأنا ، بين المريض
المعالج والمحلل ، تقدم لهذا الأخير إمكانية التعرف على بعض الحركات
الشعورية لسيرورة لا شعورية آثارها الرمزية معروفة منه ذي قبل .
ويقوم التحليل بين الذات والآخر ، المائل والمختلف ، جدلية دائمة
مقرّبة ومفرّقة معطيات الحياة ، مركّبة في أحسن الأحوال في تفسير
« تحولي » مدرّك في اللحظة المناسبة في قول المحلل .

إلى هذا الدور بالسكوت هكذا على الذات ، يتقاسم المحلل المحنة
مع مريضه . مريض يتوجب عليه أن يكون كذلك ، ركيّزة الصور
الكريهة لمحلل ، وكذلك بدون ضرورة سبر حياته ووقته ، إذ لم يكن
هذا في مرعاة حدوده الخاصة . وقد كتب وينيكوت في العام 1963
مقالة « في التواصل وعدم التواصل » ، وفيها طالب « بحقه في عدم

التواصل . وكان ذلك اعتراضاً صادراً من أعماق ذاته ضد الاستيهاام المقلق لكونه مستغلاً إلى ما لا نهاية » . وتنتمي هذه التجربة إلى تجربة المحلل خلال الجلسة ، برهة ومكان ينبغي أن يجدد فيها بلا انقطاع قدرته على التألم مع المريض المعالج ، مستغرقاً في معاناته الخاصة ، مهما كانت . ويتوجب عليه في الآن نفسه مستعداً وجاهزاً . وأي محلل لا يعرف الصعوبة الكبرى لوضعه في خلال الجلسة ، في حين أن حقيقة ما خارجية تبلبله بقلق حتمي : مرض قريب ، هموم علائقية متنوعة ، أوضاع خارقة وطارئة في الحياة اليومية ، وكذلك عندما يبقى جسده في وضع ارتدادي بمعاماته ما بدنية بشكل خالص : إن الحاجة النرجسية للدفاع عن النفس تعاود الظهور عفويًا والمجهود كبير بحيث يستلزم الجلسة ، ولكن يكون في أفضل حال متفتحة لخطاب المريض ويتحمل جرحاً إضافياً إلى أمله الشخصي .

إحتجاج مثل ذاك المعبر عنه أعلاه من قبل وبينيكوت يذكر في هذه اللحظة بعمل السيرورات الأولية في وضع المحلل : الأجزاء المتألمة من الذات ، العقلية أو البدنية ، هي ليست فقط معرضة إلى هجومات الشخص المدرس المتمدد على الأريكة ، بل تثير حاجة إنقاص ، بطريقة دفاعية ، لحدود الإصغاء عند الشخص الجالس في المقعد . وفي هذه اللحظات يعمل بلا شك هذا الجزء من الأنوثة لباطن حساس وجاهز للحياة .

ويحدث غالباً أن التواصل اللاشعوي بين المحلل المنقوص في واقعه والمريض ، يحدث عند هذا الأخير قلقاً متفشيًا يظهر إما بالاكثاب ، وإما بالعدوانية والإهاجة . وحينئذٍ تصبح أكثر صعوبة بالنسبة للمحلل

ضرورة العمل لذاته وفي الوقت نفسه للآخر ، للسيطرة على النزاعات الارتكاسية للوضع ؛ وينبغي عليه حينئذٍ إعادة النظر في حدوده الخاصة في تلك الآونة ، والتشجع من مواضيعه الشخصية ، الداخلية والخارجية ، والتخلي عن رغبته في الإصلاح تجاه المريض ليحفظ ذلك لاستخدامه الشخصي . كالأم المريضة لا تستطيع تغذية طفلها بسخاء بدون المخاطرة باشتراكه بمرضها . فالضرورة الأولى بالنسبة إليها هي الشفاء وعدم الاحتفاظ مع طفلها إلا بعلاقة الحب الضرورية للصحة النفسية . وكذلك المحلل المشوش مؤقتاً في حياته اليومية النفسية أو البدنية يواجه ضرورة الاحتفاظ بمشاركته بالسيرورة التحليلية القائمة بينه وبين مريضه ، لترك هذه السيرورة تجري من تلقاء نفسها ، مع العلم أن وظيفته العلاجية لن تستطيع الاكتمال تماماً في مثل هذه الظروف . والمحلل حينئذٍ في أعماق أعماق الوحدة . لقد كتب فرويد كيف قرر وضع مقعده خلف مرضاه: لكي يشعر أكثر جهوزية لهؤلاء المرضى بالحدث نفسه الذي كان يتيح له الغياب البصري التصرف من تلقاء نفسه . وقریباً كذلك ، أقام تماثله الصغيرة الشهيرة بمتناول عينيه ويده ، صور المواضيع القديمة الداخلية التي بها كان يعيد خلق التنظيم الحي في ذاته ، الذي يسمح بالمقاومة ضد الاكتمال . إعادة خلق في ذاته لمكان أنثوي مخرق باللذة .

وفي الواقع ، يبدو لي أن أنا المحلل خاضعة باستمرار لمستلزمات عظمى تجاه أوضاع الاكتمال . وغريزة الموت تعمل من بين الأشكال المقبولة للجلسة نفسها : أوقات ثابتة ، محفوظة من الحياة العضلية ، ابتعاد عن الحياة الاجتماعية والخارجية . وضع مصطنع ، وبكلمة واحدة ، للجلسة بين المقعد والأريكة . وفي هذا الجو المفتعل ، الموت

حاضر بلا إنقطاع ، نهاية حياتنا ، حياتي كما حياة المريض . عمل ماكر
يخاطر بجر المحلل في نسق مكتتب ، عمل منقب يستطيع الظهور
بشكل عمل سلبي ، من ضد التحول غير المحلل من قبل المحلل
المفلت إلى سؤاله الخاص .

ويجد المحلل الشاب في هذه التجربة الجديدة لوحدة المقعد الوفير
مادة للتفكير بذاته وللتقدم في ذاته خلال علاجاته المسيطر عليها .
ويمنحه تحليله الشخصي الفرصة لمواجهة بعض فئات الوحدة . وحضور
محلله الخاص يحافظ عليه في الأمان النرجسي ، في استمرار الكائن
وقدرته الخلاقة ، وهذه الصيانة تتيح له اختبار حضور محلله كما يختبر
حضور أم التي قربها ، يرتاح الرضيع الشبعان ، وكذلك الولد الموزع
بين الحب والكره . وهو يمتلك متسع من الوقت لإعداد تجربة الوحدة
الأوديبية للولد المواجه بالمرح الأولي الذي هو في الآن نفسه مبعده منه
ومتحدر منه . وهذان الوضعان ، مهما كانا مختلفين ، يرجعان المحلل
إلى ما وصفه وبنيكوت « كالقدرة على الوجود وحيداً » . وحدة
جديدة للمحلل المبتدئ ، المواجه في مسؤوليته الجديدة باستقلالية
عملية ، وبالإصغاء إلى ذاته في المقعد المريح ، يبادل مكانه مع مكان
محلله الخاص . ضرورة بالنسبة إليه ناتجة من إدراج ، في عمله
العقلي ، التحليل الذاتي المستمر للأشكال النوعية لتواحه في هذه
الأوتة . ويرتكز تدريبه بالنسبة إليه إلى تعرفه على حدود محلله الخاص في
الزمن ، والمدى ، والمعرفة ؛ حدود ذاته وحدود رغباته من القدرة
الكلية على الحياة ، الموت وأشكال الوجود التي يقدمه له مرضاه .

ومصادر خبرته النظرية تظهر له حينئذٍ . إنه يدخل ، بسيرورات تسامي الفكر ، في بيئة جديدة ، مجموعة علمية حيث التجربة المشتركة للمحلل يمكن أن تكون مقالة و ، إذ يعاد فيها النظر ، تصبح مصدراً لتنظيم أكثر عمقاً لقدراته الفكرية والعاطفية .

تحليل لامتناه

كان هناك مرة دمية ، أو محلاً ، لا أعرف أكثر . سطح ، في جميع الحالات ، بشكل بشري . ابتسامة الوردية والعين غير المؤذية . بعضهم كان يجد ذلك في الامتداد ، وآخرون في العمق ، وآخرون في النسيج المنزلق للمغلق . وآخرون أيضاً يجدونه دائماً كذلك في الكثافات العديدة والأحجام المضاعفة . وهؤلاء لم يكونوا يستطيعون الانفصال عنه .

وأليس (Alice) كانت تنزلق فيه ، تحتبىء بين سطحين . وأصبح الخارج داخلياً . وكانت تعلق الجانب الناعم واللطيف . طعم « الأم السكر » . كما بالنسبة لدوريس لسينغ (Doris Lessing) . ثدي منتفخ أبداً ، دمية من خشب خفيف وحنون ذو نسغ كتوم . وكانت أليس تعب منه بلذة مازوشية تحصرها بسعادة بين الجانبين . لا تغير ، لا كينونة ، لا مكان ، في هذا الملبي المختلف والثابت على قدميه الخشبيتين . لا شيء متحرك . فقط دورة صغيرة في محيط هذا المتماثل ، إلى الداخل قليلاً . ومن ثم الخروج من أجل الدخول ؟ أو ببساطة أكبر أيضاً عدم الحراك مجدداً ؟ وفي الأكثر اختراق القشرة المصابة حديثاً للعثور فيها على شبيه آخر ، شبيه في كل شيء ، وضيق قليلاً .

عثرت أليس على ذلك مصادفة ، مصادفة تماماً ، أدوار

(Edward) . كارثة الخيبة والفضول . الالتباس مع الذات أو بالوقوع
الي كانت قد أحدثتها ؟ لقد أرادت أليس التراجع إلى الخلف . لكنها
كانت كبرت ، بدون أن تدرك ذلك . وكانت تحتل تقريباً كل المدى بين
اللعبتين الداخلية / الخارجية . كيف كان أدوارد يستطيع أن يجد ذلك
جيداً جداً هو أيضاً ويغلق عينيه الراضيتين ، مثل أليس نفسها ؟ ألم
تكن تتركب خطأ ؟ ألم يكن أدوارد قطعة صغيرة من « الأم السكر » ،
أو حتى قطعة صغيرة من أليس بحق ، قطعة نسيتهما هناك في دورة
سابقة ؟

ستفضل ان لا تفك باء ادوارد يستطيع ألا يكون بالنسبة إليها دمية
أو أيضاً محلاً . ويهدوء بكل هدوء ، دخلت تحت القشرة التالية ،
بدون ضجة . بدون تحطيم . لقد تعلمت التناؤذ ، أن تكون هناك في
أغلب الأحيان . وعاشت في ذلك في الحاضر باستمرار ، خارج زمن
الآخرين . في مدة بدون قياس ، سطح مزدوج من الدمية ، أو ربما من
المحلل .

ببطء ، ببطء شديد ، بعد عدة ثلجاس وكثير من الشمس ، ذات
ليلة ربما ، شعرت أليس باتصال صلب ، غير مؤلوف ، داخل / خارج
من أحدهم وقد يكون أيضاً هي : لقد نجحت بفتح عينيه . وكانت
قد وصلت إلى القلب - النواة للدمية . تلك الصغيرة التي يمكن
الذهاب إلى داخلها ، تلك التي تبقى كلها ، غير قابلة للاحتراق .
أليس لا تستطيع بعد الآن معرفة ما إذا كان ذلك أيضاً شيئاً ما من
« الأم - السكر » أو نوعاً من أدوارد ، أو أيضاً من أليس عند فجر
ذاتها .

ولأنها محتارة ، تساءلت للمرة الأولى عما إذا كان من الواجب عليها الرجوع حقاً إلى الخلف . كيف وحتى أين ؟ عبور هذه الحدود مجدداً ، وربما معاناتها ؟ أو على الأصح عدم التفكير بعد الآن . لكن هل كانت أليس لم تفكر بذلك أبداً ؟ لا ضرورة لأن « الأم - السكر » كانت تحيطها بغلاف من كلماتها اللبينة . الحليب الذي حتى الآن تشعر به رخوة تماماً ، وأليس أدركت حموضته فجأة ، مثل حمرة الحديد للدمية المحللة ، أبداً لم ينظر إليها حقاً ، مثل الهواء الذي كان يخترقها بين الأكثر ضخامة والأقل ضخامة من كثافات الدمية الأم . الماتريوشكا بدت لها وخيمة . ولكن . . .

لقد تنفست عبّة كبيرة ، وأغلقت عينيها وقررت أن هناك أيضاً بعض السكر وأن تحليلها يكون لا متناهياً .

مفارقة المحلل النفسي

إذا قلت : « أسمع ما أنا بسببه أصم » ، فإن استقامتك مخادعة . وتضع نفسك في وضع أَيْمِنِيد (Epiménide) الكرواتي ، الذي أكد أن جميع الكرواتيين كاذبون . فعندما تدعي سماع لا شعور الآخرين ، تدخل في مفارقة : إذ كيف تسمع اللاشعور لأنك تسميه لا شعور ؟ ألسنت محللاً نفسياً واعياً بشعورك الخاص عندما تدعي تلك المقدرة ؟ خطأ مبتذل يتمنى وبتهم : المحلل النفسي لا يسمع اللاشعور . إنه يتفحص مظاهره . ويستطيع التعرف عليها بغتة عند مريضه ، بعد أن يكون قد تعلم طويلاً وبصبر التعرف عليها في ذاته نفسها . وهنا بدون أي شك معرفته الوحيدة الخاصة . معرفة لا تستبعد التدخل في ذلك ،

بالنسبة لمعظمهم ، فيما وراء الكثير من التمهيدات* الأخرى : في الفنون والتقنية ، في العلوم والفلسفة . معارف متراكمة ، من الحياة ومن الذات ، وهي الأسس النوعية لاقتراب ممكن من اللاشعور. لم يكن هناك لغز إلا نادراً : الحكماء ، العلماء ، الفلاسفة والشعراء لديهم التجربة نفسها التي للمحلل النفسي . وهم يضعونها مثله في خدمة الآخرين . ومع ذلك وحده المحلل النفسي يفتخر من هذا التوظيف لتعمق ذاته . وأقرب من الصوفي أو الشاعر منه للفنان ، إنه يدعي الخلق . ليس خلق موضوع لاستعمال الرجل ، مثل الفنان ، بل إعادة خلق فِعلي للإنسان نفسه في الإنسان . مثل الساحر في ما مضى ، يأخذ بحزم القضيب المتشعب من شجرة البندق ، متفحصاً بخطى بطيئة سطح الأرض . والسائل العصبي للأعماق التحتية كان بالنسبة إليه معروفاً في ذراعيه ، في عضلاته . لقد ظل جاهزاً وحاضراً للضرورة المتوقعة لطاقة خارجية عن ذاته ، ولكنها نقطة غريبة . وكانت الحركة التي لا تقهر للبندق تعني له النقطة التي يلتقي بها المنبع .

ويتقاسم لغز اللقاء المدى التحليلي مع المعروف من الجزئين : مثل التحترية حيث يرقد الماء ، مستعداً للانجاس في مكان ما على يد ثغرة ما ، ولا شعورنا يسيل بواسطة كل حركة لجسمنا . والمحلل فقط تعلم ارتقاء مجرى الحياة حتى منبعها . جالساً ، يقظاً ، يصغي : إنه لا يسمع ضجيج النهر اللاشعوري التحتي . وكانت أذني المدربة تتعرف على الأصداء ، الخريز والتدفقات . ماذا يوجد هناك في الأسفل ؟ إنه

(*) التمهيد : طريقة تتيج إقامة علاقتك بين عدد من المنهات والاستجابات في الكائنات الحية يتأتى عنها اكتسابها مهارات خاصة للتكيف مع بيئتها . (المترجم) .

يبقى مستعداً : إما لرؤية إنقضاى المد المعروف حتى الآن بالكبت عليه ، وإما للمتابعة بصبر القطيرات الصغيرة المقطرة من قبل الأنا العليا .

لقد أظهر لنا سقراط الطريق ، الذى كان المنهج التوليدى يؤد منه تلامذته بمعارفهم الخاصة . لقد كان موضوعاً ومستسلماً .

بين المقود والأرمكة : تقنية ونظرية

ولكن لأكون محلله ، لم أكن قل من ذلك امرأة ، وعلى الأصح أكثر من أي فرد آخر ، على أي حال أبنغي ذلك . بما أعرفه ، بما أشعر به .

وكل مريض يصيبى بهذه النقطة الأكثر إنسانية ، بدون أدنى شك نقطة تدفق حافزى التحلفى وهذا البحث عن الإنسانى بما وراء وظيفته الاجتماعية ، كل مريض عاجلاً أو آجلاً ، يواجهنى ، منزلقاً على المنحدر التجاوزى : « متى محولين عن بأسك ؟ ألا نستطيع التكلم أمام كوب من الشاي ؟ » خطاب مفسد لصورتى الحقيقية : نداء للشخص الذى أكونه ، إنحرال عن المحللة النفسية . هذا الخطاب يحاول أن يجعل منى نوعاً من السيدة الاجتماعية . ويسعى مريضى إلى تبادل السلوك المقولب لمحللته النفسية لقاء السلوك المقلوب لامرأة اعتاد التوجه إليها . وهذا النوع من الدعوة الشاذة هو غالباً معبر عنه ، بدقة أكبر بكثير فى خطابات أخرى ، تحول الإغواء الذى يخلط الحب والعدوانية . عمن يبحث عبر صورتى المفككة ؟ أية حالة للذات يريد إستدراجى إلى إعادة بنائها ؟

والمحلل ، محمي من الانتهاك بموقف مهني مكتسب في تكوينه ، في هذه اللحظات حيث مقاومة المريض تنحاز إليه مباشرة ، يجب أن يتأكد من تصرفه العقلي . شيء ما يتكرر من أجله أيضاً ، ويحتوي تجارب أخرى : إنه يستعيد بفعالية التطور الداخلي نحو عمق شعوره - استحضار لمحلله الشخصي ، لأساتذته في التحليل ، ومن بينهم ، أبيقراط وقسمه . والصور التي تؤسس المنوع تقود مجدداً السيرورة نحو الرغبة الجاهزة لتصفية اللاشعور . حازم وحيادي يجب أن تبقى . مفهم بذاتك ممثلن في مفهومك النوعي المحمول إلى الإلحاحات المصورة لجهازك النفسي الخاص . وفي تحليل التكون ، جزء من الأنا العليا متطور إلى نهايات التسامي . وهذا الجزء ، من الذات يفعل باتجاه مثال الأنا . ويؤسس المحلل على هذه الصورة المثالية للذات جزءاً تكوينياً لوجوده المهني . وهذا التصور يفترض الأخذ بعين الاعتبار مشاعر المريض وردات فعله ، متفحصة بذهن نقدي دائم . والعلاقة المتبادلة للتصور الأخلاقي للذات ولتحليل المؤثرات الخاصة تؤدي عند المحلل إلى تأويل إتفاقي لعلاقته بالمريض المعالج ، قابل لأن يكون متصل بهذا الأخير . وبكل وضوح هذا النمط من العمل التحليلي الذاتي يعمل كلما تدخل المحلل شفهاً خلال الجلسة . ضد التحويل ، إحدى السيرورات الداخلية التي تؤسس إمكانية التدخل التحليلي في العلاج . وينبغي أن أصغي إلى نفسي وأنا أعيش ، لكي أستعيد صدى المؤثرات التي يحدثها قول المريض ، أو عدم قدرته على القول . الإصغاء إلى النفس متخيلاً مصدراً ممكناً لمريض . ولكن إذا كان هذا النسق النسق الوحيد الذي يعمل في ذاتي ، فإنه يصبح شيئاً ما مثل

تطابق ضد - تحويلي للتحويل المتعاضم الذي وصفه كوهو⁽¹⁾
(Kohut) .

مثال الأنا هذا ، محرك القسوة التحليلية ، في السلوك الداخلي والخارجي للمحلل النفسي ، ينبغي أن يكون بوضوح مضاداً لمفهوم الأنا المثالية . وتخضع هذه الأخيرة المحلل لخطر تصور مطلق للذات الكلية القدرة ، تكوّن ارتكاسي نرجسي ، أمام صعوبة إعداد الحصر البشري ، يقيم الأسطورة ، المؤذية جداً للمريض ، من المحلل المفترض بدون خطأ .

امرأة شابة ، خلال تدريبها على التحليل النفسي ، جاءت تطلب مساعدتي . وكانت قد وافقت على الشروع في العلاج النفساني لامرأة شابة أخرى مكتئبة جداً . وشعرت بالضييق من خيوط إغواء سحاقني من جانب مريضتها ، بدون أن تجد الحل الذي يسمح لها بانكفاء ضد - تحولي والتفسير لخطاب وحركات المريضة . وحصلنا لاحقاً على فرصة لفهم أن ما تظهره هذه المريضة قد سببه اللطافة الكبيرة جداً لزميلتنا - المحللة . ملاطفة شديداً إليها الاكتئاب المسرحي للهستيري . وتعرفت تلميذتي فيها على صورة أختها الشابة ، واستطاعت تحليل علاقات الذنب بصورة مماثلة ، واستخراج ربح كبير من هذه التجربة . ولم يكن هناك أي شك في أن كل محلل يصل أحياناً إلى حدوده . والمرأة الشابة التي ذكرت مغامرتها وجدت أمامها إمكانية امتداد علاجها الخاص . ولكن ، مسؤول أو لا ؛ التحليل النفسي لكل فرد له بكل تأكيد حد . أبقى أحدهم أكثر حاسية بالاكتئاب ؟ ربما آخر ما لم يُعَد حتى عمق

(1) H. Kohut . 1971 .

مكبوتاته الألبان العنيفة للاضطهاد؟ أو أن شخص آخر اتبع جيداً في ذاته كل الانعطافات للمتاهات الوسواسية؟ في زاوية معتمة يستمر بقوة، في كل محلل، شكل محدد لشخصيته التي تجعله يصطدم بدون عودة مع مريض ما: وكذلك جذر مثل هذا، مزروع في حقل جديد، لا يجد فيه الأغذية النوعية الضرورية لإزهاره. فينب خاملاً ويضمر، بعض العناية التي يسخر بها عليه. كذلك بعض البنى العاطفية تواجه في التحليل تنافراً قريباً لا يقهر.

هذا الوضع الصعب يستحضر للمحلل خطر الانتهاك: إنتهاك القاعدة، القواعد، كأن هذا العبور ينبغي أن يسمح له بتجاوز حدوده الخاصة. ويمكن الاستسلام به للتناول: من قبل الذنب، من قبل العدوانية، من قبل رغبة قادرة. علاقة، في هذه الحال، تبقى مقفلة.

يجب عليك الدفاع عن نفسك بنفسك. أيها المحلل. عن ذاتك في مريضك. إنه يقيم الحصار على شخصك التحليلي. لكن دفاعك لا يجب أن يكون حائطاً تسمح ركاماته بمرور الغرائز العدو أو المكبوتات المهملة. إن ليونة الدفاعات هي النتيجة ليست فقط لتحليل جيد بل أيضاً لقدرة دائمة للتحليل الذاتي في الموقف. والإشارات الداخلية للأنا، المنظمة كذلك، تتيح لهذه الأنا توفيراً جارياً بين الهي والأنا العليا. انفصال الإثارات التي تحدثها تصوراتها لردات الفعل المنتجة من قبل هذه الأخيرة.

« أنتم تسمعون ركامات التاريخ، والكل يروي قصته، ماذا تفعلون بكل هذا؟ ماذا ستصبح فيكم كل هذه الحكايات، كل هذه

الحياتات ! « لم أستطع الإجابة لمريضتي : « أجعلها بعض أناي » ،
ومع ذلك هذا جيد . فديناميكية السيرورات العلائقية في التحويل
تعمل بتبادل المواضيع الداخلية الخيالية . وأجزاء الذات التي يسلمني
إياها مريضتي تخترق ذاتي ، إلى أقاصي لا شعوري ، تجيئ صوري
الخاصة المتمثلة بعمل التواحدات التي في ذاتي تجيب هذه الإسقاطات
التحويلية .

حضور في ذاتي للأيكو⁽¹⁾ (Echo) كما لنرسيس Narcisse . لكنها
مرآة فيها تتدفق الصور . أيكو التي كلماتها تعود لتسمع ، جسم شفاف
وليس سطح موحداً ، حيث ينزلق الصوت والنظر . التقاء وجودي مع
وجود مريضتي ينفي الموت . وأخذ منه حياة في الوقت نفسه الذي يأخذ
هو حياة ، في صورة المرآة المشتركة ، في التوحد الفضائي للقول .

المحلل النفسي والاككتاب

« صمتي يمسمرك في مقعدك » . حقاً . وفشلي أمام هذا الصمت
الذي يدوم يحولني إلى وضع ضحية عاجزة . Patior : أنا أتعذب .
وهذا المريض يتألم هنا . يتألم من ماضيه . هذا الماضي الذي يعذبه قد
وصل قبلنا ، قبله هنا وقبلي معه . خطأ القدرة فيه على العودة بوساطته
الشفهية . نحن مستبعدون الوالد للآخر . إنه يستمر بصمته استبعاداً
هو هنا الموضوع والذات . إنه يؤسس في الوقت نفسه وضعي الخاص

(1) أيكو (الصدى) حورية من حوريات الجبل عشقت نرسيس وهي تعاني من العجز عن
الكلام وذبل عودها حتى أصبحت عظاماً وصوتاً وتحولت عظامها إلى أحجار . وقبل
مزقتها الكلاب ولم تبق منها إلا الصوت (المترجم) .

لموضوع مستبعد ، نايتي ، معرفتي الغير ، عدوانيتي نفسها هل سيكون لها رابطة ما كافية بهذا الصمت لكي تبرز فيه الكلام الخلاق؟ أتذكر فرويد (1918) قائلاً عن رجل الذئاب : « [. . .] صعب [. . .] . وضع النفس مكان مريضنا لكي نفهمه » .

الكلمة التي تمزق وتكمل الوجود يتسامى بجسدنا . تسامٍ متوقع عبر الصمت . مثل الحياة تولد مجدداً من الموت ، الكلام يولد من الصمت . ليس أي كلام ، بقدر ما لا أكون رازحاً تحت الاكتئاب . هنا في الواقع يراقبني المريض عبر العدوانية المكبوتة خلف اكتسابه الشخصي . فالمحلل هو بشكل دائم مجذوب نحو هوة الاكتئاب على يد المريض المكتئب . لحظة ثمرة الموضوع فيها محبوب ويجب أن يكون معدولاً عنه ، عمل جميع الأيام في الكائن المتحول .

خسارة الذات ، أنا كما هو . إنه يدافع عن نفسه بعدمية يمكن تحيلها ، صورة الجسم الضائع من الأم ، أنا محمي بشكل أفضل ؟

« وجدتك جميلة ، هذا الصباح . وكنت سعيدة بذلك » . حسناً . « نهاية الأسبوع لم تنظمتك . أنت دائماً قبيحة أيضاً ، ولا أحب رنة صوتك » . الواحد تلو الآخر ، يتضايقون ، يغوون . أين أنا ؟ تمايز الأنا ، من كلامهم في نفسي ، من صوري . ما أكونه في ذاتي فيها وراء النسبية السطحية للفاعل . ما يكونون هم ، متميزين ومتشابهين . الكل مثلي . تلك التي يتوجهون إليها بالمجاملات والخصومات ليس إلا مساحتي ، غلافي المقلوب على يدهم للأشخاص الذين يعاشرونهم اليوم . لنستعيد ؛ كل من جانبنا . أشعر بحماية مقعدي ، محاطة بمن يتيح لي الأمان المقهور لمساحة صغيرة محددة بشكل خاص لي .

والاهتزازات الداخلية ستكون متحملة ، متجاوزة ، محللة . أضغط نفسي في ذاتي ، أحتفظ بوجودي في تجويفي . أصغي .

« كانت مريضة تقول لي : ليس لك حدود . لقد تعلمت تقنية تسمح لك أن تكون هنا ، بشكل مصطنع ، بدون إنفعال ؛ لا شيء أخشاه منك ، أنت لا تقاومين أبداً . تحسنين الكلام بطريقة رزينة ، مهذبة ، أنت لا يتوجب عليك القيام بأي جهد لتحملي عدوانيتي وتحريضاتي . هذه مهتك . وتقومين بها بمثابرة ولا شيء يظهر من مشاعرك الخاصة ، إلخ » .

هذه المريضة امرأة ذكية ، لديها وضع أتني وماضٍ قوياً ، ميولاً سادو - مازوشيسست مهمة من أجلها جاءت لرؤيتي . حقاً ، كان استلزمي الكثير من الصبر أمام غياباتها ، تأخراتها ، صمتها ، هجوماتها ، رقتها الخادعة . إنها تتصل بي نهائياً بالوسيلة الوحيدة لأصالتي الخاصة ، باحثة وواحدة ، في الشهادة التي أستطيع منحها إياها من ذاتي المحللة ، التطمينات الضرورية لكي تتحمل حياتها كإمرأة . وليس لدي إمكانيات تقنية أخرى ، في ظروف هذه العلاج المؤسساتي ، مثل إستحضار مواضعي الضد - تحويلية لكي أتيح لها إعادة بناء نرجسي . إنها تعرف جيداً جداً ، بذكائها ، ثقافتها وتجربتها المعاشة ، أن خطابها ، عندما تثيرني بالطريقة التي حملتها لها ، تلامس أعماق شخصي ، تنزع أفنعتي بواقع المحللة التي تمنحها أكثر من صفة إسمية .

لقد تعلمت بالتجربة كيف لا أهرب من هذا الوضع الصعب ،
أينبغي أيضاً أن أجد شيئاً فشيئاً من السيورة ، من إنزلاق غير مرئي
في الحوار ، الهجومى السريع . لقد أعددت نفسي في الوقت نفسه
الذي أعدت هي نفسها . تحليل بلا إنقطاع لجروحيتي بطريقة هجومية
محددة ، بديالكتيك رهيب في لعبة منها رغبة في أن أستسلم . أستطيع
أن أعبر لها بوضوح عن نتيجة إعداد المشاعر العدوانية الموجودة في
ذاتي . بإنحراف تواحدات الموانع والتفافاتها ، فتتوصل حينئذٍ إلى
القدرة على أن تتخيل هي نفسها في الوضع نفسه تجاهي ، بدون أن
تغرق في ذنبها . تستطيع التعرف أن كل شيء ليس جيداً فيها بدون
خشية أن يدمرها عقابي . وبعد بضعة أسابيع تتكلم بطريقة شبه حارة
عن محيطها العائلي الخاص . وأشعر أنني كوفئت . ربما تعرف هي ذلك
بطريقة غامضة .

إنها قابلة لأن تستشف أية حركات وضعتها في العمل للتوصل إلى
السناح لي بالفهم والحزم ، ولأغدق عليها بدون أن أشعر أنني البادئة
برغم نياتها الناهشة .

إن صلابة الدفاعات الوسواسية المعاد بنائها بلا تعب عند مريضتي
تغطي الميوعة المقلقة للنداء الغريزي . وأستطيع إستعادة بنية معادلة في
تقنيتي الخاصة : خطابي يسمح بالاختراق عبر قسوتها الحذرة ، صدى
المؤثرات المستحضرة . مهما كانت عنيفة ، أبدل مكانها ، أفسر .
والقرب بين المرأة وبينى يمكن أن يكون مستحضراً بدون خطر الإغواء
المتبادل لأنني أحافظ على مراقبة غرائزي المعروفة الخاصة . بدون أن
أنفصل عن حيادية المحلل ، ساحة بتوافق شخصي مع تقنيتي بشكل
دقيق ، وأفتح لهذه المريضة إمكانيات التعبير التحويلي التي فيها ،

جنون العظمة ، والاكتئاب ، والمازوشية والسادية ستجد ربما حلها .

إن حالة هذه المرأة والبيان الذي قادني أديا بي إلى التفكير بأن المحلل يعمل عقلياً بالنسبة لأساتذته ، مثل هذه المريضة بالنسبة إلي .

إن مرجعنا التواحدي التحليلي إلى محللنا الخاص ، إلى فرويد ، أو إلى الآخرين الذين تبعوه وشهروا العيادة والنظرية التحليليتين ، تشرك في الآن نفسه . بجنون العظمة الأوديبي ، بالالتهام الاستيهامي الطوطمي وبالضرورة النرجسية .

جنون العظمة (التعاضم) الذي ذهننا النقدي يدافع عنا ضده ، بكل أكيد ، ولكنه يجرنا نحو الإسهام الكلي القدرة بمسرح بدائي مؤسس لذاتنا المحللة ، عندما نغرق الأعين المحدقة في كتابات أسلافنا الكبار ونجد فيها اللذات التجاوزية التي حوّلها التسامي المهني والنظري إلى دفاعات جيدة الاستخدام . التهام توطمي ، هو أيضاً متسام ، به نجد طبيعياً ومربحاً « التهام الأعين » المحتويات الغنية بالكتابات التحليلية . إستثارة بكل الوجود التحليلي لأساتذتنا ، أو لزملائنا ، الذين نقول بوضوح أنهم « ينقلون » إلينا معارفهم ، وتجاربهم ، واكتشافاتهم . التهام لباطن أمومي ثرواته لم تعد ممنوعة علينا . دفاع حيوي ضد القضم والاستهلاك اليومي الذي نفرضه على مرضانا والذي يستحضر تفتت الجسم في الموت والعقل في الجنون .

المحلل النفسي والجنون

« أنت لن تموت ؟ قل لي أنك لن تموت » . على أي حال أستطيع أن أقول لك بأن لا رغبة لدي في ذلك . أن رغبتني في العيش تستوجب

حياة هذا الذي يكلمني في هذه اللحظة . خوفه من اختفائي ينضم في ذاته إلى رغبته في رؤيتي اختفي في إعصار موته الخاص . إنه يحتاج إلى أن لا أشعر بخوف ، ولا بجنونه ، ولا بموته ، أن أكون مطمئناً إلى أنني سأدفع ذلك عني إذا الغريزة تغلبت عليه ، متمنياً هزيمتي ونصري معاً .

في تأكيدي الوحيد أنني أيد العيش ، يجد التأكيد لرغبة مفترضة بحياته الشخصية . فيما وراء خطابي ، أنا نفسي قضية يواجهها إفتراض حياته . إننا نتكلم حياة وموتاً ، بلا توقف . حياة بدون توقف تتجدد رغم الموت . موت دائم ، محفوظ في عمق الكائن كما في نهايته الأخيرة . إنه يواجه في ذاتي العشي المميت . وترتكز كذلك في ذاتي عبثية الوجود . والرفعة العابرة للحياة هي بالنسبة إليه بدون توقف مؤكدة بحضوري المتجدد ، بإيقاع اعتيادي . يده تمتد نحو يدي ، تتردد تخشى الاتصال المرغوب : « ستفوت قطارك ؟ ستمضي طويلاً ؟ القطارات ، إنها تخرج عن السكة . السيارات كذلك ، هذا خطر . ولكن الطائرات كذلك . قطارك لن يخرج عن السكة . قل ؟ لا أريد تركك اليوم . إذا متّ ، سأموت كذلك . أعطني شيئاً ، أي شيء . ملبسة ، ألدريك ملبس لتعطيني ؟ » بضعة صغيرة من حياتي الجوهري التي تنزلق في الكائن المترنح فيا وراء هذا التملك المتسامي .

العثور على الكلمات . أنت تحملني في ذاتك ، مثل الملبس : رغبة في العيش . حياتك غير حياتي ، أنت تمتلكها لذاتك ، في ذاتك . لست إلا حارس عابر : محمي بحضوري الموقت ، بذرة حياتك نبتت في ذاتك . كلامي ، ماذا أصبح عندما تترك نفسك مجتاحة من قبل

الحشرات المتعددة التي يفرزها لا شعورك لتلتهم الإبهام الطري ؟ ربما صدى في عمق فبشعور كهفي . ربما نبع . ربما قطعة صغيرة جداً من الجسم الذي يشعر بالحياة ، يستعيد تملكاً عبر رغبتى المتوقعة بأنك تعيش ، بأنك تحيا بدوني .

جنونك يوحدنا . تحشى الخسارة بقدر خسارتي . الخسارة ، هذه خسارتي كذلك . لقد حزرت مسبقاً شيئاً فشيئاً ، فيما وراء الخوف ، حباً جديداً ، ربما حب ذاتك . أنت تتوقع حدودك خارج حدودي ، جسمي الاستيهامي بدون توقف حول جسمك . أنت تخاطر بأن تقول لي مخاوفك من الواقع الخارجي . إذن أنت تعلم . أنت تعرف أن لك جسماً بدون جسمي ، حياة بدون حياتي . لكن الفجوة السوداء ، فيك ، ستعاد أحياناً ، في الأحلام والانفعالات ، هوة عند حافتها تجادل نفسك لكي لا تغوص ، الثغرة السوداء ، لن أطمرها . تعرف ذلك أيضاً ، وقريباً ستقوله . أشعر أنني تقريباً مرغمة على الاعتقاد بخلودي عندما أكون معك . إذا لم أكن مطمئنة بحياة جسمي ، سنكون ميتين معاً . إذا لم أكن متأكدة من صلابة ذهني سنكون مجنونين معاً . لا شك في نفسي يسمح لي أمامك . ومع ذلك وحده بعض الكلام المتحدر من نفسي يستمر في ذاتك . تتغذى منه السور حول هوتك . وعندما سيكون السور الذي أنشأناه قوياً كفاية ، ستستطيع تركي .

لن أحييل ، للأسف ! ليس فيك ما لم يسمح به الآخرون أن يحدث فيه . ولكن أستطيع مساعدتك على نقض ما فعلته بالكثير من الهول : جنونك . أنت تستخدم هذه الكلمة ، تعرف أيضاً خدمة نفسك من

هذيانك - حتى لتقوية فائدة الآخرين . اتهام الآخرين للامبالاة ،
الوحشية ، عدم الفهم . لكي نتطلب منهم العلامة الظاهرة على
جنونهم الممكن ، على اعتراضهم المرعب أمام الهوة الفاعرة حيث
تريدهم ممزقين . حب مسكين حصلت عليه حينئذٍ ، مصنوع من
الفضول ، من الكره والقدرة ، راضٍ بعدم إتباعك . حول النواة
المؤلة التي وزنها يفكك ، أستطيع فقط مساعدتك على استعادة أصدقاء
السعادة والحياة . على قبول أن الجنة ، لم تعد إلا جحيمك . لن تكون
حقيقة .

المرأة المحللة النفسية والطفل : خرائب عدن

هذا الصبي الصغير ذو السنوات التسع يتصرف منذ وقت طويل
بحياته ، بموهبة طبيعية ، بتحليله النفسي . في ذلك اليوم ، طرح على
نفس أسئلة جديدة : « ربما قريباً لن أعود بحاجة إلى المجيء ، أو على
الأقل آتي بعض الأحيان ، وثم لا ، سأتابع دائماً المجيء .
(صمت) . ولكن ما هو عمك ؟ لا أعرف دائماً . لست معلمة ،
لست طيبة . أنت قليلاً أم . هذا ليس صحيحاً . إذن ما هذا ؟ » .
عفوية مؤثرة في السؤال . عليها أجيب بمقدار ما أنا أفعل مباشرة في هذه
اللحظة الثمينة . الطفل يخرج من العش . كل شيء في نفسي مطروح
على النقاش . من أنا في الواقع ، بالنسبة إلى هذا الصغير ؟ من هو
بالنسبة لي خاصة ؟ في نفسي ؟ لقد جاء ، ضائع في أعين الجميع .
مرتبط بأمه بحب بشكل متبادل مجنون ولكن كم هو عميق . حتى
بجنون محبوب ، كثيراً أو محبوب بشكل سيء . لقد كان كذلك .
بدون أي شك . حفظت هذا الكنز ، المستعاد في نفسي عبره . بدون

أي شك عملت معه على أن أصون من أجله أيضاً هذا الكنز نفسه .
والآن ، أعتقد أنني أرجعته حقاً إلى أمه التي كانت في طريق خسارته .
حقاً توجب عليه تحمل تمزقاته وأن يضع منها في نفسي نسيجاً معترفاً
به .

عن أي طفل تنازلت هكذا في نفسي ؟ على ماذا تعرفت في هذا
الصغير للطفل الذي أعرفه في نفسي ؟ لأي أم مشتركة عملنا حربنا
وحبنا ؟ لأي زوجين ؟ . يحضرنى مشهد : في عمق غابة صنوبر ،
محاطة بالسرخس والخلنج ، الطحلب مقتحم جذرانها . منزل واضح
ينهار ببطء على ماضيه . بقايا حديقة مسورة تحتفظ ببعض الأشجار
المثمرة وبقايا نباتات زهرية ، الشمس والعصافير تسكن صمت الروعة
هذا . رمز غريب ، على عصابة الحجر الناعم الذي يعلو الباب البسيط
إسم محفور ، كبير جداً : عدن . إنه كحلّم ، أو ذكرى . طائينة هذه
الخرائب المعمرة تعجبني لتصوير كذلك الطفولة التي أحفظها في
نفسي . مشاعر متعددة معرّقة بالثمار ، بالأزهار ، بالعوسج ، أحجار
قديمة نعثر عليها ومنها نعيد بناء صرح في كل مناسبة من حياتها . في
الذت ، استعادة تجويف الذراعين المغذيين ، حضور جنة الوالدين
المتحدين والمحيين .

في كل زيارة لطفل محزون ، أتأمل في ذاتي الخرائب الحزينة لأوهام
ضائعة ، انتظارات خائبة . في ذاتي يحن التواطؤ الخطر بين الضعف
المدلل والسيطرة الوهمية على عواصف الحياة . أنشئ نفسي مجدداً
بشكل دائم مع كل من هؤلاء الأطفال وفق صورة جسم الأم ، أنا
نفسي أم مثل أمي الحقيقية ، ووفق أم الطفل الغريب . الأسلوب
المتبادل متبعاً البناء الذي معه أتعاون .

الفصل الثامن

كلام محال

كم يشبه
ظله في الماء
السوسن

Matsuo Bashō

Haikai

صوتي يحمل كلناتي نحو فضاء جسد . خلايا الفكر . خواء منظم
موصوف من قبل اللغوي . مواجهات اللغة ، ملاحظة ببرودة ،
منظمة بشكل دقيق وقاسٍ لا تكفي لعرض الحجم الذي يستعيره
الكلام . فضاء الحياة ليس مسطحاً . وثبتت الكتابة في الموت تبعية
التكلم . تبعية ثلاثية الأبعاد ، مأخوذة في الكثافة الشهواني ، في المؤثر
وفي الفكر .

يفكر اللغوي بإيضاح الخطاب ، في تحليل البنى التي تنقل رسالة
المرسل إلى المرسل إليه . وضوح مشتهى للغة المكتوبة ، مزنة
بالاصطلاحات ، مصفحة بالنحو . إضاءة مطمئنة أن الوظائف اللغوية
الست المذكورة من قبل جاكسون .

ماذا أصنع منها أنا ، المحللة ؟ هل سأجد فيها ما يحول كلامي بين
ذاتي ومريضٍ ؟ من البنية ، لا أريد التعرف إلا على المرسل والمرسل
إليه . وأيضاً أن هذا المرسل إليه ليس له قيمة مطلقة عندما يكون محلاً

لأنه يصغي إلى الرسالة بمنخل التحويل . نسيج مشدود في العديد من الحبيكات التي جميعاً تشبه البنية المبعوثة في الصورة الفريدة لذلك الذي يتكلم ، مستبعداً فائدة المصطلح ، القناة والنص الكامل .

المحلل يتكلم . تقريباً حدث نادر حتى الآن ، وفق زمن السيرورة المتطورة ، وفق التقنية ونظرية التأويل و ، خاصة ، بدون شك ، وفق الشخص الذي يحتوي المحلل شرح الرسالة من قبله منقول إلى الداخل المغلق جيداً للجسم التحليلي يستطيع أن يأخذ هذا الحجم أو ذاك من الأحجام التي وصفها فرويد : التأويل والبناء .

والتأويل المدرك يستعيد باختصار قول المريض - المرسل ليواجه ، ويقرب ، ليرادف كلمة أو جملة قصيرة . لعبة بالكلمات . عودة القول إلى القائل . الإنشاء يجمع ويضع في الميزان عناصر ملفتة بأهمية متبادلة ، في القول الحالي والأقوال السابقة . وبكل تأكيد تعبير الرسالة ، المأخوذة كما هي ، هو العمق القابل للتحليل . لكن التطوير ، في الشخص الذي يتوجه إليه قول ما مهما كان .

والتأويل ، في التحليل كما في الموسيقى ، سيكون ربما إعلام القول بالإيضاح والأداء . وكلام المحلل سيتألف من قول محلل للرسالة المرسلة من قبل المريض ، من إيضاح مفترض من قبل المحلل المناسب للضروريات المشعور بها عند هذا المريض وأداء تعبيرية للحركات الداخلية ، وأود القول المحايدة بقدر ما تستطيع ؟

إذن ، ها نحن مقادون إلى وظائف الخطاب ، الذي يحتفظ به المحلل لمعناي ، إثنان : التعبيري ، أو الانفعالي ، الذي يتركز على المرسل ، والشعري ، المتركز على الرسالة . وبه ، في اللغة نفسها ،

مصطلح ضروري ، سيتغير المريض والمحلل بالتبادل في مكانين عميقين ولغزيين من وجودهما . كما بقطعة موسيقية . تجزئة لحن مزدوج ، على خلفية أوركسترا . والمؤثرات والاستيهامات التحتية لهذا النص الذي يربط المؤلفين . فالمحلل ، هو ، يسأل المؤلف الموسيقي . على لا شعور بيني النص . فالكلام رمزي للأنا . ومن قبل مبني في التمثيل الخاص للذات . في مواجهة اللغوي ، إذ حلت نفسياً ، أدعي كشف بنية الإنشاءات اللاشعورية التحتية في خطاب مريض . فيما وراء المعايير ، النظريات والتقنيات ، كلامه يبلغ لا شعوري الخاص ، يوضح في ذاتي رسالته . صور مستحضرة ، لي ومنسية ، روائح ، أشكال دفء ، عنف ، وحنان . تعدد معاني اللغة يسمح بكل تحولات الأخر في ذاتي . عند الغوص البطيء أو اللفظ ، حبال المعروف ، خيط فكري يحفظني من ناحية الهديات المشتركة .

كلام معطى ، كلام مأخوذ ، وعد بمحتوى الأنا ، مجد متبادل على الموجة غير المحسوسة لنفس الحيوي . فعل تواحد بالذات خاضع للنفس .

الصمت حيث يتصادم الخطاب . الصمت المتواطىء ، المعزول ، التضادي . إجتماع لا نهائي للممكنات . ستار أمام الفعل والحياة ، مرآة الكلام ، مرآة في الحقل الشاسع ، الثابت ، حيث تتشكل الصورة ، بين الأفواه والأذان ، صورة مزدوجة للمريض . مشروع في المحلل .

هوية ، ليس من الواحد إلى الآخر ، بل للأول والآخر . تبادل المعنى ، تعادل ما يعانى ، تعدد المنتظر والمرغوب . وخلف المرأة الشفهية ، الشخص . شكل ملموح عبر الخطاب زمن ذراع منطو تحت ذقن ، زمن فخذ متصلب عند قفا جملة ، زمن ابتسامة غير لائقة . ليس الكلام أبداً صائباً لأنه متعدد المعاني . ولكن في هذه الفرجة للمعنى بين المحلل والمريض عند التجويف الاشتقاقي ينبت الاختلاف المماثل .

ماذا سيكون هذا المريض عند محلل آخر ؟ الخيط المتبع في الخطاب يجاذي العديد من الخيوط الأخرى . تدرج المعاني ، انعكاسات المرأة لن تكون نفسها . السؤال نفسه للأطفال : من سأكون لو تزوج أبي امرأة أخرى ؟ عبثية الفكر الذي يدعي تغيير التعابير الأصلية للحياة . تسلسل اللغة المحكية التي تولد الشكل النفسي ، المنطق الخاص لكل فكر . تحوّل قربان الكائن الحين ، الممثل عقلياً في لغته . أدون في محرّك الأشكال التي تتلاقح وتتحرر . أصبح مسؤولاً عن شكل بمستوى الكاتب نفسه وفق بارت ، أو مثل النحات على كتلة الرخام .

كلامي يدون في الحي ويتحول في الآخر . مدهش وغالباً لا يعرف بسولة عندما يكون عائداً إلى مقولباً ثانية من قبل لا شعور آخر ، خاضع للتحويل متحول بالتنافر العميق . كلام متروك للتحويل ، مثل عنصر من ذاتي ، متشكل بشكل يمكن إدراكه من أجل الموجه إليه ، مجعول ربما قابل الفهم بينه وبينني .

دائماً يطفو الغريب في الكثافة الواضحة للكلمات .

اختفاء ، للساح لمريض بالظهور عبر خطابه . عدم التحرك ، عدم الكلام . تركيز الانتباه الذي أحمله على هذا الشخص ، فضولي ربما ، انتظاري و ، كذلك ، تعاطفي وودي . الإفصاح للاستيهام : الصمت الحاضر يحرره في المريض . فضاء الكلام سيصبح فضاء الاستيهام .

المادة دائماً أولى . الحركة تسبق دائماً الفكر . اللغة المعاد خلقها على بعد التجربة المعاشة للجسم المتحرك إنه يضع بشكل رموز حياة جسم وتنقلاته بانسجام أو بمعارضة مع الأجسام الأخرى . لذة أو موت . الكلام يمثل ويأول كل حقيقة . المعنى دائماً ثانٍ .

فردريك (Frédéric) لا يريد أطفالاً ، خشية أن يحصل على ابن . إنها وسيلة لخصي والده . إنه لن يكون هكذا مجبراً على إعطاء ولده إسم والده . فضلاً عن ذلك ، على الأصح ، إعطائه إسم أمه . سيكون كذلك تجاوز ذرية : ذريته . « هذا قد يأخذ هذا المعنى ، عدم الحصول على طفل . . . » .

ما هي الأسماء التي تعطيها أم لطفل مسخ متحدر من أحشائها ؟ المسخ الذي كل واحد منا يحمله في ذاته يبقى في ملجأ اللاشعور مسيطر عليه بالكبت . سابق كلام مدة كافية لتجاوز الخطر الذي يتحاشاه الصمت . إنتهاك ، تسمية المسخ . خطأ الجسم ، ضلال النفس . ال « لا » الأولى تماماً الظاهرة تضبط الشهية المخيفة . اللا المستحضر بصمت الكهف التحليلي حتى المعرفة الصعبة للمسوخ العائلي المتكوم في

أحشائنا ، المستحضر في التشابهات المتطورة في المرأة التي تقدمها لنا
الكلمات .

ليلاً ونهاراً . رجل وامرأة . جيد وسيء . مريض ومحلل . أنا ولا
أنا وهم شفهي للثنائي . إنشطار دائم مصور بانفلاق الجنسي . مأزق
متكرر للفكر منذ أن يمتلك الكلام : النعم واللا . معارضة تحدث في
الواقع التكاملية ، المتتالية ، المحتوى . أخذ في كل . القطع الفاصل
دائماً للإهمال أو للتحويل . تناقض وحدة الأنا التي تجذب نفسها في تعددية
الممكنات ، بل كذلك في الغزارة المتطورة التي عليها ينتظم . الجسم
الشقي أو اللييدي يعطي منفذاً لترميز الأجزاء الموظفة للذات .

نداء المحلل ، نداء للكلام البسيط . حث على التجميع وعلى
التجمع . رأي معاكس لثنائية الوضع . إذا ، حسب قول سبربر
(Sperber) ، النداءات الجنسية هي المصدر الأول للكلام ؟ إغواء
متبادل . أول مصطلح رمزي للتضاد الأساسي . استعارة أصلية . لا
تصنع إلا واحداً ، ولكن يقون متمايزين .

اكتشاف قريباً ، في العلاج ، في الذات وفي الاختلاف . تقريباً
إزالة الذاتية : جزء يرصد الآخر الذي يشارك . الأنا تنفسخ على ذاتها
لتمثل الأوضاع المحتملة . ويصبح من الضروري له أن يسقط على
آخر كل قطعة صغيرة من الذات ، بصعوبة معزولة ، للتعرف عليها ،
لتعيين هويتها . ومن الصعوبة إنحدرت الهوية . كلام المحلل يسمي
فقط أجزاء الذات المتعرف عليها في الذات ، بحددة مرهونة نحو
الاختلاف بين الآخر والذات نفسها .

سحر نارسيس ، بانعكاسه الخاص . الرضا بكونه نفسه . ردم

فجوتي الخاصة : وهم ضروري تنبع منه الرغبة . فعل مؤسس البعد بين اللحم والفكر الذي يضم بطريقة غامضة هذا الجهاز الآخر في الغلاف اللغزي للمكبوت .

قيمة كلمات ، سائلة من الاستحضار الرمزي . إسقاطات ضوء مدرك من الأنا نحو الآخر ، لذة المعرفة . تبادل علامات تضم الأيروس . نشاط رمز للخلق .

على الجزء نفسه اختيار صفيحة . وتولوتر ، كلام المحلل يعيد ربط نسيج الغرائز المكفوفة . لمعان غريزي في عمق الكائن حيث الشخص يختار نفسه مجزئاً بالرغبة ، موحداً بغزارة كلية وهمية . سيطرة رمزية للإكتئاب : مسلمة أحياناً مع حظ بغمي الخاص ، كلمة السر نحو سيرورة موضوعة مجدداً في العمل تحقيق مؤلم للمريض أن المكان الفارغ للأشياء التي تحل محل الكلمات . كلمات المحلل ترمز فيها للحظة الحلم الضائع .

صانع فكرة ، أقطع منه الشيء المقلل الى صدى صوتي ، ملائم تماماً للشعور بأن فراغاً مردوم . على أثر مريض في خط سيره الباطني ، أنظر إليه يمهد لمواضيعه المعاد خلقها . حداد متجاوز في كل لحظة بالاستعمال الحر للأجزاء في لعبة الذات المقلقة . تحديد الأنا بغناها الخاص ، المعاش في مكان آخر كما هنا بآخر غير الأنا . هدف لا يحدد ولا يعرف . كل كلمة من جانبي وداع مرتقب . صداه عند مريض له معنى العودة وإذا فهمت جيداً ، وإذا أجبت جيداً ، أجعله قليلاً لذاته ، متحدرًا من فكري الرقيق ، متجاوز آلام التخلي . نقطة

تقذف الخيط على عرض النسيج ، وتبعدي قليلاً أكثر .

« أنت لست محايدةً » ، أعلنت أوجيني (Eugénie) ، هذا صحيح بشكل غريب ، آتٍ منها هي التي ترفع الكلفة معي طوال كل هذا الوقت . لقد غرفت من ذاتي كلمات ضائعة في عمق الآلام واللذات العميقة . وحولت من أجلها إلى نماذج الجسم البشري الأفاعي ، العناكب ، الضفادع ، والصراصير التي تنضم إليها مساءً ، مهلوسة لياليها ، محايدة ، لا أستطيع أن أكون محايدة . لقد سلكت مع أوجيني الدرب الطويل في الاتجاه المعاكس ، نحو المعاش الطفولي . أنها لا تعرف عمرها ، ولكنها امرأة منذ وقت طويل . الصور الزاخرة التي تجدد فيها بعض العزاء لتسقطها على حيطان غرفتها ، وجدتها في اللحم القديم ومعبرة بالنسبة إليها ، في مغمص الرضيع ، في غيظ الأسنان ، في الصداع ، القول قلق وحنون . صوت الأم اليقظة تجعل المصارع الداخلي للآلام الأولى مألوفاً .

أبداً ، حتى معي ، أوجيني لم تجرؤ على أن تسمع بالكلمات صعوبة حياتها . سوء شاسع في العيش . ينبغي أن تجول فيه مع جلدها كمتظاهر بالحب .

أن نضع من جديد في كلمات بسيطة ما يرفضه فكر البالغ من الطفل الذي يتألم أيضاً في نفسه . تسجيل الأثر البطيء للصورة الشفهية المتحدرة من استيهاماتنا . الجسم ليس أسود جداً . النفس ستضيئه . الفكر ، يسيطر عليه . مطمئنة هي الكلمات في حدودها الضيقة

الصوتية والمكتوبة ! إنها تحتوي صدى الكائن الشهواني ، لكنها تبقى على بعد . الكلمات تجعلنا محايدين .

بالقرب مني ، تعلمت أوجيني اللعب معها ، على وضعها في مكان الحيوانات المهلوسة : « هذا كما عندما أرسم » قالت . فبحن نقل لغز مخاوفها بحل الخيط اللاشعوري والمتين الذي يربطها مجدداً بجسمها الخاص . وربما ، شيئاً فشيئاً ، بمخاوف زوجين بشعين ورافضين ، ومع ذلك سيولداها .

إنها تبتكر جملاً مؤثرة تبقى طويلاً ، تجمع أمامي ، من أجلي ، كلمات لم أسمع مثلها أبداً ، تقول لي الحياة مثل جحيم كتبي ، جيرم بوش (Jérôme Bosch) المكتبة . كلامه ينزلق في نفسي عند التفاف وجودي . الجنون يبقى في نفسي كذلك ، بدون شك ، في المنبع ؟ حوار مغلوط بين أوجيني وبيني ، حوار طفل لم يولد أبداً جيداً وامرأة مرضع دائمة . مقمطة بكلمات طول قامتها ، أوجيني تستطيع الابتعاد بعض الوقت بدون أن تغرق من جديد في الرعب الذي لا يوصف . تدعيم هذا الخيط في مغزها الخاص ، يعقد جيداً في الليل غالباً ، عند الهاتف ، لم تملك أوجيني أبداً اليقين الذي لم أكن قد سحبت من عالمها . ضمانة الموت لم ينتزعها بسرعة كبيرة ، من فكرها المولّد ، الغلاف الذي فيه نطلق أيضاً لكشف بعض الأشكال الشفهية من أجل ذاتي .

الأصوات والكلمات

الكلمات التي نود سماعها ، الكلمات التي لم تسمع أبداً وتلك التي لن تسمع أبداً وتلك التي لن تسمع بعد الآن . الكلمات التي تذهب أبعد من الفكر ، الكلمات المتعلقة بالعاصفة الغريزية . الكلمات التي لا ينبغي قولها وتلك التي يشعر بالرغبة في قولها ، والكلمات التي تقال بدون أن تسمع تماماً .

كل الكلمات تنضم إلى بعضها ، تتجمع عند الحافة الخيالية للاشعور . وأحياناً تفلت منها .

الجسم الحي ، لا يكون مغلقاً أبداً بشكل مخالف إلا بالانطواء ، وهو خاضع دائماً للتطفل الممكن . الكلام يهين بدون توقف هذه الحدود المفتوحة بمعانٍ مجمعة ثانية . الأذن مخرقة بدون دفاع ، فاصل جسدي تتجمع المعاني فيه ، وبشكل صوتي مستحضرة .

الكلام لا يطاق . المسموع يستحضر الفراغ الداخلي ، اللا - محتوى . كلام المحلل هجوم . مهما كانت النية . فتشكل بشكل سمعي من الفروع الغريزية . لأن الآخر ممدد ، بدون دفاع ، متخل عن الموقف العمودي العدواني أو الدفاعي ، الذي يسمح بالسيطرة على العدو . مضرب على الأريكة بالكلمات ، مثل فراشة ، قال فريدريك لم يعد إلا جثة ذاك الذي عانى العنف . هذه الوضعية المتمددة تلمح إلى الموت .

كذلك عند المرأة صاحبة هذا الموت الصغير الذي هو أحياناً التخلي الصعب عن اللذة الجنسية . التخلي عن الدفاعات الآتية مما وراء

الجسم والزمن . وهل كون العلامة المرضية فائضاً ليبيدياً أكثر إطمئناناً ؟ ويتكرر النزاع من الرغبة اللاشعورية الموضوعية في مواجهة تحقيقها المحتمل . بالأحرى هوجثة . استعادة شعور بالثقة . إنه ممدد في كلام لا يجرح .

ذاكرة . « آثار شفهيّة » . لكن ذاكرة الجسم ؟ إذ يتذكر الجسم مسبقاً الكلمات ، فيما وراء الكلمات ، الذي يلتذ ويتألم بما نسيته الكلمات . الفائق الوصف بيني وبينه ، على هذه الأريكة ، ليوضع في الكلام . الفحوى . القول « إعطاء الانفعال تعبيراً شفهيّاً »⁽¹⁾ . مع ، الهدف ، التذكر - لحدث ، لحركة ، لحدث - أو لتجربة معاشة قاسية .

لكن المقاومة ، وقد كان فرويد يلح على هذه اللحظة . سلطة نستنكر الآن الذي لا يطاق فيها . وأكانت حينئذٍ كذلك ؟ كلامي كمحللة مشحون الآن بكل الماضي . الضرورة فرضت علي استعادة المصادر كل يوم ، وفي كل واحد ، إيقاظ المؤثر . إحداث غير المستحق . ثقب السر . إنقطاع الجيب ، والمياه تفيض . دموع أو كلام ، الاتصال بالخارج . إنقطاع واقية الإثارة التي تحمي اللاشعور . قطعاً تجربة إنفعالية مصلحة « (غرينسون Greenson) ولكن تعرية ذكرى الذات .

الصوت المستمر في أذني ، تماثل الصوت ، يحدث في ذاتي تقسيم المؤثر . ولكن متجاوز ، ومقدر بقيمته المرضية . موضوع التحليل

S. Freud et J. Breuer 1956, et 1981, p. 6 (1)

وليس هدفاً لكلامي الإضماري الذي سيلتف تواءً حول المكبوت . يحيط به شيئاً فشيئاً بقول منحرف بطريقه الساذج والمعتاد . معرفة - الفعل التي تتكلم باتجاه أنا أكثر تواحداً مع غرائزها الخاصة . الجانب الآخر من الكلام التحليلي .

ألست كلياً في كلامي المؤول ؟ أو مشطور . يذكرني بأناي . من هذه الذكرى ، استمدت صورة ، سلباً عليه تنطع صورة المريض . النفس والآخر ينضمان إلى بعضهما ، يتواحدان ، يتمايزان . أذكره في نفسي . ذاكرة الخاصة تتشكل مجدداً في نفسي ، من خيوط خفيفة وأحجار مرسومة قبل الكلام الذي يسقط ظلها في ذاكرتي . إنه يتملك مني القصاصات التي تحيط بخطابي ، قصاصات منه معاد إلصاقها في نفس بذكرى أنني كنت . رؤية عابرة لتماثل لا يظهر إلا ليختفي .

* * *

محللة شابة ، السيدة ن . اكتأبت قرب مريضة عند حد الدهان . وقد قبلت أن تأتي لتحدثني على اكتئابها الخاص حول « الحالة » . ودائماً ، كما كنت أصغي إليها ، هذه الحركة الداخلية ، التي تنحرف أمامي . مثل الصدى ترسل من جانب إلى آخر من الهوة .

السيدة ن . فقدت من أجل مريضتها طاقة إلى الأبد ، تفلت منها ، ثم كذلك تفلت من المريضة ، بدون تحويل آخر إلا كره متحرك وهارب في التحول . لقد جاءت السيدة ن . لتنوح عندي : إنها تشعر أنها فارغة جسماً ونفساً ، ولم تعد تجد في نفسها أي شيء للعطاء لتغذي

علاقة ، ولم تعد تعرف كيف تتصور ذلك . مثل مريضتها : مستحيلة على التصور .

شيئاً فشيئاً بدأت ، أنا نفسي ، أدرك . عبر نفسي شراة المريضة التي تحدث عنها السيدة ن ، مستحضرة . وهذه الشراة لا تعينني . لكن السيدة ن . بدت تنتج منها مجدداً المبادئ تجاهي . وأصبحت الأم - مرضعة استبدالية حلمتها السحرية يمكن أن تملأ فمها . فراغ في المعنى ، لحليب من الكلام عذب ونافع ، ربما حينئذ أيضاً استطاعت أن تجد لإرضائها الحالي منفذاً تماثلياً ليس أقل إرضاء ، لذة إرواء مريضتها بدورها بكلام سحري وخير .

تحمل الغرائز ، إعداد مضاد تحولنا . استبطان العلاقة التحليلية التي ستصبح وظيفة شخصية . الإسهامات النظرية ، الأساتذة الممثلون ، متحولون في فكر تأويلي . كل شيء يمضي بصورنا المشتركة . اللعبة النرجسية للمريضة بشكل وحشي تثير فينا التباس الفتحات : أذن واحدة تصبح فم أخرى . يستقر بين النساء الثلاث اللواتي هن نحن تواصل خاص ، شخصي ، حيث الذي لا يوصف لكل واحدة يكتسب حماية واضحة . الغرائز المفترسة تستحضر هذا الانزلاق المقلق للتخريب نحو الفكر ، المحتوى الأكثر ثمناً لجسم أمومي تحلفسي . إعادة تنظيم الداخل الغريزي . تعلم العيش ، الدفاع عن ماذا ، إن لم يكن الاستيham المشترك ؟ الحب والحسد . الحسد ، الذي يسعى إلى الاستئثار بالموضوع اللامع للمعرفة البالغة للمرأة . معرفة البشري الموضوع في الطية الحميمية ، والمهدورة في

الخصاء بالقدرة اللبئية . إفراز غامض متحدر من الفم - الشدي التحليلي .

أم قديمة ، أم الارتداد الضروري والمقلق ، رجل أو امرأة ، المحلل ، مخلوق مجدداً في كل مرة نلتقي فيها ، من جديد يكرر ، الاكتئاب . الموضوع المكروه والمرغوب للرغبة التي لا يمكن التعبير عنها ، هو نفسه والآخر ، زهرة متولدة من النرجسية .

الوضع في كلمات يشير إلى حدود العدم الاستيائي ، تجنبه لأنه محدد . نواة لا يمكن مهاجمتها إلا في الذات قد يستعيدتها المحلل . مساعدة التلميذ المحلل على أن يجد في ذاته المعادل النرجسي . من هذا العنصر العميق للذات، يستخرج الكلام التحليلي ليجابه الاكتئاب . مستند إلى ماذا يرق ويصغر الحسد المفترس . دعامة البصيرة . كلية ما وراء الكلمة حيث يستدل الشخص . عندما الكلام المسموع يخاطر بالذي لا يحتمل .

الداخل يحافظ على لغزه . يولد فيه كلمات ، أيضاً ، قريبة أو بعيدة عن الانبثاق الشعوري . تجربة الذات التي يقوم بها المحلل المتدرج ، عند الغنائم مع شعوذة الحصر . سيطرة وهمية ، واقع لا يمسك لمجهول الذات في العمل في العلاقة . ميزة الشريرين أن يستطيعوا القول في أنفسهم .

الفصل التاسع

أن تكون محلاً نفسياً

كيف أستطيع أن أقول أيضاً ماذا لا تكون المرأة ؟

داخل إناء لا يظهر نفسه . الجانب المزين ، تقريباً غاوٍ ، ساهٍ عن المحتوى . « الجسم يخلق الفضاء كما الماء يخلق الإناء »⁽¹⁾ ، بشكل ، أصباغ ، خطوط ، جانب الإناء الداخلي هو الركيزة التي تعني فضاء السعة .

إذ يزور المريض المحلّل ، يقدم المحلّل مظهراً ، يقيم إطاراً ، يعلن قاعدة . الجانب الخارجي من الإناء الذي هو للحصر ، ففي الداخل يتوجه المريض ، إلى هذا الجزء حيث الصدى يرن ، لهذا الداخلي حيث يضع لينضجوا إن لم يكن ليشفوا ، الأجزاء المتألمة من الذات . حمل تكاملي ، يشترك به الأول والآخر بفكره وبوعيه . ويجعل ممكناً التطور الشخصي بالوظيفة المشيمية للمحلل . موضوع مرّك مثل هذا المحلّل ، الذي تعدد معانيه يتأسس على الأمومي ، في الفضاء الداخلي القابل للتأثر ، جذب قوي ، سير نحو داخلي الآخر بحثاً عن الذات . بقدر تصورات المنفذ المهبلّي والاختراق ، السجلي ، اللذين يصوران مسبقاً طلب التحليل .

المدى النفسي ، التخيل فارغاً ، الذي يضعه المحلل بتصرف مريضه ، قريباً سيكتشف نفسه محتلاً بالغرباء ، قابلاً للتحويل الى

(1) شهرزاد - توفيق الحكيم ، نقلًا عن سامي علي ، Sami-Ali ، 1974 .

رحمة ، ثنائي الجنس ، ومتعدد الأشكال . ولكنه أساساً صبر حامل .
أم متحولة ، مضخمة بالتطور الداخلي لما تحمله في ذاتها ، وعاء محدد
سيتوجب عليه بكل تأكيد التفريغ . واجب ترك المحلّل « على بينة منه »
هجر المشيمة التحليلية ، الرباط السري - القضيب لهذا الداخل المنتج
للذة ، مستلزماً حرية متبادلة ، محوّل الحصر .

ولكن ماذا يكون منه إذن من الأنا ؟ محلّلة ، بكل تأكيد ، ولكن
ليس أقل امرأة لهذا الحدث ؟ أم أيضاً ، من هذا الحدث فقط في ذاته ،
بمادتي نفسها . أكثر من الآخرين فعلاً ؟ قدرتي كامرأة أهيئني بعد لهذا
الحمل الصبور التحت شفهي الذي يفضل البناء ، الدعم النرجسي
للمريض ؟ تهيؤ للأمومة المؤسسة كذلك عند الرجل ، على استيهام
الطفل ، على الثنائية الجنسانية المؤسسة للنفس ، والتي يتصرف في
عملها المحلّل . مرتبطة كذلك بالقضيبيانية باستخدام الكلام بين هذا
الطفل - المريض وذاتي نفسها . دائماً كلام الأب . كل شيء مثل
المؤثرات العنيفة المرتبطة بالتدخل ، بالاضطهاد ، يمكن أن تكون
كذلك موزعة بين الأنثوي والذكوري . ومع ذلك بعض التدرجات
النوعية تنتزع نفسها في الانفعال المعاني . الاغتصاب ، المعمم ،
التدخل الأكثر إيكاراً يأخذ شكلاً أنثوياً ويحدد الجنس في اختلافه
والفوهة المهبلية تعطي شكلاً للأذن الثالثة ، الحساسة ، بصراحة ،
بالمظهر الجنسي الأنثوي للتدخل ، إلى هذا المظهر للقم المفتوح بيأس
بالحاجة النرجسية ثم بالرغبة الجنسية . فوهة فاعرة لكل أشكال عنف
الأهل مثل الأذن عند الكلام المخرب ، التأويل المتوحش الاغتصاب
الشفهي . صور الرعب مثل صور الكلام الموضوعية بتصرف القدرة
الكلية الأمومية .

إمرأة محللة ، أجد نفسي في هذه الحالة مواجهة بالانفعالات القديمة السيئة التكامل لمرضاي ، بدون شك أكثر مباشرة من رجل . وأيضاً مع التراجع الضروري . فمعرفة هذه السيرورات التي هي الأكثر إيكاراً ، كما أظهر ذلك محللو المدرسة الكلينية (Kleinienne) ، تحثني على البعد التحليلي . إن إستيهامات الدمج المتبادل ملازمة للأنوثة . والمادة الأنثوية مشكّلة لكي تكون مدموجة من قبل الرضيع في الرضاعة ولتدمج العضو الذكوري في الفعل الجنسي .

إن جميع تصورات اللذة والعنف ، الخلق والإبادة ، تسيل من هذه الحقيقة الأولى . المرأة ، بشكل جوهرى ، قابلة للاختراق . إنجاب وتدمير ، بشكل حميمي ، مرتبطان بالاستيهامية الأنثوية وينبغي ، ببطء ، في العلاج ، التمايز من الجنسانية الصارمة لتصبح لذة وانزعاجاً يمكن احتماهما . ببطء ، بصبر ، بدون قسر ممكن ، مثل حمل مغذى جيداً ، والذي مخاطر إجهاضه معدة بلا تعب لحفظ الطفل حياً ، والغلاف السجلى المقدم للمريض المتكس ليس للمرأة المحللة إلا طريقة مبتدلة للوجود . فهي تضع بكل بساطة بتصرف المحلل الفضاء النفسي الطبيعي التي تأسست منه ، مغلف عفوي ، « طبيعي » بالمعنى الفرويدى . غلاف يحمي ويغذي ، يجدد ويعطي شكلاً . غلاف به تحقق هويتها بشكل مزدوج مثل طفل ومثل امرأة . غلاف يتسامى به اعداد المحلل ومفكره مجدداً في وظيفة المحلل .

وبنوع خاص ، إن الجوهر الداخلي للمرأة التي تسيل منه ، ربما ، حساسيتها النرجسية وحاجتها للحب (في رثاية ب . غرونبرجر

(B.Grünberger) (1) يبدو لي قادراً على توفير مكان عمل للمريض طبيعي تماماً بأخطائه النرجسية ، بالثغرات الأكثر جوهرية ، بإشكالية الانفصال والحركات الاكتئابية ، بإعادة التوظيفات الضرورية . ليس أن هذه الحالة الأنثوية لا تستطيع الوجود عند الرجل . لكن - عند الرجل المحلل ، بفضل اتساع قدراته التواحدية يستطيع وضع نفسه في إتصال مع الأجزاء الأنثوية لجنسانيته . الكل مثل عدد كبير من النساء المحللات قابلات لاستعادة تواحداتهن القضيية والأبوية في بعض السيرورات ضد - التحولية .

تحويل

فضاء ممتاز يرجع المريض فيه إلى الاستقرار ، الإدراك من جديد ، للخروج منه بالغا . خواء جاهز ، متأمل خصب « فكر فارغ » وفق كانط . فضاء قبلي . فئة أولية . شيء في ذاته خفي ليس بالحدس ، المدرك الأول ، التجربة المعاشة كما وضعها بيون (Bion) في مكان أصلي للفكر . فيلم سيثبت فيه الفصال صوره . ثدي ينتظر الطفل كما أن الطفل مستعد لاستلام الثدي . جهاز للإدراك يتصرف المحلل بفضاء أنثوي ميال إلى الأمومة . فضاء أحلام وأوهام يتجذر فيه المريض لكي يظهر نفسه باللغة . كلام مصبوب في الوعاء الصامت للنطاق التحليلي .

المحلل ، حيادي ؟ كلا . فهو دائماً مكدر بالرغبات اللاشعورية . مدخل المريض الى حدوده الملحة ، إلى إزماته ، إلى تنظيمه المعد

(1) في الجنسانية الأنثوية La sexualité féminine . مرجع سابق .

مسبقاً ، إلى تصوره المسبق ضد - التحولي . ومع ذلك فإنه قابل باختراق فضائه من قبل كل الشيء / المريض الذي يقبع غير واثق على الأريكة المعروضة عليه ، مثل الجنين على الجانب الداخلي الرحمي . مستعد للعيش من التبادل التكافلي .

فضاء سبق تغطيته بذكريات المعاني الحواسي ، المعاد تشكيله بفضل اليقظة التحليلية . في هذا الوضع ، لا يتوجب على الخواء الأنثوي إيجاد غائق للحالة المحللة . ويمكن الافتراض أن النموذج الأمومي للعمل المحلل مستعاد على يد بيون بعد فرنزي (Ferenczi) ، ينطلق من الذات عند المرأة المحللة . وأنا أعني جيداً أن هذا التصور الطوبولوجي يفترض نقلاً للتصورات التركيبية الخيالية إلى تصورات الجهاز النفسي أو جهاز التفكير . وليس أقل صحة أن المعاني الفمي البدئي ينتقل عند المرأة ، بدون التفاف خارجي ، إلى المعاني الجنسي باستبطان العلاقة الإسقاطية على الثدي . هذه السيوره تبدو لي أنها يجب أن تسهل التواحدات ، في الآن نفسه ، بالمحتوى الأمومي المنتج وبالشياء الذي يحتويه . فالإيجابية الضرورية للتدريب على هذه السيورة يدمج قسراً الكفاءة الأنثوية بلذة الإيلاج . والمرأة هي في الآن نفسه عنصراً النموذج الحاوي والمحتوى . إذن يمكن تخيل أن وضع التحليل وبالنسبة إليه وبشكل عفوي ، مكتسب عندما يسمح له تحليله الخاص بالإعداد الضروري للعديد من أشكال العلاقة المطلوبة من قبل هذا الوضع . وبشكل خاص عندما المركبات الاضطهادية لهذه العلاقة يمكنها أن تكون ظاهرة ، كم هو شاق هذا العمل ، من جراء أن يقود الى الانعطاف الجوهرى للاكتئاب .

مكان تحول إذن ، الفضاء الأنثوي يتركز من هذا المكان نفسه

كمكان تغير وتحول . عمل متراص للرجل الذي يقدم نفسه على الأصح في الظاهرة النعوظية للجسم ، للجنس ، للفكر ، مثل المخلوق الأول . وبالمقابل ، قدم المرأة نفسها كحاوٍ محوّل في علاقة ثنائية . ونموذج الدمج يجري مباشرة من ولادة الفتاة إلى ولادة أطفالها ، إنتهاء تحولات الأشياء المدموجة بالظواهر الأساسية للأنوثة . فالأمومة متعايشة النفسانية الجنسانية الأنثوية ، التي تؤدي هذه الأخيرة إليها أو لا لولادة الطفل⁽¹⁾ . إذن تحويل الموضوع هو مفهوم أنثوي بشكل نوعي . من هنا الخوف المرفوع من قبل مشاعر التغيير . فضاء يتجسد فيه الحلم ، المرعوب هو نفسه من قبل عصيانه على الشعور . وكل تحقيق غريزي يفترض تحولات ، بلوغ وإدخال الشيء من قبل أجزاء مسقطه من الأنا ستعاني تغيرات خلال مرورها ، أو من صدمها هذا الشيء . والنموذج الجنسي للإيلاج في الداخل الأنثوي محتوي في العلاقات الأولى فم - حلمة . وإذا كان مصدر مخاوف عند الفتاة كما عند الصبي على يد تصور منفذ ممكن للداخل الأمومي واستيهامات التخريب التي يقترحها ، فإنه موظف أيضاً من قبل الفتاة كمصدر للذة ، حتى وإن كان على اللذة التسامي بالواقع .

رغم تأكيد بيون الذي بحسبه « التطور أو التقدم العقلي هو كارثي وخارج الزمن »⁽²⁾ ، أتجراً على التفكير بأنه إذا كانت التغيرات الفيزيولوجية عند الفتاة يمكنها فعلاً أن تكون معتبرة ككوارثية (بالمعنى الذي فهمه ر . توم R. Thom) ، فإنها مع ذلك مرتبطة بدقة بالزمن

(1) J. Chasseguet-Smirgel . 1988 .

(2) W.R. Bion ، 1974 ، ص 183 .

بمعنى المهلة والإرجاء ، كما كتبه ج . شاسغينه - سميوجل . فالفتاة خاضعة لتغيراتها الخاصة ، لتبدلاتها ، أنواع من الكوارث في توجه تصورات الذات . وتبدلات البلوغ : إندفاع النهدين ، الحيض ، تعاني كوصول لهذا الإرجاء للأثوثة ، الحاضر خلال كل مرحلة الكمون ومنذ الطفولة الأولى ، ولكن أيضاً كتقدم خطر وغامض نحو الوصول الممكن للانتهاك الزاني بالمحارم . ربما التمييز بين الجنسانية الأنثوية والحمل الأمومي يترجم الممنوع بطريقة صريحة . والوظيفتان هما بعمق مختلفتان : إختلاف من مبدأ اللذة إلى مبدأ الحقيقة . والأنا العليا تسم بقوة كبيرة ، في تدرجاتها السلبية كما بالإيجابية ، بلوغ الفتاة ، أنها أصل العديد من الصعوبات المتعلقة بالفكر العقلي بكف الرغبات نحو القضيبي وبالعدول عن قضيبانية التواحدات الأبوية .

المرأة ، المسلمة للتغير ، هي كذلك على يد الرجل : فض البكارة حمل ، ولادة . دمج ، إستبطان تحدد مباشرة تصورات جهازها النفسي . وتصبح حينئذ المكان الذي فيه يتطور الأبوي بشكل حمل ، تحقيق ، خلق ، والأمومة هي بالنسبة إليها تحويل جزء غامض من الذات إلى شيء غير معروف . ويظهر في الطفل اللاشعور الأنثوي : الرغبة صارت حقيقة ملموسة ، المجهول من الذات موضوع في الخارج ، متحرك ، موضوعي .

هذا الوضع خاص ، يدرك بسهولة ، لرفع النفي عند الرجل ، للبدء بفرويد . مرعبة بالنسبة إليه هذه الرغبة التي تغوص في الأكثر حميمية من الذات في مكان مرغوب تختفي فيه . واستيهاماتها الأكثر تواتراً ، التي ترتبط بظاهرة الجماع ، هي استيهامات تفرغ الذات

(بث منوي) ، إستيهامات الإلتهام من قبل المهبل والتحول السحري للقضيبي . وليس الطفل نتيجة البذار ، ولكن على الأصح نتيجة القضيبي المحبوس والتحول من قبل البطن الساحر . ونجر هذه الاستيهامية على وجه الإحتمال إلى إنكار اللذة الجنسية ، مصدر الخصاء المرعب .

المرأة ، المتحوّلة ، هي كذلك في سن اليأس ، مخصية في قدرتها على الإنجاب ، في تصورها المغوي . تغير ضروري وقاس لا يرحم ، إنها تحاول عبثاً أن « تصلح سنوات الإهانة التي يتعذر إصلاحها »⁽¹⁾ . والتراجع يميزها بحيوية عن الرجل في هذه المرحلة من حياتها ، وهذه الظاهرة الجديدة للتحويل هي مصدر جديد للتواحد السلبي مع الرجل إلى الخصاء الأنثوي ، نوع من الانتهاء إلى التنازلات النرجسية المطلوبة من قبل تشكل التحليل .

وبالرغم من المخاوف المثارة من قبل استيهامات الحصر في Claustrium الأمومي ، يتوجب على المرأة المحللة أن تحرر بشكل عفوي في ذاتها سيورة الانفصال عن مرضاها ، مهينة كما هي لوظيفة التوليد ، الانفصال الجسدي عن الشيء الذي تحويه وحتى النضج . ويمكن ، على كل حال ، تصور أن الانفصال ، معد بشكل ضروري لإكمال علاج ، يجب أن يكون على طريقة الانفصال الأول للولادة بقدر ما يكون على طريقة التخلي عن الامتلاك الأوديبي ولا يستطيع هذا التطور الحدوث إلا إذا وضع المحلل بتصرف مريضه قدرة كافية للانفصال الأمومي .

Racine Le songe d'Athalie (1)

وبين مظاهر إنبات الحاوي الأنثوي - الأمومي يظهر تحول آخر : تحول ، أساسي للمسيرة التحليلية ، التأويل ، متحدر من انتباه حدوده هي حدود شخصية المحلل ، محددة بدقة وممتدة بتكونها ، صياغة التأويل هي : وفق بيون « خلفية تجارب المعاش الحواسي » ؛ ووفق وينيكوت ، تجارب « الكفاءة الأمومية » . ولكنها أيضاً بالنسبة لبيون « تحويل » . تحويل تمديدي للحرية ، يجب أن يجز تبديلات أخرى بواسطة جسر اللاشعور تجاه مبدأ الواقع الحاضر على يد حدود الفضاء الأمومي التحليلي . والوظيفة α للمحلل محددة بالعناصر β التي يصعب هضمها ، وربما ذات دلالة بواسطة تصورات التحطيم والتخريب ، الاحتفاظ والرمي ، مرتبطة بالتجربة المهبلية ومنتجة مجدداً في أحداث السنة الأولى من الحياة . والمحللة بصفقتها أما لا تستطيع أن تكون كاملة ، وعلى كل حال ، تبقى مكان اللوم الأساسي المدرك كخطأ ، مثل الشيء الضائع بشكل حتمي ، وأبداً لم يستعد حقاً من قبل الأنا ، مكان جوهرى لأفكار الحياة والموت ، تغير نهائي غامض مثل التدريب الحيوي .

من وجهة نظر تصورات الإلحاحات النفسية ، فإن محيط المحلل يرتكز عند المرأة - المحللة على نموذج الغلاف المزدوج . فالغلاف - اللذة ، مستثمر بفضل تكامل المعانى المهبلية ورغبات الإيلاج ، غلاف بشكل صارم للإنتاوية الجنسية ، ملونة بشكل أساسي من قبل لبيبدو الأنا ، مكلمة ومغطة بالغلاف - الواقع ، غطاء الأنا العليا الأمومية التي تحفظ وتحدد انتهاء اللذة بتحقيق الخصوبة ، والحمل والتوليد .

هذا الغلاف - الواقع يعمل عند المحللة - المرأة كإثارة مسبقة ضد

رغبات الزنى بالمحارم نحو المريض وأيضاً ضد الرغبات اللاشعورية - بالتخريب المفترض . وهذا ربما أحد عوامل الذي أهميته في العلاقة المحلّلة - المرأة بمريضها ينقل ندرة الانتهاكات الجنسية عند المحلّلات - النساء وهي أكبر منها عند زملائهن الذكور . إنه أيضاً دمج الكفاءات الطبيعية بأحلام اليقظة الأمومية ، كما وصفها بيون ، أو أيضاً بالإنتباه الدائم الذي نادى به فرويد . مع خطر ، عند المرأة - المحلّلة أو ، أو بشكل أكثر يسراً في العمل الأثوي لكل محلّلة ، أن لا تطلق الدفاعات القضيية توظيفاً عالياً للكلام أو للهدف التأويلي على حساب الهدف الإنشائي .

والمرأة - المحلّلة مواجهة ، مثل كل امرأة ، بمشاعر الخشاء ، بنتائج النفوذ الأمومي واستيهامات الاضطهاد الداخلي المشترك ، ألا تملك بالقرب من مريضها موقفاً خاصاً بها ؟ إنها تعرف السير الداخلي الطويل ، نحو اللذة والسير الطويل للحمل نحو التوليد . هذه الحقيقة ، تعرف غالباً أكثر قرباً من الحلم أو من السراب الذي لا يبلغ أبداً . فالقدرة على اللذة ومعرفة اللذة هما بالنسبة إليها هدف دائم . والأحلام الأمومية تدعم تقاسم اللذة مع الطفل - المريض يتم وتحمي عنده التحقيقات المتحدرة من هذه القدرة .

ففي تصرف النفس هذه التي اكتشف فرويد في الحلم ميزتها الإكسالية للرغبة . الحلم يحمي النوم ، والقدرة على اللذة تحمي الحياة . والأثوي - الأمومي للمحللة يحترم ويحمي من وحشية المحللة أحلام الإرضاء والتحقيقات الغرامية أو المهنية مثلاً ، نتيجة عمل الدعم النرجسي لشخص المريض ، والغلاف المغذي الأمومي يكسب

بتطور الحالة إلى اللذة ، مثلما انتزاع جسم الطفل يسمح بإثارتها الخاصة للجنس . فتحليل وقائع الحرمان لا تحتمل إلا إذا بذلت على القواعد النرجسية المعدة بقوة في الحضن الأمومي .

وفي هذا المعنى ، إن التأويل ، الذي يفسح مكاناً دائماً لمبدأ الواقع بقلب عوائق الكبت بموضع المريض في التثليث والرثاية القضائية الأبوية . فالكلام ، حتى غير المفهوم ، يخلق الاختلاف بين الحلم والواقع من قبل إدراك الاختراق الحواسي الذي يصبح علامة ، بقدر ما يستطيع الجهاز النفسي تمييزه من الهلوسة . فالكلام التأويلي للمحللة - المرأة يحمل ربما أثر أنوثتها ، بالمعنى الذي يكون فيه هدف المحلل بشكل حتمي عندها مؤسساً على معنى الحياة الذي تعطيه وتحميه ، حتى لو كان البعد الرمزي للمعنى يفصل الفكر عن الحشوي .

التأويل ليس بالتأكيد حرمان فقط ومحافظة في الحرمان . فالفعل المدمر للتأويل ، العنف الذي تنسبه إليه بحق كبير پيارا أولانيه (Piera Aulanger) ، يمكن أن يجد مصدراً في العمق الاضطهادي الأمومي ، الموقظ من قبل التواحدات الانكفائية اللاشعورية للمحلل الى الموضوع - الطفل ، الملتهم أو الزاني بمحارم . والتأويل هو أيضاً ترتيب التوازن بين الأشياء الداحلية وتنظيم ديناميتها ، توفيق مبدأ اللذة ومبدأ الواقع . إنه ترك الطفل - المريض يكتشف رغبته الخاصة ، تأليف بأنغامه الخاصة بمنحه النعمة .

أنطوان

منذ عدة سنوات ، إكتأب انطوان ببطء ، هرب من الصحبة ، أضع ثقته بنفسه ، فشل في امتحاناته ، إنطوى على نفسه بشكل

خطر . فمنذ عدة سنوات يتألم من انزعاج عدم قدرته على تصور موت أمه . وقد جاء لرؤيتي بعد قليل من تجربة الغرابة هذه ، لأسباب أخرى أكثر ظهوراً من حبه الشديد لهذه الأم التي اختفت . وكان عمره حينئذٍ ست عشرة سنة وكان يعبر عن نفسه ببخل وبطريقة سيئة . وقد وجدت فعلاً صعوبة بالتصور أنه الآن في العشرين من العمر . لقد « شكلته » كثيراً ، ولكنه لم يكبر ، برغم قامته الجسدية .

إنه ينزلق تحت التأويل مثلما تنزلق سمك الترويت نحو مخبئها عندما تلامسها اليد ، ومن ثم ، حلم ذات ليلة : « كنت مع أمي وكل العائلة . لم نتحدث في شيء ، وتساءلت كيف يمكن العمل كأن شيئاً لم يمض . ولكنني كنت سعيداً جداً » . ثم بعد بضعة أيام : « كانت كعائلة ضخمة : من جهة الفتيات وأمي ، من الجهة الأخرى الصبيان وأبي وتكلم بعضهم مع بعض ، لم أكن أشعر بالوحدة مع الآخرين ، كما أشعر عادة » . ثم ، بعد ذلك بقليل : « جازين (الصديقة الصغيرة التي تركها منذ وقت قليل) كانت معي ونستطيع التكلم بهدوء ، وبمودة » . الهدوء . تأسفات ، بكل تأكيد ، لكن العنف المرتد ضد ذاته ، الثورة الممزقة تبدو مهدأة . الأم فيه تتشكل مجدداً ، عندما فجأة قال انطوان : « أنام جيداً الآن ، ولم تعد كوايبس ، ماذا تعتقدين ؟ » . كنت أفكر كثيراً بكل قلبي ، وقلت ببساطة : « هذا جيد جداً » . خاصة بعدم لمس علامات السعادة الممكنة .

اكتئاب

في العمل الضروري بعلاجات النساء يظهر شكل من الاكتئاب ، يبدو لي أنه مرتبط بصفات عاطفية أنثوي بشكل خاص . وأكثر دقة ،

بالنرجسية الأنثوية الموصوفة من قبل ب . غرونبرجر⁽¹⁾ B. Grünberger ، عندما شدد على هشاشة هذه النرجسية وروابطها بالحاجة التي لدى المرأة للشعور بأنها محبوبة للحفاظ على هويتها . وتبدو هذه الحركات العاطفية متميزة عند الفتاة قبل البلوغ بكثير ، وهي مرحلة حدد فرويد فيها تعزيز النرجسية الأصلية الأنثوية⁽²⁾ .

غرونبرجر ألح على أهمية الحرمان الخاص بالمراحل ما قبل الجنسية ، المرتبط باستحالة الإرضاء الجنسي الكامل .

إن الانتهاء غير الملائم للسعي الغريزي هو سبب عدم الرضا هذا . فالعلاقة الجنسية للفتاة بأمرها ، موضوع جنسي أول ، هو إذن مؤسس على وميض والتواحدات الأولى لهذه الموضوع - الوميض هي على وجه الاحتمال في علاقة مع عدم الرضا لانتهاء الإثارات المحدثة بالعنايات الأمومية .

إننا نستعيد هنا مسألة الاستثمار الهستيرى للغلاف الجسدي⁽³⁾ والدلالات التي سيأخذها الحب بصفته علامة على الأهمية المرتبطة بهذا الغلاف . وتحدد هذه السيرورة عند المرأة الحاجة إلى الحنان والملاطفة أكثر من حاجة العلاقة الجنسية التحديدية ، كما يوجد عند الرجل . فالحاوي الأنثوي يبدو مستمراً منذ اللحظات الأولى للحياة عبر عنايات جسدية ، كتواحد بالثدي الشكلي ، « موضوع جمالي » في غاية الجودة كما يبدو لي ، حتى لو بدلت وحددت هكذا رثايات ملترز (Meltzer) .

(1) B. Grünberger . 1964 .

(2) Freud S. ، 1914 .

(3) A. Anzieu ، 1987 .

إنه المكان الذي تثار فيه زيادة الإثارة التي تجعل غير كاف جواب موضوع اللذة وتؤدي الى كبت أولي صعب . فحركات الانفصال التي تجابه تواحدات المواضيع الجزئية ، تحدث الإنقاص الدفاعي لهذه الأخيرة كما لو أنه من أجل تصحيح الخسارة ولتقليل الألم الذي تسببه . وتقوي هذه الحركات المعارضة بشكل مؤلم الكبت الذي يخصها . وتوجد فيه الآثار في الميول الى الانقطاع والعبور الى الفعل الفاعل من قبل اليأس المكتئب . وهي تزيد خلال مجرى الحياة ، بعمل الكبت الثانوي ، كما لاحظ ذلك G.Rosolato⁽¹⁾ : « لأنه [الكبت] يرجع إلى رغبة مرتبطة بصدمة جنسية بالمعنى العريض [. . .] في مزيج من اللذة ، الممنوع ، والمجهول » .

وتبدولي هذه الصدمة الجنسية قادرة على أن تكون مفهومة أيضاً مثل الصدمة الشاملة لعدم الرضا عن الانتهاء الغريزي الذي تقدم للهستيرى نتيجة الجنسة العالية لعنايات الأمومية وبدون شك للرضاعة . وقد تخيل كارل إبراهيم (Karl Abraham) الاستثمار العالي للامتصاص كمصدر للاستثمار الشبقي للجنس الأنثوي .

إن الشكل المأخوذ بالاكْتئاب المتتابع الى صعوبة الدعم النرجسي يظهر في العيادة مع الميزات التالية : الأنا تتوصل إلى استثمار وتتابع استثمار الموضوع الليبيدي لكنها لا تتوصل إلى أن تستثمر نفسها بشكل كاف بنفسها وبالليبيدو لكي تستطيع الغريزة إطلاق سيرورة النفاذ إلى الموضوع المرغوب . كأنه كان يظهر بشكل خطأ أساسي ذات غائبة ، أو ربما أيضاً ما وصفه فرويد كحصر ناتج بلا حضور الموضوع الداخلي .

(1) G. Rosolato ، 1988 .

ويبدو أن ، في هذه الحالة ، الأنا تحفظ لبيدو موضوعها ولكن مجرداً من لبيدها الخاص ، من السفح النرجسي للبيدو . اقتصاده ونشاطه مشوشان . وحينئذ يتألم الشخص من المشاعر الشديدة للإنتقاص ، لعدم القدرة ، للتخلي الرباني ، لنقص الحيوية ولعدم الرضا عن الذات ، كل ذلك مع الوعي أن هذه المشاعر تختبئ في طياتها العميقة حصراً وجودياً ، معاني في العلاقة مع عائلته الخاصة ومع عرضية الصورة الأمومية المستبطنة .

وبينما يمكن حدوث تواحدات قضيبية إيجابية بالصورة الأبوية ، أو سابقاً ، بالقضيب الأمومي الكلي القدرة ، تتم حماية العمل الفكري ، حتى لو كان باستطاعتها أن تكون مستخدمة فضلاً عن ذلك كمضاد - تواحد للمرأة بالأب . ويوجد أثر هذه التواحدات في القدرة الذاكرية الحادة لبعض الأشخاص ، والمركبة الشفهية الداخلة في هذا العامل كمكان إستثمار للكلام وللتسمية من قبل الأب ويمكن التأكد حينئذ ، مثلاً ، أن الشخص المكتتب يملأ شحناته الوظيفية بحمية ، وفي كل حال يظهر يسراً ، ولكن لا ينتزع منه إلا إرضاءات لا تكفي لتأكيد من هويته . ويشعر أنه عرضة لأقل نزاع سيعمل على تزحلق توازنه الهش الجزئي نحو مشاعر الوحدة التي يعانها منذ أن يترك المحيط المهني .

وترتكز المعاناة الأنثوية لهذه الحالة على عاقبة التواحدات بالموضوع الشرجي الأمومي ، موضوع الإبعاد والتخلي الرباني المنتقص بشكل نهائي . وهي محددة بالمحافظة في اللاشعور على التباس بين الفتحات الشرجية والرحمية والمهبلية . والصعوبة هي في الحفاظ خارج هذا الالتباس على موضوع الإنتاج الأمومي باستثمار الميزات القضائية

المرتبطة بتصورات حيوية الحاوي . ويمكن كذلك فهم هذه الحالة كما وصفها ب . غرونبرجر مثل « عكس الحاوي والمحتوى » ، عدم استثمار الغلاف - الموضوع لمصلحة الموضوع المحتوى . والكره تجاه المحتويات الأمومية والحسد الذي تثيره قوية بشكل كاف لتؤدي الى شعور بالحصص أو بالاختناق الكارثي للكائن - المرأة بسبب القولية المعاناة من قبل الحاوي الأمومي .

و ضد الحالة الكوارثية يمكن لاستثمار عال للفكر العقلي المستخدم كموضوع - محتوى ممثلن ، الظهور كنسق دفاع ضد الحصر المكتتب . دفاع وسواسي ضد استحالة استثمار الذات المجوفة الأنثوية المتمثلة بفضاء فارغ ، حاوٍ بدون مادة . وحينئذ يكون الفكر مقطوعاً عن التجربة المعاشة والتصورات الجسدية التي تفيد في النقض . فالوظائف « العليا » (للرأس) مفسوخة ومثلثة ، وتمثلة في القضيب الفحولي للأم ، ومقدمة غالباً من قبل الوظائف الأبوية . وهذه الحركة للدفاع الوسواسي ضد الاكتئاب ملحوظة عند الكثير من النساء المسماة « مثقفات » . وعند اللواتي ، لأسباب داخلية أو مرتبطة بالبيئة ، لم يملكن هذه الإمكانيات وتبقى وساوس التنظيف ، الهرب الخوافي والمميزات الطقوسية .

وتظهر هذه الحركة الدفاعية ، بالمقابل ، طبيعية جداً عند الرجل . ففكره مستثمر قضيبياً ، بوحدة الجوهر ومكان الطفل في منافستها للإنتاجات الأبوية وفي توأحداتها بامتلاء الفضاء الأمومي ، الذي يتضمن القضيب الفحولي الأبوي . وفي حالة العمل السيء لهذه السيورة ، دفاع الرجل ضد توأحدته الأنثوية المرتبطة بالفراغ

والالتهام ، وضد رعب المحتويات الأمومية ، ينتج انتقاصاً ، وحتى إبطاً للقضيبيانية الجسدية ، ولوظيفة الذكورية النعوظية . وتبقى الوظيفة الملقحة ملتبسة مع الوظيفة الشرجية ، وحتى الحيضية . فالاستيهامي يصف كل نتاج جسدي أو غائطي كعلامة على الخصاء الداخلي ، إلى درجة كف النتاجات الفكرية . والفكر الفوق استثماري يصبح علامة قوة قضيبية مضطهدة . والانفساخ جسم / فكر موجه الى المحافظة على الذات المميزة عن المادة المرمية في النطاق الوحيد الذي يسمح بمثلثة الوظائف المرتبطة باللغة .

وتستطيع الأم كذلك اللجوء إلى هذه الطريقة الدفاعية ضد الاكتئاب النرجسي عندما توأحداتها بالقضيب الفحولي الأبوي المتضمن في الأم تكون قادرة بشكل كافٍ . ولكنها تبقى متألمة من لا - استثمارة خوائها الوعائي ، أنوثتها المعاد ربطه بشكل سيء بقدرتها على التفكير وحينئذ لا تستطيع الفوهة الأنثوية العمل إلا في اتجاه التفريغ ، لابعاد مادة الطرح هذه التي هي نفسها . ولا يكفي أن يأخذ هذا الشيء شكل فكر بارع . فهذا قد يبقى مختلفاً بسبب العلاقة النرجسية للمرأة بالمتعة الجنسية وبالعلاقة الغرافية . والمرأة ، إذ تتحرر من هذا العائق ، تستطيع تركيز فكرها على الغنى الداخلي النشط وعلى محتوأي الحي .

مونيك (Monique) امرأة شابة صغيرة السن سمح لها التحليل حتى الآن الاحتفاظ بقدراتها بالفعالية الاجتماعية العقلية . وبجهد كبير ، بكل تأكيد ، من جانبها ومن جانبي . وللتوصل إلى تحويلها ، توجب علينا أولاً حماية بعد الدفاعات الطفولية المرضية ، مثل العنف

والشراة ، ضد تدميرية التواحدات بصورة حاوي « غرفة المهملات » ، المستبطن تحت سيادة أم مريضة . وهذه الدفاعات ظلت بشكل شراة للمعارف العقلية ، لتضخم الغريزة المعرفة القضيية ، شراة تحدد عند مونيك قدرة مفاجئة على تخزين المعارف المذكورة . وتوجب علي الاشتراك بكل قواي للحفظ والتقوية الموقته أيضاً لغلاف مغذٍ أولاً ، أنثوي قليلاً ، وبشكل كافٍ مطمئن لكي يكون هذا الشكل من تسامي الشراة قادراً على أن يكون محفوظاً . ولكن مونيك ساعدتني كثيراً في ذلك : إرادة العيش تحالف ثمين بيننا .

والياً ، تمارس بصبر المهنة التي كانت تحلم بها . لقد نجحت فيها بشكل جيد جداً . لكننا أدركنا شيئاً فشيئاً ، أنا وهي ، ثغرات الذات المفتوحة بهشاشة بواسطة هذا النجاح . واكتأبت مونيك حقاً . إنها لا تستطيع استعادة تقرب أصدقائها ، فهي تشعر أنها سطحية ، قابلة للإثارة بسهولة ، مجروحة بأقل نقد . وخائبة لعدم القدرة على اجتذاب رجل ، خائفة من أن تجد فيها تشابهاً أبويًا ، ومحتارة فيما يتعلق بما تنتظره منه . إنها تخشى من الغوص مجدداً في عنقها الملتهم وحلمها خاصة في تكون مأخوذة في الذراعين المطمئنين . وها نحن فعلاً في التحويل النرجسي وجعلت مونيك منه بقربي بحثاً عن حضور دائم ، لكنه يغلفها بالصمت . إنها لم تفهم ، ولم تندش فيه ، من تأويلاتي الأكثر تحفظاً ، أو الرفوضات بعنف . الأمر الوحيد القابل للتحمل هو الحضور الحاضن لذاتها الأنثوية الجنينية ، في هذا الصمت الغامض والمدوي بالمؤثرات حيث تعمل بكل قواها لأن تكون . لتكون هذا التجويف الأنثوي الصامت ، الذي يستطيع استقبال شيء آخر غير

الكلمات ، خليج أكثر منه ثغزة ، حيث ستستطيع ربما المجيء لغمس شيء ما استدعوه : حباً .

المحلل وروحه

إن كل ما يحترقه من الانفعالات بدون اللجوء ، بدون العودة ، من صعوبات ومن دموع ، من الأحسدة ومن الاندفاعات . إنه مسجون في ذاته . ضمائر الحياة ونفائتها مسورة فيه ، مذخرة من الآخر . الاضطرابات مخبأة في وعاء حضوره ، وسيكونون مقلقين . لكن جسده منفوخ بهذه المحتويات الضاغطة ، جسمه يصبح أحياناً مؤلماً ، معذباً من قبل هذه الأجسام الغريبة المدخلة الى روجه .

في حين أن الأطباء يفتحون الجسم ، ينظرون ، يقلبون ، يقطعون ويسحقون ، لا يجدون هناك إلا كتلة من الأعضاء الدامية النتنة . نفخة الحياة هي بالنسبة إليهم غير محسوسة . الروح تفلت منهم . وهي ملتصقة بكل جزء من اللحم والحشا ، تتألم معها ، لا يمكن إمساكها ، تحبط العلم . ولا يظهر الذي لا يعبر عنه من الحياة في بطن مفتوح . والطبيب ، المبلبل ، أمام محتوى غلاف بشري : يعتقد أنه يجد فيه الروح ، وهي دائماً في موضوع آخر .

أيها المحلل ، ماذا تفعل بروحك ، المجتاحة من قبل عذابات الآخرين ؟ روحك - الأم لا تضع إلا جنين الحياة . أنتخر حياتك الخاصة في هذا التعذيب من قبل المعاني ، المتماثل ؟ أو تغذي ببساطة من مشيمنتك الكريمة والشحيحة ذاك الذي ستركه أكثر غنى بالحياة ؟ أو أيضاً تغذي حياتك ، مثل مصاص دماء ، من هذه الحياة التي تنصبّ

في أذنك . إلى أي ربح تحفظ هذا الكلام الدامي ؟ كلام أعماق الكره ، الرغبة غير المشبعة والعنيفة ، الانسحاق ، الاختناق في جحيم ثدي أمومي لا يمكن السكن فيه . « الجحيم حيث يقال كل شيء »⁽¹⁾ ، جحيم الجنون ، الكلام المحدد للحياة . الجحيم الذي تغلق في ذاتك حتى لا يمكن السكن فيه .

حيث الشيطان يمكن أن يختبئ في روحك ، وإلا في قارة سوداء في لغز الأنوثة ؟

. Robert Anthelm (1)

Bibliographie

ANDREAS-SALOMÉ L.

1970 *Correspondance avec S. Freud*, Paris, Gallimard.

ANZIEU A., ANZIEU D. et coll.

1987 *Les enveloppes psychiques*, Paris, Dunod.

ANZIEU D.

1980 « Du code et du corps mystiques et de leurs paradoxes », in *Nouvelle Revue de Psychanalyse*, n° 22, Paris, Gallimard.

1987 *L'auto-analyse de Freud et la découverte de la psychanalyse*, Paris, P.U.F., 3^e éd. refondue.

BEGOIN F.

mai 1987 « Le féminin et le maternel », in *La mère et le maternel, Les cahiers de l'IPC* (n° 5), publiés par l'Institut des psychologues cliniciens.

BION W.-R.

1965 *Transformations*, trad. fr., Paris, P.U.F., 1982.

1967 *Réflexion faite*, trad. fr., Paris, P.U.F., 1983.

1970 *L'attention et l'interprétation*, trad. fr., Paris, Payot, 1974.

1974 *Entretiens psychanalytiques*, trad. fr., Paris, Gallimard, 1980.

BRAUNSCHWEIG D. et FAIN M.

1975 *La nuit, le jour*, Paris, P.U.F.

BRENMAN E.

1985 « Hysteria », in *International Journal of Psychoanalysis*, 66, n° 4.

SAMI ALI.

1974 *L'espace imaginaire*, Paris, Gallimard.

1984 *Le visuel et le tactile*, Paris, Dunod.

SEGAL H.

1987 « Note sur la formation des symboles », in *Délire et créativité*, Paris, Des Femmes.

SUSKIND P.

1985 *Le Parfum*, Paris, Fayard.

TUSTIN F.

1986 *Autistics barriers in neurotics patients*. Karnac.

WINNICOTT D.-W.

1958 « La capacité d'être seul » in *De la pédiatrie à la psychanalyse*, trad. fr., Paris, Payot, 1969.

1963 « De la communication et de la non-communication », in *Processus de maturation chez l'enfant*, trad. fr., Paris, Payot, 1970.

1971 *Jeu et réalité*, trad. fr., Paris, Gallimard, 1975.

ZAZZO R.

1989 « La jalousie gémellaire », in *Lieux de l'enfance*, n° 16, Toulouse, Privat.

فهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد	5
القسم الأول : المرأة	
الفصل الأول : ان أكون امرأة بعد فرويد	10
اللحظة	21
الفصل الثاني : اندماجات	22
الخارج الداخل	22
روائح	48
عين وجلد	50
صور	57
نظرات	58
عين وجفن	64
ليزت	69
التجويف	70
الفصل الثالث : مازوشية	79
ادويج	79
في بعض أسس المازوشية عند المرأة	80
ال « معبر » الأنثوي	85
اوريديس	91

92	جريان - حجز
95	احتفاظ وداخلية
96	إمرأة غير مكتملة أبداً : غلاف فارغ
103	الفصل الرابع : السلبي والأثوي ، المرأة بلا صفة
103	المرأة في السلبي
109	غياب وتكثف
114	حوار أطفال
115	نقص
117	وإذا كان فرويد محقاً

القسم الثاني : كتابة

122	الفصل الخامس : كلمات ونساء
152	الفصل السادس : الكائن والعمل
152	الكائن والابداعية
158	كلام وخصوصية
164	موسيقى

القسم الثالث : المرأة المحللة

168	الفصل السابع : المحلل النفسي - في مقعده
175	وحدة المحللة النفسية
182	تحليل لا متناه
184	مفارقة المحلل النفسي
186	بين المقود والاريكة : تقنية ونظرية
190	المحلل النفسي والاككتاب

194	المحلل النفسي والجنون
197	المرأة المحللة النفسية والطفل : خرائب عدن
199	الفصل الثامن : كلام محلل
213	الفصل التاسع
216	تحويل
224	اكتئاب
231	المحلل وروحه

هذا الكتاب

أليس من الممكن ، بفضل فرويد ورغماً عنه ، أن نتصور المرأة بأبعادها الذاتية ؟ وهل هو خطر جداً مشروع استخلاص صورة المرأة خارج المفهوم الذكوري المفروض علينا ؟ إنني لن أقوم هنا إلا بأن أضم إلى محاولات أخرى محاولتي تطوير فكر متصور من المرأة ومن الأنثوي .

فهل سيكون من الممكن تصور المرأة بدون صفة غير صفة النقصان ، لأن الصفة الخاصة بالرجل تنقصها ، وهي الصفة الوحيدة الممكنة ؟ المرأة هي النسخة السلبية للرجل . ولأن « علم التشريح هو القدر » ، فهل سيكون قدر من تكون امرأة حرماناً من الوجود والكيونة ، إنسانية هزيلة ؟ أم يمكن أيضاً إنكار أنه إذا كان فكر المرأة مختلفاً أحياناً عن فكر الرجل فيما يخص بعض مزاياه ، فإنها مع ذلك مساوية له في القيمة ؟

إن تفرد المرأة هو في كونها مشكّلة من باطنية خفية وخصبة . باطنية معرضة للاختراق ، وطبع مختص بالعنصر الأنثوي ، ومصدر للمتعة . وستكون العلاقة الخاصة للمرأة بداخليتها مرئية هنا من جوانب مختلفة .

إن دور المرأة ، مضاعف فيما يخص الجنسانية : كل شيء داخلي وخفي فيما يخص التمتع ، في حين أن الأمومة ، التي تنتج عنه أحياناً ، تظهر نشاط هذا الداخلي وتخرجه جسماً - طفلاً . مكان عبور إذن ، هي المرأة ، للرجل وللطفل .